

أصول التربية الغَرَائِية وأَسَالِيبِهَا

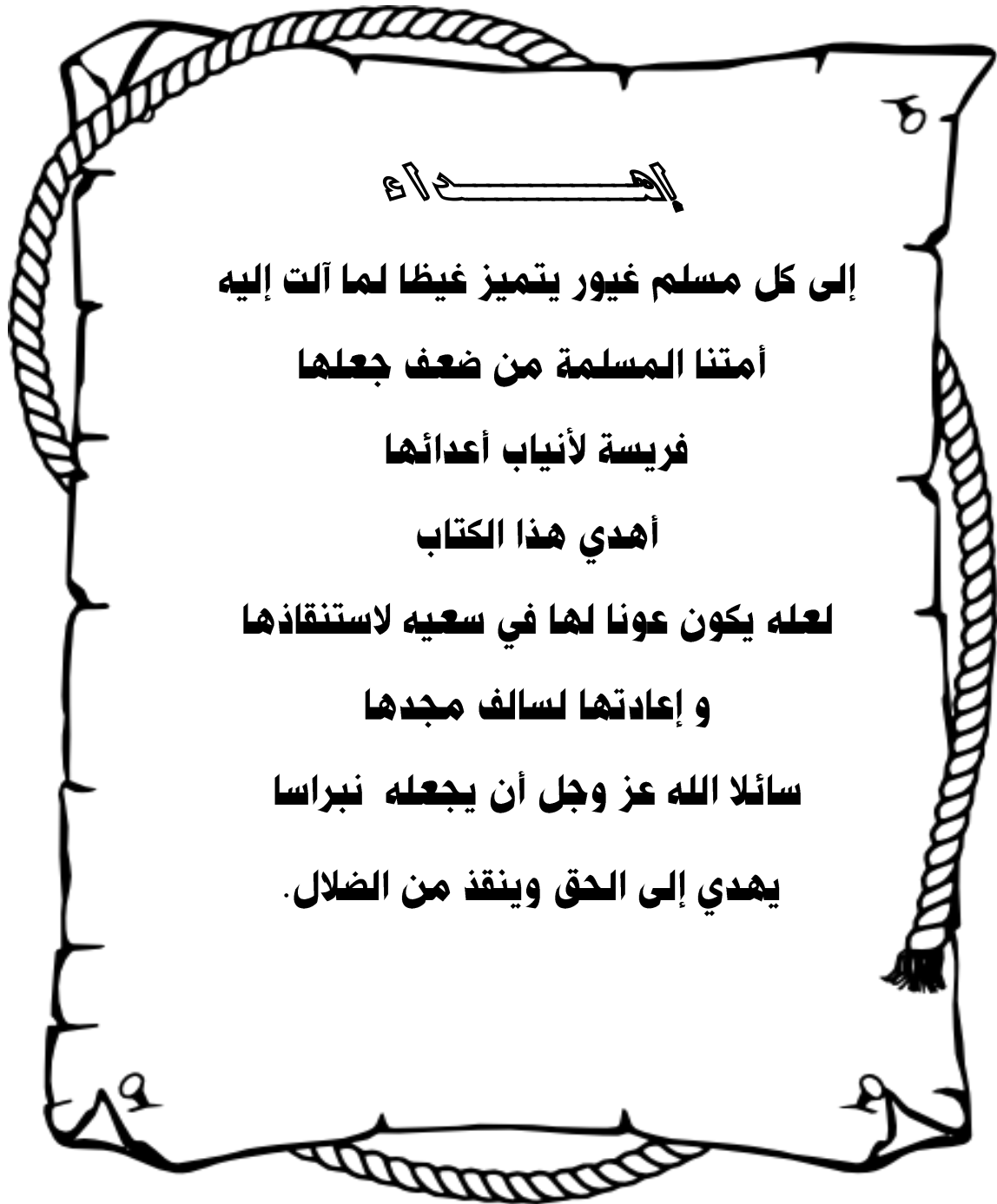
لِلدَّكْتُور / سَعْدِ خَلِيفَة



حقوق الطبع والنشر محفوظة
لدار الأديب للنشر والتوزيع



دار الأديب للنشر والتوزيع	اسم الدار
أصول التربية القرآنية وأساليبها	اسم الكتاب
د / سعد خليفة	اسم المؤلف
٢٠١٨/٢٢٢٧٦	رقم الإيداع
لدار الأديب (نجلاء زغلول)	الإخراج الفني
من تصميمات الدار	الغلاف



تمهيد

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستعديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ) (آل عمران/ ١٠٢)

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) (النساء/ ١)

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١) (الأحزاب ٧٠-٧١)

أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد - صلى الله عليه وسلم -
وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وبعد: فقد عرفت البشرية في تاريخها الطويل نوعين من مناهج التربية:

المنهج الإلهي ، ثم المناهج الأرضية على اختلافها وتعددتها تبعا لتصوراتها لطبيعة الحياة والإنسان، ولطبيعة العلاقة بين الفرد والمجتمع، وبين المجتمعات بعضها وبعض، وللحق ما أثمرت هذه المناهج الأرضية إلا عدوانا من الإنسان وعلى الإنسان ، فقد رأينا مناهج تتعامل مع الإنسان على أنه روح تبغي الخلاص فتدير ظهرها للحياة والأحياء، وأخرى تتصوره جملة من الغرائز والشهوات الشرهة إلى الإشباع ، فيقع التصادم والصراع ، وثالثة تراه ترسا في آلة ، أو فردا في قطيع ، ورابعة تجعله سيدا مقدما لا يحول بينه وبين رغائبه حائل، ولو كان عقائد الأمة وقيمها ومصالحها، وخامسة، وسادسة وهلم جرا.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

ورغم الخلاف المرير بين هذه المناهج إلا أن القاسم المشترك بينها جميعا هو فقدان التوازن والتكامل والاعتدال شأن كل بدع البشر في مجال العقائد والقيم والمناهج والنظم، من هنا نشأت الحاجة الماسة إلى التعرف على منهج الله ليس في مجال التربية فحسب، وإنما في كل مجالات الحياة، ولا أعنى بالتعرف عليه معرفة خصائصه، ووظائفه وحسناته في عالم الأذهان، وإنما أعنى العيش به، وجني ثماره في عالم الواقع، ولا أخال عاقلا يخالفني أن خالق النفس، وخالق الحياة، هو أدري بهما وأخبر.

(ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) (الملك / ١٤).

ومن كانت هذه صفته كان بتنظيم الحياة أولى وأجدر (ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) (الأعراف/ ٥٤).

والإسلام نظام كامل للحياة، والمسلمون أمة ذات رسالة (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) (آل عمران/ ١١٠).

لذلك فإن منهج التربية في الإسلام يخدم هذا النظام، ويدفع نحو تلك الغاية، وهو يقيم الإسلام في نفسه. قبل أن يدعو إليه الناس، ولما كان الفرد هو لبنة المجتمع فقد وجه له الإسلام عنايته أولاً فعامله على أنه مادة وعقل وروح لكل منها احتياجه وضروراته، فكفل له زاده إلا أنه ركز على ما يميزه عن سائر المخلوقات، وهو العقل والروح، ففتح أمامه مدارج الرقي إلى غير ما حد، وبذلك عصمه من الهبوط والتدلي، وحماه من التمزق وانفصام الشخصية.

وما العقائد والقيم والعبادات بأنواعها إلا وسيلة للتربية والتركية.



أصول التربية القرآنية وأساليبها

قال الله - سبحانه وتعالى - :

(لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)
(آل عمران/ ١٦٤)

(إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ)
(العنكبوت/ ٤٥)

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)
(البقرة/ ١٨٣)

(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا)
(التوبة/ ١٠٣) ^(١).

فالتربية هي العلاج لمرحلة الاستضعاف والغثائية التي تعيشها أمتنا، تلك المرحلة التي طال ليلها واشتد ظلامها، ولمّا يبرز فجرها، والتربية هي العلاج لأنها سبيل النبي - صلى الله عليه وسلم - في إعداد وتنشئة أصحابه وإقامة دولته.

وإن الذين يقولون: إن طريق التربية طريق طويل شائك، والعدو على الباب، قد رفع السلاح ووقف ينتظر الأمر بالهجوم ، ولن ينتظرنا حتى نربي ونزكي ، إن هؤلاء الذين يريدون الإصلاح من القمة ، ويهملون القاعدة ، أقول: إن هؤلاء مخدوعون واهمون، وعن الحقيقة غافلون، إنهم كالذي يريد أن يبني على الماء، ويكتب على الهواء، إنهم كالذي يضرب بالحديد البارد، والذي يستمطر سحابة الصيف. وأتى لها أن تمطر؟!!

ونحن نتفق معهم على أن الطريق طويل، لكنه لا بديل له، لأنه طريق الله، خطه العليم الخبير، وسلكه النبي الكريم صلى الله عليه وسلم - فربى وعلم، وأسس، وأعلى، وساد، وقاد، وجمع الشتات فأقام منه أمة متماسكة متلاحمة كالجسد الواحد وكالبنيان يشد بعضه بعضا.

(١) منهج التربية في الإسلام/ الشيخ محمد متولي الشعراوي ص ٣-٥ طبعة دار الاعتصام بدون.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

وقال - سبحانه - : (وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بِغَتَّةٍ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) (الزمر/٥٥).

حاجتنا إلى منهج القرآن في التربية تنبع من إيماننا بأنه منهج الله، وأنه أحسن منهج

قال تعالى : (اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ) (الأعراف/٣).

ولن من أهم ما تبذل فيه الأوقات الجانب التربوي، ولكي تؤتي التربية ثمارها لابد وأن تتبع من كتاب الله، وتبني على منهجه، إذ القرآن كتاب هداية وبناء وعطاء، وقد جاء القرآن ليبيّن الإنسان من داخله في نفسه ومشاعره وعقله وتكفيره، وحتى في أعضائه وجوارحه، وفي إرادته ورغباته وفي أهوائه وتمنياته وفي هواجسه وخلجاته وتصوراته، ومن ثم سينعكس ذلك كله على من حوله من المخلوقات إحساناً أو إساءة، بناء أو تدميراً، رجاء أو شقاء^(٢)، ولأجل التربية أقام النبي - صلى الله عليه وسلم - بمكة ثلاث عشرة سنة يربي أصحابه، ويعلمهم، ويأخذ بأيديهم حتى كان الجيل الفريد المثالي المتميز الذي كان حقيقة، وفاق حد الخيال.

وقد روى مسلم في صحيحه وأحمد وأبو داود والنسائي من حديث عائشة رضي الله عنها - قالت: فرض الله - عز وجل - على نبيه - صلى الله عليه وسلم - قيام الليل، فقام النبي - صلى الله عليه وسلم - وقام الصحابة معه حولاً كاملاً، واحتجز الله عز وجل - خاتمة السور اثنا عشر شهراً، ثم نزل بعد ذلك التخفيف^(٣).



(٢) معالم تربوية في القرآن الكريم/ د. فاروق حمادة ص ٨-٩ طدار القلم بتصرف يسير.

(٣) البخاري في (كتاب) خلق أفعال العباد ص ١١٠ ح ٢٩٨ ومسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها (باب) جامع صلاة الليل ١٣٩/١ ح ٥١٢.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

والمراد بالتخفيف أن قيام الليل لم يعد فرضاً وذلك ما جاء في قوله تعالى :

(إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنُصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يَقْدَرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عِلْمَ أَن لَّنْ تَحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ) (المزمل/٢٠). ويدلك فرض قيام الليل قبل الصلوات الخمس، وقبل الحدود على أهمية التربية، وإذا كان المسلمون الأولون اهتموا بالتربية مع قوة إيمانهم وقربهم من النبي - صلى الله عليه وسلم - فنحن اليوم أحوج ما نكون إلى التربية، وقد حرمانا من منهج السماء، وساسنا أعدائنا، وتحكموا فينا، وتتابعنا المحن، وكثرت الفتن، وعم البلاء، وطم بالعولمة ودعاتها، والإباحية واستمرائها، والحدثة وخرافاتها وأصبح حالنا كما قال شاعر الصحوة بشار الزين

كانت لك العلياء مع آياته لكن بهجرك مزقت أوطان

و وقعت في شرك العدو فريسة و رماك فيه الضعف و الخذلان

فلم التخلي عن هداه و نوره و به العلا و المجد و العمران^(٤)

لماذا نغض الطرف عن المنهج الذي لا صلاح لنا إلا به، ولا صلاح لنا إلا فيه، فنذب على غير هدى كالعميان؟!

وما أجمل قول شاعر الإسلام والصحوة د/ عبد الرحمن العشماوي:

يا شاكيا من ليله وظلامه مهلا فعيشك باليقين يطيب
والفجر ميزان فسيح وجهه طلق وليس لقوله تكذيب
كل المنابع في يديك فلاتقف ظمآن قلبك حائر مكروب^(٥)

^(٤) ديوان مشاعل النور للشاعر كامل الزين ص ٦٣ ط دار الكتاب العالمي بدون.

^(٥) ديوان عندما تشرق الشمس د/عبد الرحمن العشماوي ص ٧٠ ط ١٤١٣١ هـ - ١٩٩١ م دار الصحوة للنشر.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

و نظرا لتمييز منهج القرآن الكريم في التربية أضع بين يدي القارئ الكريم هذا الكتاب ، و الذي عنوانه : [أصول التربية القرآنية و أساليبها]؛ ليقف القارئ على عظمة منهج القرآن الكريم الفريد و تفرده في مجال التربية ، بل و في كل المجالات ، ذلك المنهج الرباني الذي لا مناص عن اتباعه إن أردنا أن نوظف أمانتنا من نومها الذي طال أمده ، و نستنقذها من براثن أعدائها الذي يتربصون بها الدوائر

المخاطبون بالكتاب

١ - الوالدان

أيها الوالدان، إنكما مسئولان أمام الله - عز وجل- عن تربية الأولاد وفق منهج الله فاغرسا شجرة التوحيد والإيمان في قلوب الأبناء، وليكن كتاب الله أول ما تعلمانه لهم ففيه الهداية والعلم والصلاح، ثم سنة النبي صلى الله عليه وسلم- فيها الهداية والفلاح.

(النور/٥٤).

(وَإِنْ تَطِيعُوهُ تَهْتَدُوا)

ثم الحكمة في التربية والصبر واللين، وليكن الثواب والتشجيع أولاً، ولا عقاب إلا بعد استنفاد كل وسائل اللين والثواب، وتذكروا أن التفريط في مسئولية التربية وفق منهج الله عاقبتها النار

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غُلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)

(التحريم/٦).

أعطيا الأولاد من وقتكما قسطا موفورا للحوار والمناقشة والتفويم والتربية وغرس القيم النبيلة.



أيها المربون، التربية بالتلقين لا تفلح ما لم تكونوا أئمة في الخير يقتدي بكم، فلتكن التربية بحسن السيرة وجمال السلوك قبل أن تكون بالأمر والنهي والحث والنصح والإرشاد يقول الأستاذ/ محمد أحمد الراشد : فإن كل من يساهم في أعمال الدعوة، إنما هو قدوة يحتمل تأثيرها، ويجب أن يحوز شرط القدوة العملية، ومركز القدوة حساس دقيق جداً، ويجب ألا يوضع فيه إلا من كان مستعداً للأخذ بالعزيمة، والبعد عن الرخص، والا من كان يغلب عليه الجد والزهو والتجرد، ويشتاق إلى البذل، لأنه إمام لمن حوله يقلدونه، ولا بد أن يكون فعله أبلغ في التعبير عن عقيدته، ومعاني دعوته من قوله، لأن المنظر أعظم تأثيراً من القول ومن هنا لما همَّ إمام مصر الليث بن سعد بفعل مفضول بنافي العزيمة قال له إمام المدينة يحيى بن سعيد الأنصاري: لا تفعل فإنك إمام منظور إليك.

وقيل من لم تهذبك رؤيته فاعلم أنه غير مهذب، ومن لم ينعشك عبيره على بعد فاعلم أنه لا طيب فيه، ولا تتكلف أن تشمه.

وقيل :من وعظ أخاه بفعله كان هادياً^(١).

أيها المربون إنكم لا تستحقون صفة الريانية إلا بالعلم والحلم والثقة والعمل والتعليم والدعوة والحكمة والتدرج والصبر.

٣ - الخطباء والوعاظ

أيها الخطباء والوعاظ والدعاة، أنتم لسان الحق الناطق، ومن ثم وجب عليكم العناية بقضية التربية فبينوا للناس أهميتها وأصولها وأهدافها ووسائلها ومجالاتها، مع حسن العرض، وضرب الأمثال، واستنباط الدروس والعبر من القصص الرباني الجميل،

(١) المنطلق/ محمد أحمد الراشد ص ٢٠١ - ٢٠٢.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

وبينوا الحق للناس وعلموهم سنن الله الثابتة، وبينوا لهم سبل المجرمين ليكونوا منها على حذر، وإياكم وكتمان الحق، ثم إياكم والتقصير في مهمتكم وفي رسالتكم.

٤ - المعلم

أيها المعلم أيا كان تخصصك، وأيا كان موقعك، يا حامل الشعلة، يا وريث الأنبياء، ما أعظم رسالتك، وما أشق مهنتك، فاصبر واحتسب، أمامك الأبناء صفحة بيضاء نقية فاكتب فيها كل المعاني الطيبة، واغرس فيهم الإيمان والعقيدة والأخلاق الإسلامية، وبين لهم هدفهم ودورهم في الوجود، واكشف لهم مؤامرات أعدائهم، وخذ بأيديهم إلى طريق الجد والعزيمة، وعودهم النظام وحسن السمات والأدب، واعلم أنك على ثغر فاحذر أن يؤتي الإسلام من قبلك، واعلم أن الله معك يسددك ويوفقك ويدود عنك ويحفظك ، لكن احفظ الله بحفظ حدوده وأداء حقوقه يحفظك الله ، وهذه مجموعة من المفاهيم والتصورات الإسلامية التي ينبغي لك أن تغرسها في حسن أولادك ونفوسهم:-

- ١- معنى كلمة التوحيد "لا إله إلا الله".
- ٢- معنى شهادة أن محمداً رسول الله.
- ٣- مفهوم العمل الصالح وشروط قبوله.
- ٤- مفهوم التلقي للتنفيذ واقتضاء العلم بالعمل.
- ٥- مفهوم وجوب العمل لهذا الدين العظيم.
- ٦- مفهوم التعاون على البر والتقوى.
- ٧- مفهوم وحدة الأمة المسلمة.
- ٨- علمهم التصورات الإسلامية الصحيحة وعليك بالإخلاص.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

(وقد قيل: لو أخلص المعلم وخرج عالماً واحداً لعلمنا كيف نخرج من المأزق الأمني المتردي الذي نعيش فيه ولتحولت أحوالنا إلى غير ما نحن فيه)^(٧).

وكذلك أخطب بهذه الرسالة كل مسئول في كل موقع ، وأذكر الجميع بقول الله عز وجل:
(وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ)
(البقرة/ ٢٨١)

وقد قسمت الكتاب إلى بابين :

الباب الأول : أصول التربية القرآنية وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : تلاوة الكتاب.

المبحث الثاني : تعليم الكتاب.

المبحث الثالث : تعليم الحكمة.

المبحث الرابع : التزكية.

المبحث الخامس : الريانية



(٧) رسالة إلى المعلم المسلم/ د.نظمي خليل أبو العطا ص٥٨.

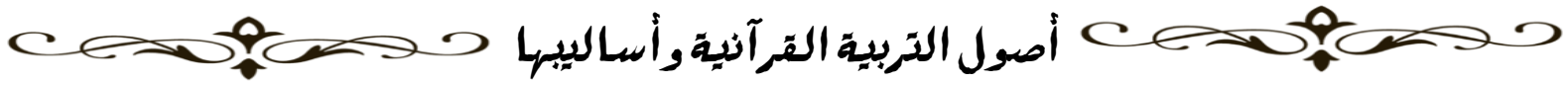
أصول التربية القرآنية وأساليبها

الباب الثاني : أساليب التربية القرآنية ويشمل ثمانية فصول:

- ١- الفصل الأول: التربية بالعبادة.
- ٢- الفصل الثاني: التربية بالقدوة.
- ٣- الفصل الثالث: التربية بالموعظة.
- ٤- الفصل الرابع: التربية بالعبرة.
- ٥- الفصل الخامس: التربية بالأحداث.
- ٦- الفصل السادس: التربية بالقصة.
- ٧- الفصل السابع: التربية بضرب الأمثال.
- ٨- الفصل الثامن: التربية بالثواب والعقاب.

و إليكم البيان و التفصيل :





الباب الأول : أصول التربية القرآنية

وهي خمسة أصول :

الأصل الاول: تلاوة الكتاب .

الثاني : تعليم الكتاب .

الثالث : تعليم الحكمة .

الرابع : التزكية .

الخامس الريانية .

وقد أفردت لكل أصل منها مبحثًا خاصًا به ليدور الحديث في هذا الباب حول خمسة مباحث هي :

المبحث الأول : تلاوة الكتاب.

المبحث الثاني : تعليم الكتاب.

المبحث الثالث : تعليم الحكمة.

المبحث الرابع : التزكية.

المبحث الخامس : الريانية



المبحث الأول: تلاوة القرآن

يقول الله تعالى : (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٢١)) (البقرة).

(يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ) أي: يتبعونه حق اتباعه كما قال ابن عباس وعنه أيضا قال : يحلون حلاله، ويحرمون حرامه، ولا يحرفون.

وقال عبد الله بن مسعود: والذي نفسي بيده إن حق تلاوته أن يحل حلاله، ويحرم حرامه، ويقراه كما أنزل الله، ولا يحرف الكلم عن مواضعه، ولا يتأول منه شيئا على غير تأويله. وعن مجاهد قال: يعملون به حق عمله. وقال آخرون: يقرأونه حق قراءته. هذه الأقوال السابقة حكاها ابن جرير الطبري ثم قال: أما قوله (يتلون حقا تلاوته) فمبالغة في صفة اتباعهم الكتاب ولزومهم العمل به، كما يقال: إن فلانا لعالم حق عالم، وكما يقال: إن فلانا لفاضل حق فاضل^(٨).

وقال أبو موسى الأشعري: من يتبع القرآن يهبط به على رياض الجنة. وعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: الذين إذا مروا بآية رحمة سألوها من الله، وإذا مروا بآية عذاب استعانوا منها.

وقال الحسن: هم الذين يعملون بمحكمة، ويؤمنون بمتشابهة، ويكلون ما أشكل عليهم إلى عالمه، وقيل يقرأونه حق قراءته^(٩). وقال النسفي (يتلون حقا تلاوته). أي: يقرأونه حق قراءته في الترتيل وأداء الحروف والتدبر والتفكير، ويعلمون به، ويؤمنون بما في مضمونه، ولا يغيرون ما فيه من نعت النبي صلى الله عليه وسلم^(١٠).

(٨) تفسير الطبري ج ١ ص ٥٩٨ - ٦٠٠.

(٩) تفسير القرطبي ط دار الريان بدون ص ٤٨٢ ج ١.

(١٠) مدارك التنزيل وحقائق التأويل / أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ص ٧٢ ط دار الفكر بدون ج ١.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

فالتلاوة التي ينبغي أن تُربي عليها الأجيال هي حق التلاوة أي: التلاوة المصحوبة بالتدبر والتفكير والخشوع، التلاوة للعمل والاتباع كما يفهم من أقواله علماء الأمة السابقة.

وهذه مجموعة من القواعد التطبيقية الموجزة للتلاوة النافعة يوجزها د/عدنان النحوي حفظه الله:

- ١- التدبر: فإذا سها المسلم أثناء التلاوة يتوقف، ويعيد من حيث ظن أنه سها.
- ٢- التوقف عند كلمة لا يعرف القارئ معناها، فيدرسها، ويدرس معناها، ثم يتابع، لتصبح المفردات أولاً معروفة المعنى، وليقوي المسلم على الفهم والتدبر.
- ٣- أن يكون بصوت حسن بين الجهر المرتفع، وبين المخافتة:

(وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (١١٠) (الإسراء).

- ٤- مراعاة أحكام التجويد ودراستها لمن يجهلها.
- ٥- أن تكون التلاوة يومية لكمية يحددها المسلم.
- ٦- أن يتمهل المسلم في التلاوة حتى يتدبر. (وَقْرَأْنَا فَرَقْنَاهُ لِنَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا (١٠٦) (الإسراء).

- ٧- أن يزداد القدر اليومي من التلاوة مع الأيام حتى يبلغ المسلم ما كان عليه الصحابة، وتظل التلاوة مهمة عمر، وليست عملاً مرحلياً. فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله أي العمل أحب إلى الله؟ قال: الحال المرتحل؟ قال: وما الحال المرتحل؟



قال : وما الحال المرتحل؟

قال: الذي يضرب من أول القرآن إلى آخره كلما حل ارتحل^(١١). ويمكن للمبتدئ أن يختتم القرآن الكريم مرتين في السنة ، ثم يزداد ذلك مع الممارسة والخبرة حتى يختتم القرآن كله في شهر أو في أسبوعين لمن يقوي على ذلك، ولنتذكر أن القرآن الكريم نزل مرتلاً ترتيلاً. (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا) (الفرقان/٣٢).

هذه هي القواعد السبع التي ننصح أنفسنا، وننصح المسلم باتباعها، ولا بد من أن تؤكد القاعدة الأخيرة، وأن نثبت ما سبق أن قلنا من أن صحبة منهاج الله هي صحبة عمر وحياة، وأول هذه الصحبة هي التلاوة^(١٢).

هكذا كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يربي الصحابة، ويعلمهم تلاوة القرآن، فكان إذا قرأ لم يصل آيتين، ولكن يقف على رؤوس الآيات ليتأمل، ويتدبر، ويقراه على مكث ومهل وذلك ليربي الأمة الناشئة على العلم والعمل معاً، وليسهل فهمه، وهذه قاعدة جليلة للانتفاع بالقرآن صدر بها ابن القيم - رحمه الله - كتابة الفوائد فقال: إذا أردت الانتفاع بالقرآن، فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألق سمعك، واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به - سبحانه - منه إليه، فإنه خطاب منك لك على لسان رسوله.



(١١) سنن الترمذي كتاب القراءات (٤٧) باب (١٣) ح رقم (٢٩٤٨) وقال الترمذي إسناده ليس بالقوى انظر سنن الترمذي بتحقيق الشيخ إبراهيم عطوة عوض ط ١ دار الحديث ج ١ ص ١٩٨.

(١٢) منهج المؤمن بين العلم والتطبيق /د/ عدنان علي رضا النحوي ط ٥ ١٤١٥ - ١٩٩٥ دار النحوي للنشر والتوزيع ص ١٢٢-١٢٣.

قال - تعالى:-

(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (٣٧) (ق/٣٧)

وذلك أن تمام التأثير لما كان موقوفاً على مؤثر مقتض، ومحل قابل، وشرط لحصول الأثر وانتقاء المانع الذي يمنع منه، تضمنت الآية بيان ذلك كله بأوجز لفظ وأبينه وأدله على المراد، فقوله (إن في ذلك لذكرى) إشارة إلى ما تقدم من أول السورة إلى هنا، وهذا هو المؤثر، وقوله (لمن كان له قلب) فهذا هو المحل القابل، والمراد به القلب الحي الذي يعقل عن الله كما قال تعالى: (إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ (٦٩) لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧٠) (يس).

أي: حي القلب وقوله (أو ألقى السمع) أي: وجه سمعه، وأصغى حاسة سمعه إلى ما يقال له، وهذا شرط التأثير بالكلام وقوله (وهو شهيد) أي شاهد القلب، حاضر غير غائب. قال ابن قتيبة: استمع كتاب الله وهو شاهد القلب والفهم، ليس بغافل ولا ساه، وهو إشارة إلى المانع من حصول التأثير، وهو سهو القلب وغيبته عن تعقل ما يقال له، والنظر فيه وتأمل، فإذا حصل المؤثر، وهو القرآن، والمحل القابل، وهو القلب الحي، ووجد الشرط وهو الإصغاء وانتفى المانع، وهو اشتغال القلب وذهوله عن معنى الخطاب، وانصرافه عنه إلى شيء آخر حصل الأثر، وهو الانتفاع والتذكر^(١٣).

فحياة القلب مع الإصغاء والتأمل، وخلو القلب من الشواغل يعين المسلم على فهم كتاب الله وتدبره. ويساعد على التدبر قراءة التفسير من كتب أهل العلم، وكذلك معرفة ناسخ القرآن من منسوخه، ومعرفة سبب النزول، الاستعانة غلي فهم الآية.



(١٣) الفوائد / ابن القيم ط٤ ص ٥-٦.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

ودفع الإشكال عنها حتى لقد قال الواحدي: لا يمكن معرفة تفسير الآية، دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها، وقال ابن تيمية معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالمسبب يورث العلم بالسبب^(١٤).

وقد وردت الإشارة إلى أسلوب التدبر في أربع آيات، أو في أربعة مواضع من القرآن الكريم وهي: قوله تعالى: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (٨٢))

(أفلا يتدبرون القرآن أم قلوب أقفالها) (محمد/٢٤).

- وقوله سبحانه: (أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ

(المؤمنون/٦٨).

- وقوله: (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ) (ص/٢٩).

والتدبر يشمل :

١- تدبر التركيب البنائي وذلك يشمل:-

أ - معنى الكلمة القرآنية .

ب- تخير الكلمة القرآنية .

ج- هدف الكلمة القرآنية .



(١٤) مناهل العرفان في علوم القرآن/ محمد عبد العظيم الزرقاني ج ١ ص ٧٨ ط ٥ دار الفكر ١٤١٦هـ - ١٩٩٦.

مثال على تدبر معنى الكلمة :

(إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) (النحل).

لكي نفهم معنى " قانتا " نرجع إلى قواميس اللغة لنجد المواضع التي استخدمت فيها الكلمة، ثم نستنبط المعنى العام فنجد القنوت. يستخدم في أربعة معانٍ: الصلاة، وطول القيام، ولادامة الطاعة، والسكوت.

وسئل ابن عمر عن القنوت فقال: ما أعرف القنوت إلا طول القيام، ثم قرأ (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا) (الزمر/٩).

وقال الزجاج: المشهور في اللغة أن القنوت الدعاء، وأن القانت الداعي.

وقوله تعالى: (كُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ (١١٦) (البقرة).

قيل: خاضعون؛ وقيل طائعون، وقيل : ساكتون، يعني عن كلام الآدميين وكل مالميس من الصلاة في شيء^(١٥).

فيكون المعنى: أن إبراهيم كان قدوة في الخير، كثير العبادة والدعاء، يديم الطاعة، لا يشغله عن العبادة شيء. ومن الأمثلة على تخير الكلمة القرآنية قوله تعالى: (لَهَاكُمُ النَّكَارُ (١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢) (التكاثر/ ١ - ٢)).

ومعنى الآية: شغلكم التكاثر في عروض الدنيا وزينتها عما هو أهم، وهو ذكر الله والاستقامة على طاعته فعمتكم الغفلة مدى حياتكم. والسؤال هو : لماذا يستعمل القرآن كلمة (زرتم) ولم يقل -مثلا- سكنتم المقابر، أو نزلتم المقابر.

(١٥) بصائر ذوي التمييز/ الفيروز ابادي ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤٢١- ٢٠٠٠ م ج ٤ ص ٢٩٨).

أصول التربية القرآنية وأساليبها

الجواب: إن استعمال كلمة زرتم يشير إلى الإقامة المؤقتة كالزيارة المؤقتة، ثم يعقبها الانتقال إلى دار القرار في الآخرة، وفي استعمال كلمة زرتم تضمين لمعانٍ عديدة تتعلق بالموت والبعث والحساب والعقاب، وتتأسق دقيق معها كلها^(١٦).

ومن ذلك مثلاً قوله: (وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا) (سورة النساء ٧٢).

لماذا لم يقل: يتباطأ، مع أنها أسهل في النطق؟، والجواب أن كلمة (ليبطئن) ترسم التبطئة في جرس العبارة كلها وفي جرس (ليبطئن) خاصة، وإن اللسان ليكاد يتعثر، وهو يتخبط فيها، حتى يصل ببطء إلى نهايتها^(١٧). ومن الأمثلة على هدف الكلمة في القرآن:

قوله تعالى (قَالَ رَبِّ أَتَى بِكَ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (٤٠)) (آل عمران).

السؤال: ما الهدف من استعمال (كذلك) في الآية الكريمة؟ ولماذا لم تكن الآية: قال: الله يفعل ما يشاء - أو الله يفعل ما يشاء؟ الجواب: إن وجود كلمة "كذلك" يضيف إلى الآية بعداً جديداً هو: الدالة على الدأب والاستمرارية، وإن هذا الفعل سنة قديمة لله في هذا الكون^(١٨). ويحتاج التدبر إلى دقة الملاحظة، وإلى الأناة والتروي والتدرج وعدم الاستعجال في القراءة، فليس المهم كم قرأت؟ ولكن الأهم ماذا فهمت؟ وكذلك الرجوع إلى كتب التفسير، ومعاجم اللغة، مع الثقة بالنفس، وصدق الرغبة في الفهم والتعلم.



(١٦) مناهج التربية الإسلامية/ ماجد عرسان الكيلاني ط ١ مؤسسة الريان ١٤١٩-١٩٩٨م ص ٣٣٤ - ٣٣٥.

(١٧) التصوير الفني في القرآن/ سيد قطب ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨م دار الشروق ص ٩٢.

(١٨) مناهج التربية الإسلامية د/ ماجد عرسان الكيلاني ص ٣٣٦.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

هذا هو الأصل الأول من أصول التربية القرآنية، أن يراعي المربيون تعليم النشئ القرآن، وذلك يشمل تعليمهم القراءة السليمة المجودة المرتلة، ويشمل تعليمهم المعاني بالشرح والتفسير، وتعليمهم التدبر والتأمل والتأني في القراءة، وتعليمهم العمل بما يقرأون، فقد علم النبي صلى الله عليه وسلم - الصحابة العلم والعمل جميعا وليعلم الناشئ المسلم أن صحبة القرآن والانتفاع به يقتضي تلاوته وسماعه وتدبره والعمل به والتحاكم إليه والاستشفاء به كما قال ابن القيم - رحمه الله -: هجر القرآن أنواع: أحدها: هجر سماعه، والإيمان به والإصغاء إليه. والثاني: هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه، وإن قرأه وآمن به. والثالث: هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه، واعتقاد أنه لا يفيد اليقين، وأن أدلته لفظية لا تحصل العلم. والرابع: هجر تدبره وتفهمه، ومعرفة ما أراد المتكلم به منه. والخامس: هجر الاستشفاء به ، والتداوي به في جميع أمراض القلوب وأدوائها، فيطلب شفاء دائه من غيره، ويهجر التداوي به، وكل هذا داخل في قوله: (وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا) (الفرقان/ ٣٠)

وإن كان بعض الهجر أهون من بعض.

وكذلك الحرج الذي في صدور منه، فإنه تارة يكون حرجا من إنزاله، وكونه حقا من عند الله، وتارة يكون من جهة التكلم به أو كونه مخلوقا من بعض مخلوقاته اللهم غيره أن تكلم به، وتارة جهة كفايته وعدمها، وأنه لا يكفي العباد، بل هم محتاجون معه إلى المعقولات والأقيسة أو الآراء أو السياسات، وتارة يكون من جهة دلالاته، وما أريد به حقائقه المفهوم منه عند الخطاب، أو أريد به تأويلها وإخراجها عن حقائقها إلى تأويلات مستكرهة مشتركة، وتارة يكون من جهة كون تلك الحقائق، وإن كانت مرادة فهي ثابتة في نفس الأمر أو أوهم أنها مرادة لضرب من المصلحة، فكل هؤلاء في صدورهم حرج من القرآن، وهم يعلمون ذلك من نفوسهم، ويجدون في التي تحول بينه وبين إرادته فتدبر هذا المعنى، ثم ارض لنفسك بما تشاء^(١٩).



(١٩) الفوائد لابن القيم ص ١٠٩-١١٠.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

ومما يجب أن يرسخه المربون في نفوس الناشئة عن القرآن:

١- أنه كتاب ختم الله به الكتب، وأنه المهيمن عليها جميعا، وأن الله سبحانه تكفل بحفظته، وقد وصل إلينا بالتواتر، ولم يتطرق إليه تحريف البتة، ولن يتطرف، فهو الكتاب الوحيد الذي تصح نسبته إلى الله - عز وجل -، وما سواه من الكتب فقد وصلت إليها يد الوضع والتحريف والحذف.

٢- (أنه دستور الخالق لإصلاح الخلق، وقانون السماء لهداية الأرض، أنهى إليه منزلة كل تشريع، وأودعه كل نهضة، وناط به كل سعادة.

٣- وهو حجة الرسول صلى الله عليه وسلم - وآيته الكبرى، يقوم في فم الدنيا شاهدا برسالته، ناطقا بنبوته، دليلا على صدقة وأمانته. وملاذ الدين الأعلى، يستند الإسلام إليه في عقائده وعباداته وحكمه وأحكامه وآدابه وأخلاقه، وقصصه ومواعظه، وعلومه ومعارفه.

٤- وهو عماد لغة العرب الأسمى: تدين له اللغة في بقائها، وسلامتها، وتستمد علومها منه على تنوعها وكثرتها، وتفوق سائر اللغات العالمية في أساليبها ومادتها.

وهو أولا وأخرا القوة المحولة التي غيرت صورة العالم، ونقلت حدود الممالك، وحولت مجرى التاريخ، وأنقذت الإنسانية العاشرة، فكأنما خلقت الوجود جديدا^(٢٠).



(٢٠) مناهل العرفان في علوم القرآن/ الشيخ/ محمد عبد العظيم الزرقاني ح ١ ص ٨.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

قال ابن جرير حدثنا ابن حميد: حدثنا جرير عن عطاء عن أبي عبد الرحمن قال: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا: أنهم كانوا يستقرئون من النبي صلى الله عليه وسلم -، فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً^(٢١).

وعن مسروق قال: كان عبد الله يقرأ السورة ثم يحدثنا فيها، ويفسر لها عامة النهار^(٢٢).

المبحث الثاني: تعليم الكتاب

تعليم الكتاب هو الأصل الثاني من أصول التربية القرآنية ومن المعلوم أن القرآن لكریم تضمن علومًا ومعارف يعجز البشر عن الاتيان بثلاثها، وتضمن حكماً وأحكاماً وأسراراً بها يحقق الإنسان سعادته في الدنيا والآخرة، ولا سبيل إلى معرفة هذه العلوم المختلفة، وهذا لتشريع، وهذه الهدايات، والوقوف عليها، والعمل بها إلا بفهم القرآن وتفسيره وتدبره، لن ملكة الفهم دخلها الفساد فصار الناس - إلا من رحم الله - لا يفهمون القرآن، ولا يفقهون ما فيه من درس وحكم ومواظ. ومواعظ.

وبدون فهم القرآن لا يمكن الوصول إلى كنوزه مهما رددنا تلاوته وأقمنا حروفه. وقد كان الصحابة - رضوان الله عليهم - يستشكل عليهم فهم بعض الآيات ويحتاجون إلى تفسير النبي صلى الله عليه وسلم - كما سألوه مثلاً عن قوله تعالى : (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ) (الأنعام/ ٨٢).



(٢١) مقدمة تفسير الطبري ح ١ ص ٤٢، والمبدع ج ٢ ص ٦٠ وفي كشف القناع ج ١ ص ٤٧١.

(٢٢) تفسير الطبري ص ٤٢.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

فقد روى البخاري عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: لما نزلت هذه الآية قال الصحابة: وأينا لم يظلم نفسه؟ وشق ذلك عليهم، فقال - صلى الله عليه وسلم - :أنه ليس الذي تعنون ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: (إن الشرك لظلم عظيم) إنما هو الشرك. هذه مهمة المربي أن يعلم الكتاب، ويفسر معانيه، ويعين لتلاميذه، ما أشكل عليهم. وتعليم الكتاب يكون ببيان ما خفي من معانيه، وما غاب واستتر من حقائقه، ما اشتمل عليه من أحكام وحكم وعبر ودروس وآداب وأخلاق ومعاملات، وبالجمله فتعليم الكتاب يقصد به: بيان المقاصد التي من أجلها أنزل الله - سبحانه - القرآن، وتعليم الكتاب - كما هو واضح - غير تلاوته، لأن التلاوة تكون بقصد حفظ الألفاظ ونطقها كما هي بلا لحن أو تحريف، وأما تعليم الكتاب فيكون بقصد حفظ المعاني والأحكام والحكم والدروس التي اشتمل عليها، وفهمها، وهو تفسير القرآن، ومن مهمة النبي - صلى الله عليه وسلم - ووظيفته البلاغ والبيان، وكل منهما يتضمن الآخر

قال الله عز وجل : (بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (٤٤) (النحل).

وقال سبحانه: (وما على الرسول إلا البلاغ المبين) (النور/٥٤)

وهذا يتضمن بلاغ المعنى، وأنه في أعلى درجات البيان.

قال ابن كثير: (بالبينات) أي بالحجج والدلائل (والزبر)، وهي الكتب (وأنزلنا إليك الذكر) يعني القرآن (لتبين للناس ما نزل إليهم) أي: من ربهم لعلمك بما أنزل الله عليك، وحرصك عليه، واتباعك له، ولعلمنا بأنك أفضل الخلائق وسيد ولد آدم، فتفصل لهم ما أجمل، وتبين لهم ما أكل (ولعلمهم يتفكرون) أي ينظرون لأنفسهم فيهدتدون فيفوزون بالنجاة في الدارين^(٢٣). وقال القرطبي - رحمة الله عليه - في مقدمة تفسيره: ثم البيان منه - صلى الله عليه وسلم - على ضربين.

(٢٣) تفسير ابن كثير ط دار التراث بدون ج ٢ ص ٥٧١.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

الأول: بيان المجل في الكتاب، كبيانه للصلوات الخمس في مواقيتها وسجودها وركوعها وسائر أحكامها، وكبيانه لمقدار الزكاة ووقتها فيفوزون بالنجاة في الدارين^(٢٤). وقال القرطبي -رحمة الله عليه- في مقدمة تفسيره: ثم البيان منه صلى الله عليه وسلم - على ضربين.

الأول: بيان المجل في الكتاب، كبيانه للصلوات الخمس في مواقيتها وسجودها وركوعها وسائر أحكامها، وكبيانه لمقدار الزكاة ووقتها وما الذي تؤخذ منه من الأموال، وبيانه لمناسك الحج كان صلى الله عليه وسلم يقول : ذا حج الناس " خذوا مني مناسككم " وقال: " صلوا كما رأيتموني أصلي " أخرجه البخاري. وروى ابن المبارك عن عمران بن حصين أنه قال لرجل: إنك رجل أحمق، أتجد الظهر في كتاب الله أربعاً لا يجهر فيها بالقراءة؟ ثم عدد عليه الصلاة والزكاة ونحو هذا، ثم قال : أتجد هذا في كتاب الله -تعالى- مفسراً، إن كتاب الله تعالى أبهم هذا، وإن السنة تفسر هذا.

وروى الأوزاعي عن حسان ابن عطية قال: كان الوحي ينزل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويحضره جبريل بالسنة التي تفسر ذلك.

وروى سعيد بن منصور :حدثنا عيسى بن يونس عن الأوزاعي عن مكحول قال: القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن، وله عن الأوزاعي قال: قال يحيى ابن أبي كثير: السنة قاضية على الكتاب، وليس الكتاب بقاض على السنة. وقال الفضل بن زياد :سمعت أبا عبد الله - يعني أحمد بن حنبل- وسئل عن هذا الحديث الذي روى أن السنة قاضية على الكتاب. فقال :ما أجسر على هذا أن أقوله، ولكني أقول :إن السنة تفسر الكتاب، وتبينه وبيان آخر وهو زيادة حكم كحكم تحريم نكاح المرأة على عمتها وخالتها. وتحريم الحمر الأهلية ذي ناب من السباع، والقضاء باليمين مع الشاهد وغير ذلك^(٢٥).

(٢٤) مناقب عمر / لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي الجوزي - ص ١٤ - ط ١ - ١٩٩٦ - دار ابن خلدون

(٢٥) مقدمة تفسير القرطبي ج ١ ص ٣٣-٣٤.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

وعلى هذا فقد كان المربي الأعظم صلى الله عليه وسلم - يعلم الصحابة القرآن والتفسير وهذا معنى البلاغ والبيان، وذلك ما حققه شيخ الإسلام ابن تيمية ومن بعده السيوطي - رحمهما الله - ولا يحصل البيان الذي أنزل الذكر لأجله على النبي صلى الله عليه وسلم إلا ببيان لفظه ومعناه، فنقل معاني القرآن عنه - صلى الله عليه وسلم - كنقل ألفاظه سواء وقد كان ذلك هو المنهج الذي نهجه صحابة النبي - عليه الصلاة والسلام - في تعليمهم الكتاب، فكانوا يجلسون، ويقرأون القرآن، ويتدارسون معناه، ويفسره لهم ابن مسعود أو ابن عباس أو غيرهما من الصحابة الكبار العلماء رضوان الله عليهم أجمعين.

عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات، لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن، والعمل بهن^(٢٦).

قال ابن جرير - رحمه الله - قال أبو جعفر

وقد حث الله - عز وجل - عباده على الاعتبار بما في أي القرآن من المواعظ والتباني بقوله جل ذكره لنبيه - صلى الله عليه وسلم - (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ (٢٩)

قوله: (وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٧) قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٢٨))

وغير ذلك من أي القرآن الكريم التي أمر الله عباده، وحثهم فيها على الاعتبار بأي القرآن، والاتعاظ بمواعظه، ما يدل على أن عليهم معرفة تأويل ما لم يحجب عنهم تأويله من آيات، أنه محال أن يقال لمن لا يفهم ما يقال له، ويعقل تأويله، اعتبر بما لا فهم لك به، ولا معرفة من القيل والبيان، إلا على معنى الأمر بأن يفهمه ويفقهه، ثم يتدبره ويعتبر به.

(٢٦) مقدمة تفسير الطبري ط ص ٤٢ والحديث سبق تخريجه ص ٥١.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

وأما قبل ذلك، فمستحيل أمره بتدبره، وهو بمعناه جاهل، كما محال أن يقال لبعض أصناف الأمم الذين لا يعقلون كلام العرب، ولا يفهمونه لو أنشدت قصيدة شعر من أشعار بعض العرب ذات أمثال ومواعظ وحكم، اعتبر بما فيها من الأمثال، واذكر بما فيها من المواعظ إلا بمعنى الأمر لها بفهم كلام العرب ومعرفته، ثم الاعتبار بما نبهه عليه ما فيها من الحكم فأما وهي جاهلة بمعاني ما فيها من الكلام والمنطق فمحال أمرها بما دلت عليه معاني ما حوته من الأمثال والعبر، بل سواء أمرها بذلك، وأمر بعض البهائم به، إلا بعد العلم بمعاني المنطق والبيان الذي فيها، فكذلك ما في أي كتاب الله من العبر والحكم والأمثال والمواعظ لا يجوز أن يقال اعتبر بها، إلا لمن كان بمعاني بيانه عالماً، وبكلام العرب عارفاً، ولا بمعنى الأمر لمن كان بذلك منه جاهلاً أن يعلم معاني كلام العرب، ثم يتدبره بعد، ويتعظ بحكمه وصنوف عبره، فإذا كان ذلك كذلك، وكان الله - جل ثناؤه - قد أمر عباده بتدبره وحثهم على الاعتبار بأمثاله، كان معلوماً أنه لم يأمر بذلك من كان بما يدل عليه أية جاهلاً. وهكذا تلقى السلف الصالح القرآن ومعناه، إحكاماً للفظ وإتقاناً للمعنى، وكانوا ينكرون على من انصرف عن فهم القرآن، وقد روى ابن جرير عن سعيد بين جبير قال: من قرأ القرآن، ثم لم يفسره كان كالأعمى^(٢٧).

وبهذا لن ينصلح حال التربية والتعليم مع هذا الانفصال النكد بين المواد والمناهج الدراسية وبين القرآن الكريم بل يجب الربط بين كل العلوم والمناهج وبين القرآن عند تعليم الطلاب وتربيتهم، وذلك لأن القرآن كتاب هداية، وهو كذلك كتاب علم، بل يثبت العلم مع مشرق كل شمس إعجاز القرآن الكريم الذي حوى علوم الطبيعة والبحار والجبال والتاريخ والطب بنوعية الوقائي والشفائي والحساب والفلك، وغيرها من العلوم وصدق الله: (ما فرطنا في الكتاب من شيء) (الأنعام/ ٣٨).



(٢٧) مقدمة تفسير الطبري - ج - ص ٤٣.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

قال القرطبي: فلما كان كتاب الله هو الكفيل بجميع جميع علوم الشرع الذي استقل بالسنة والفرض، ونزل أمين السماء إلى أمين الأرض، رأيت أن اشتغل به مدى عمري، واستفرغ فيه قوتي بأن أكتب فيه تعليقا وجيزا يتضمن نكتا من التفسير واللغات والإعراب والقراءات والرد على أهل الزيغ والضلالات^(٢٨)

وهذا الفضيل بن عياض سيد التابعين يطرق عليه جماعة الباب يريدون طلب العلم فقال لهم: أنتم تطلبون العلم بالجهل، وقد ضيعتم كتاب الله، ولو طلبتم كتاب الله لو جدتم فيه شفاء لما تريدون.

فقالوا: قد تعلمنا القرآن. فقال: إن في تعلمكم القرآن شغلا لأعماركم، وأعمار أولادكم. قالوا: كيف يا أبا علي؟ قال: لن تعلموا القرآن حتى تعرفوا إعرابه، ومحكمه من متشابهه، وناسخه من منسوخه، فإذا عرفتم ذلك استغنيتم عن كلام الفضيل، وابن عيينه ثم قال: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٥٧) قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٥٨)) (يونس) (٢٩).

ولقد كان من إفساد الإنجليز للتربية والتعليم في مصر أن قسموا التعليم إلى ديني يدرس في الأزهر، ودنيوي أو عام أنشأوا له المدارس والجامعات، وضيقوا على الأزهر وخريجي الأزهر، وشدوا عليه الخناق، وقد كان التعليم من قبل كله في الأزهر الذي كان جامعة عامة لا فصل فيها بين العلوم الدينية الشرعية وما يتصل بها من علوم اللغة، وبين علوم الطبيعة والعلوم التجريبية، بل كان الطالب يدرس القرآن والسنة وعلومهما، واللغة وآدابها وعلومها والفيزياء والكيمياء والرياضيات والفلك ليخرج من الأزهر عالما موسوعيا ملما بكثير من العلوم .

(٢٨) مقدمة تفسير القرطبي - ح ١ - ص ٢.

(٢٩) السابق ص ١٨-١٩.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

ومن أهم العلوم التي ينبغي أن نعلمها للطفل والشاب المسلم، ونحن نعلمه القرآن ونفسره له علم التوحيد، وغذا كان شرف العلم بشرف المعلوم فعلم التوحيد هو أشرف العلوم على الإطلاق بأنواعه التي لا تخلو منها سورة من سور القرآن الكريم ومن ثم وجب الاهتمام به، والحرص على تعليمه لما له من شأن عظيم ومنزلة عالية.

ودليل عظمته وأهميته للمسلم:-

١- أن الرسل لم تدع إلى شئ قبله، ولم تنته عن شئ قبل ضده، وجعله الله - عز وجل - شرط دخول الجنة، والعق من النار.

٢- أن القرآن كله في تقرير التوحيد بأنواعه، لأنه:-

أ- إما خبر عن الله - عز وجل - وما يجب أن يوصف به، وما يجب أن ينزه عنه وهو التوحيد العملي الخيري الاعتقادي.

ب- ولما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع ما يعبد من دونه وهو التوحيد الطلبي الإرادي.

ج- ولما أمر ونهي وللزام بطاعته، فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته.

د- ولما خبر عن إكرامه لأهل التوحيد، وما فعل بهم في الدنيا من النصر والتأييد وما يكرمهم به في الآخرة، وهو جزاء توحيدهم، أو خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في العقبي من العذاب، فهو جزاء من خرج عن حكم توحيدهم^(٣٠).



(٣٠) مختصر معارج القبول للشيخ حافظ حكمي اختصره أبو عاصم هشام بن عبد القادر بن محمد آل عقدة ط

١٤١٨٥ مكتبة الكوثر ص ١٩-٢٠.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

وتعليم الناشئة التوحيد هو الذي يقوي أصلابهم، ويشد أزهرهم، ويملأ قلوبهم ثقة في نصر الله وتأنيده وحفظه، وينزع من قلوبهم الخوف مما سوى الله بشراً كان أو حجراً أو شجراً أو جناً أو سلطة، وما الخوف الذي يملأ قلوب كثير من العباد عند مواجهة الباطل وهبوب رياحه إلا بسبب نقص في التوحيد، ولو كمل التوحيد في قلب العبد لم يخف إلا الله قال ابن القيم رحمه الله - : فإذا جرد العبد التوحيد، فقد خرج من قلبه خوف ما سواه وكان عدوه أهون عليه من أن يخافه مع الله، بل يفرد الله بالمخافة وقد أمنه منه، وخرج من قلبه اهتمامه به، واشتغاله به، وفكره فيه، وتجرد لله محبة وخشية ولانابة وتوكلاً واشتغالا به عن غيره، فيرى أن أعماله وفكره في أمر عدوه وخوفه منه واشتغاله به من نقص توحيده، ولا فلو جرد توحيده، لكان له فيه شغل شاغل، والله يتولى حفظه والدفع عنه، فإن الله يدافع عن الذين آمنوا، فإن كان مؤمناً فאלله يدافع عنه ولا بد، وبحسب إيمانه يكون دفاع الله عنه، فإن كمل إيمانه؛ دافع الله عنه أتم دفاع، وإن مزج مزج له، وإن كان مرة ومرة فאלله له مرة ومرة، كما قال بعض السلف: من أقبل على الله بكليته أقبل الله عليه جملة، ومن أعرض عن الله بكليته، أعرض الله عنه جملة، ومن كان مرة ومرة، فאלله له مرة ومرة. فالتوحيد حصن الله الأعظم، من دخله كان من الآمنين قال بعض السلف: من خاف الله خافه كل شيء، ومن لم يخف الله أخافه من كل شيء^(٣١). ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم - حريصاً أشد الحرص وهو يعلم الصحابة الكتاب أن يعلمهم التوحيد، ويرببهم عليه حتى لا تشوبه أدنى شائبة، فإن التوحيد كالمرآة الصافية يكرر صفوها أدنى وألطف شيء، والتركيز على قضية التوحيد عند تعليم الكتاب في غاية الأهمية لسبب آخر غير ما سبق، وهو أن الصراع القائم في الأرض بين الحق وأهله من ناحية، وبين الباطل وأهله من ناحية قديماً وحديثاً كان من أجل هذه القضية، ولم يكن الصراع بين الحق والباطل يوماً بسبب الرغبة في سيادة أرضية ولا سلطة سياسية، ولا شرف ولا آبار النفط والغاز، ولا مناجم الذهب، والمعادن فكل هذه من المسائل الهامشية التي تأتي في المنزلة الثانية إنما الصراع على قضية التوحيد.

(٣١) بدائع الفوائد لابن القيم - ط مكتبة التوفيقية - ح ١ - ص ٤٠١-٤٠٤.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

وكذلك يجب التركيز على قضية التوحيد لما نشهده في عصرنا من وقوع كثير من الناس في الشرك، سواء كان شرك القصور، وذلك بترك إتباع الأوامر الربانية مخافة الكبراء، وتحليل الحرام وتحريم الحلال مخافتهم، أو كان شرك القبور باللجوء إلى المقبورين من الصالحين والتوسل بهم واعتقاد النفع والضرر فيهم، وذلك واقع مشهود، وأضرحة الأولياء تعج بالبكائين ممن ينزلون حوائجهم بغير الله، وليعلم المربون أن استقرار حقيقة التوحيد في نفس الناشئ تعطيه التوازن والإيجابية والقوة الجبارة التي لا تقاوم، والتي لا تقف دونها العراقل، يجب أن يستقر في حس المسلم وفي قلبه أنه لا إله إلا الله، وأنه لا نافع ولا ضار إلا الله، وأنه لا متصرف في شأنه وشأن الكون كله إلا الله، وأن الأمور كلها مقاليدها بيديه -سبحانه- فيتوجه إليه صباح مساء بالشعائر التعبدية وبالطلب والرجاء وبالخشية والتقوى كذلك يعتقد المسلم أنه لا حاكم إلا الله، ولا مشرع إلا الله، وأنه لا منظم لحياة الناس وعلاقاتهم إلا الله، كل ذلك من التوحيد ومقتضيات التوحيد. يقول صاحب الظلال مبيناً أثر استقرار عقيدة التوحيد في القلب: واستقرار هذه الحقيقة في ضمير الجماعة المسلمة الأولى هو الذي أنشأ هذه المجموعة الفريدة الممتازة في تاريخ البشرية كله على الإطلاق، وبدون استثناء، فقد عاشوا هذه الحقيقة، عاشوها حية في نفوسهم عاشوها ليل نهار، وصباح مساء. عاشوها كما يعيشون حياتهم اليومية الواقعة، عاشوا مع الله يحسون وجوده في نفوسهم، وفي حياتهم أعمق من حس اللبس والرؤية، عاشوا في كنفه وفي رعايته، عاشوا تحت عينه وفي رقابته، والتمسوا يده -سبحانه- تتدخل تدخلا مباشرا في الصغير والكبير من أمورهم، وتتقل خطاهم، وترقيها، وترشدهم، وتعقب عليهم في الصغيرة وفي الكبيرة، ومن ثم كانوا هذا الذي كانوا من الحساسية والطمأنينة معا، ومن التواضع والعزة معا، ومن التواضع لله والعزة بالله ومن الخضوع والاستعلاء معا.



أصول التربية القرآنية وأساليبها

الخضوع لله والاستغلاء على أعداء الدين - ومن ثم صنع الله بهم في هذه الأرض ما صنع من الصلاح والعمار، ومن الرفعة والطهارة مما لم يسبق ولم يلحق في تاريخ بني الإنسان^(٣٢). ومن العلوم التي يجب أن يتعلمها الطالب ونحن نعلمه كتاب الله وتفسره له الحديث النبوي فإنه المبين لمراد الله من الآية ويشهد بما شهد به القرآن - وما التفسير بالمأثور إلا تفسير القرآن بالقرآن وبالسنة ومن أمثلة تفسير القرآن تفسير النبي صلى الله عليه وسلم - الحساب اليسير بالعرض، فعن عائشة رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "من نوقش الحساب عذب".

قالت فقلت: أفليس قال الله تعالى:

(الانشقاق).

(فَسَوْفَ يَحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا) (٨)

قال : ليس ذلك بالحساب، ولكن ذلك العرض، من نوقش الحساب يوم القيامة عذب^(٣٣). ومثل ذلك تفسير النبي صلى الله عليه وسلم - القوة بالرمي فيما رواه مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم - قرأ على المنبر قوله تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) (الأنفال/٦٠). فقال: (ألا إن القوة الرمي، ألا أن القوة الرمي)^(٣٤).

فلا غنى للمفسر عن حديث النبي صلى الله عليه وسلم - لأنه - صلى الله عليه وسلم - أعلم الخلق بمراد الله تعالى، ويحتاج كذلك تعليم الكتاب إلى اللغة العربية وعلومها وآدابها، ومن ثم وجب على المربين توجيه طلبة العلم إلى تعلم النحو والصرف والبلاغة والبيان والبدیع ومعرفة علم المعاني. والفصل والوصل، وذلك لأن القرآن نزل باللغة العربية الفصحى كما قال سبحانه

(٣٢) خصائص التصور الإسلامي ومقوماته/ سيد قطب ط ٧ دار الشروق ص ١٥٦.

(٣٣) البخاري (كتاب الرقاق) (باب) من نوقش الحساب عذب ح ٦٥٣٦ ج ٥ ص ٢٣٩٤ ومسلم (كتاب) الجنة وصفة نعيمها وأهلها (باب) إثبات الحساب ح ٢٨٧٦ ج ٤ ص ٢٢٠٤.

(٣٤) مسلم (كتاب) الإمارة (باب) فضل الرمي والحث عليه وذم من علمه ثم نسبه ح ١٩١٧ - ج ٢ ص ١٥٣٢.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

(: نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (١٩٥))
(الشعراء).

ومن لم يتعلم العربية، ويحسن النطق بها، ولم يتذوقها -فهي لغة التذوق-، فإنه لن يفهم القرآن الكريم، ومن هنا نعلم أن الحرب المعلنة قديماً وحديثاً على اللغة العربية، والقول بأنها لا تصلح لغة للعلم، ولا تسعف مفرداتها تلك المصطلحات العلمية المعقدة، ولا تلك المخترعات المتتالية، والدعوة إلى تمصير اللغة، أو الدعوة إلى العامية كل ذلك في الحقيقة حرب ضد القرآن، وضد الإسلام، وهذه الدعوة الخبيثة الماكرة قديمة حديثة دعا إليها من قبل طه حسين ورفاقه من عشاق الغرب، وعبيده وأسراره دعاة التجديد في اللغة، الذي هو في الحقيقة هدم للغة وللدين، ويدعو اليوم إليها دعاة الحداثة الثائرون على تراثنا الإسلامي والعربي، وهذا كلام نفيس للأستاذ الأديب المسلم مصطفى صادق الرافعي في الرد على طه حسين، ودعاة التجديد اللغوي في كل عصر، يبين أهمية العربية لفهم القرآن يقول - رحمه الله - ، وأجزل له المثوبة: إن أرادوا "بالذهب الجديد" أن يكتب الكاتب في العربية منصرفاً إلى المعنى والغرض تاركاً اللغة وشأنها، متعسفاً فيها، آخذاً ما يتفق كما يتفق، وما يجري على قلمه كما يجري، معتبراً ذلك اعتباراً من يرى أن مخه بلا غلاف من عظام رأسه، وأن عظام رأسه كعظام رجله، وأن أصابع قدميه كأهداب عينيه، وأن مطلق التركيب هو مطلق النظام والمناسبة، وأن اللغة أداة ولا بأس بالأداة ما اتفق منها، ولا بأس أن يمزع الجراح مزعاً من جلد العليل بأسنانه أو بأظافره أن ينصل الفأس، مادامت معقمة، ومادام ذلك بعينه هو فعل المبضع، لا يزيد المبضع عليه إلا في الدقة..... إن أرادوا بهذا أو أشباهه ما يسمونه المذهب الأدبي الجديد، قلنا: لا، ثم لا، ثم لا، ثلاث مرات.



أصول التربية القرآنية وأساليبها

فأما الأولى : فإن خيرا من ترك الجاهل في جهله أن يزجر عن جهله، وإذا كان مذهب الضعف ألا يحمل عليه إلا بقدره، وفي طاقته فهل يجعل ذلك أصلا للقوة والضعف؟ إن هو إلا استثناء منها، وقاعدة الاستثناء أن يقيد بنصه، ولا يتوسع فيه....

وأما الثانية : فإن هذه العربية لغة دين قائم على أصل خالد هو القرآن الكريم، وقد أجمع الأولون والآخرون على إعجازه بفصاحته، إلا من لا حفل به من زنديق يتجاهل، أو جاهل يتزندق، فإذا كان المعجز في لغة من اللغات بإجماع علمائها وأدبائها من قديمه خاصة فهل يكون الجديد فيها كما لا يسمو أم نقصا يتدلى؟

ثم إن فصاحة القرآن يجب أن تبقى مفهومة، ولا يدنو الفهم منها إلا بالمران والمزاولة، ودرس الأساليب الفصحى، والاحتذاء عليها، ولحكام اللغة والبصر بدقائقها، وفنون بلاغتها والحرص على سلامة الذوق فيها، وكل هذا مما يجعل الترخص في هذه اللغة وأساليبها ضربا من الفساد والجهل، فلا تزال اللغة كلها مذهباً قديماً، وإنما يكون المذهب الجديد فيها رجلاً إلى حين ثم يدخل مذهب القبر...

وأما الثالثة : فإن الخاصة في فصاحة هذه اللغة ليست في ألفاظها، ولكن في تركيب ألفاظها، كما أن الهزة والطرب ليست في النغمات، ولكن في وجوه تأليفها، وهذا هو الفن في الأسلوب، لأنه يرجع إلى الذوق الموسيقي في حروف هذه اللغة وأجراس حروفها، وأشهد ما رأيت قط كاتباً واحداً من أهل "المذهب الجديد" يحسن شيئاً من هذا الأمر، ولو هو أحسنه لنكشف له من إحسانه ما لا يبقى عنده شكاً في إبطال هذا المذهب وتوهمه، ولذا تراهم يعتلون لمذهبهم الجديد بالفن والفكر وبكل شئ إلا الفصاحة، وإذا فصخوا جاءوا بالكلام الفج الثقيل والمجازات المستوخمة، والاستعارات الباردة، والتشبيهات المجنونة، والعبارات المضطربة التي تقع في النفس كما تقع الكرة المنفوخة من الأرض لا تزال تنبؤ من موضع إلى موضع حتى تهمد^(٣٥).

(٣٥) تحت راية القرآن/ مصطفى صادق الرافعي ط ١ دار الإيمان ١٤١٧=١٩٩٦ ص ١٣-١٥ باختصار.

المبحث الثالث: تعليم الحكمة

من مهام النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو المعلم والمربي تعليم الحكمة، وهي السنة، وقد أخبر الله سبحانه أنه أنزل الحكمة، كما أنزل القرآن فقال سبحانه:

(وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا)
(النساء/ ١١٣)

وقال سبحانه : (وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ)
(البقرة/ ٢٣١)

وأخبر سبحانه أن الحكمة تتلى فقال سبحانه:

(وَاذْكُرْ مَا يَتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ)
(الأحزاب/ * ٣٤)

قال ابن كثير - رحمه الله - (وأنزل الله عليك الكتاب) وهو القرآن. (والحكمة) وهي السنة^(٣٦).

وقال الشوكاني - رحمه الله - (واذكروا نعمة الله عليكم) أي النعمة التي صرتم فيها بالإسلام وشرائعه بعد أن كنتم في جاهلية جهلاء، وظلمات بعضها فوق بعض والكتاب: هو القرآن، والحكمة قال المفسرون:

هي السنة التي سنّها لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "يعظكم به" أي يخوفكم بما أنزل عليكم، وأفرد الكتاب والحكمة بالذكر مع دخولهما في النعمة دخولا أولياً تنبيهاً على خطرهما، وعظم شأنهما^(٣٧).

(٣٦) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٥٥٤.

(٣٧) فتح القدير / محمد بن علي بن محمد الشوكاني ط ٢ دار الوفاء ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م ج ١ ص ٤٢٢.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

فمهمة المربي الأولى تعليم الكتاب والحكمة، وتوجيه تلاميذه إلى الاعتصام بهما والتمسك بهما في كل حين لا سيما في زمن الفتن والمحن، فإن من تمسك بهما وصل إلى بغيته، وأدرك مراده، ولم يضل، وقد وجهنا الله سبحانه إلى ذلك في قوله: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) (آل عمران/ ١٠٣)

قال الكرمانى: المراد بالحبل: الكتاب والسنة على سبيل الاستعارة، والجامع كونهما سببا للمقصود، وهو الثواب والنجاة من العذاب، كما أن الحبل سبب لحصول المقصود من السقي وغيره والمراد بالكتاب: القرآن المتعبد بتلاوته، وبالسنة ما جاء عن النبي - صلى الله عليه وسلم - من أقواله وأفعاله وتقريره وما هم بفعله، والسنة في أصل اللغة الطريقة، وفي اصطلاح بعض الفقهاء ما يرادف المستحب، وقال ابن بطال: لا عصمة لأحد إلا في كتاب الله، أو في سنة رسوله أو إجماع العلماء^(٣٨).

الحكمة إذن هي سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - وقد تطلق على امتثال الأوامر، واجتناب النواهي، وهي العمل بما في القرآن أمراً ونهياً، كما جاء ذلك في قوله تعالى: (ذلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ) (الإسراء/ ٣٩).

واسم الإشارة "ذلك" يعود إلى ما تقدم ذكره التكاليف الشرعية التي يتطرق إليها النسخ، والتي تبلغ خمسة وعشرين تكليفاً بدءاً من قوله سبحانه: (لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا) (الإسراء/ ٢٢)

وختمها قوله سبحانه: (وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا) (الإسراء/ ٣٩).



(٣٨) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ط١ - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م دار الريان للتراث ح١٣ ص ٢٥٩ - ٢٦٠.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

وزهد ابن عباس - رضي الله عنهما - إلى الحكمة هي المعرفة بالقرآن، وفقه ما فيه من العلوم: ناسخة ومنسوخة، ومحكمة ومتشابهة، ومقدمة ومؤخرة وحلاله وحرامه، وأمثاله.

وأخرج ابن مردويه عنه أنها القرآن، يعني: تفسيره.

وأخرج ابن المنذر عنه أنها النبوة.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر عنه قال: إنها الفقه في القرآن.

وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي الدرداء "يؤتى الحكمة"

قال مجاهد: هي الكتاب يؤتى إصابته من يشاء، وقال أيضا هي: الإصابة في القول^(٣٩).

وعن مجاهد قال "الحكمة" ليست بالنبوة ولكنه العلم والفقه والقرآن.

وقال أبو العالية: الحكمة خشية الله، فإن خشية الله رأس كل حكمة.

وقال مالك - رحمه الله - : إنه ليقع في قلبي أن الحكمة هي الفقه في دين الله، وأمر يدخله الله في القلوب من رحمته وفضله، ومما يبين ذلك أنك تجد الرجل عاقلا في أمر الدنيا، إذا نظر فيها، وتجد آخر ضعيفا في أمر دينه، عالما بأمر دينه بصير به يؤتاه الله إياه، ويحرمه هذا، فالحكمة الفقه في دين الله^(٤٠).

والحكمة كذلك الفهم والعقل والذكاء والفتنة قال الله عز وجل:

(وشددناه ملكه وآتيناه الحكمة وفضل الخطاب) (ص/٢٠)



(٣٩) فتح القدير للشوكاني ج ٢ ص ٤٩٤.

(٤٠) تفسير ابن كثير ح ١ ص ٣٢٢.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

قال مجاهد: الحكمة: الفهم والعقل، وقال مرة: الحكمة العدل.

وقال مرة: الحكمة: الصواب.

وقال قتادة: كتاب الله، واتباع ما فيه^(١).

وعلى هذا فالحكمة ليست كلاماً من عند الناس، وليست فلسفة بشرية بعيدة عن الكتاب والسنة. فمفهوم الحكمة مرتبط بأصل الشرع والحق.

(عن أنس بن مالك قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً فأفرغه في صدري، ثم أطبقه)^(٢).

وهذا الحديث يحدد قيمة الحكمة في تحديد منهج الدعوة، وتكوين أصحابها، وإنشاء واقعها، وتحقيق غايتها حيث امتلأ بها صدر النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو صاحب الدعوة، مع الإيمان وهو قضية الدعوة في لحظة واحدة.

كما يؤكد النص قيمة الحكمة من خلال مجيئها يحملها جبريل وهو روح القدس، في طست من ذهب وهو أغلى المعادن، في مكة وهي البقعة المباركة، ليلة الإسراء والمعراج، وهي أعظم اللحظات ليمتلئ بها صدر رسول الله وهو خير الخلق، بعد غسله بماء زمزم وهو أطهر الماء، ورغم ذلك فالحكمة في واقع الدعوة القائم الآن قضية غائبة غيبها فهم خاطئ عنها، وأبقى لنا منها في عقولنا فكرة "اللين" المحدود فصرنا نفهم أن الحكمة هي كلمة لين أو موقف رقة



(١) ابن كثير/ ج ٤ ص ٣٠.

(٢) متفق عليه البخاري في الصلاة (باب) كيف فرضت الصلوات في الإسراء (١/٤٥٨-٤٥٩) ومسلم في الإيمان (باب) الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرجه إلى السموات ح ١٦٣ ج ١ ص ٣٦٣.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

فضاعت الأبعاد الهائلة لقضية الحكمة، وأمسينا في فتنة نارها فكر مشنت اشتعل ليحرق بقايا متفرقة من واقع يابس ومهياً للاحتراق^(٣).

قال الشيخ عائض القرني:

التدرج في التربية، واليسر في المنهج، والهدوء في السير كلها من الحكمة.

ورسولنا صلى الله عليه وسلم - ضرب أروع المثل في هذه الحكمة، فإذا خلقه يسبي القلوب، ويشترى الأرواح، ويطوق الأعناق (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَنِتَّ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) (آل عمران/ ١٥٩)

بشرى من الغيب في فم الغار وحياً وأفضت إلى الدنيا بأسرار

بشرى النبوة طافت كالشذى سحراً وأعلنت في الدنيا ميلاد أنوار

إن الصحوة التي إمامها - صلى الله عليه وسلم - تطالب من المربين ورواد الطليعة الحكمة والالتزان والهدوء، وإن الرفق أقرب الطرق إلى الوصول^(٤).

من كل ما سبق من أقوال أهل العلم يمكن أن نستخلص أموراً تتعلق بتعليم الحكمة يجب على المربين تنشئة الأجيال المسلمة عليها ومن ذلك:

١. أن الحكمة أصل شرعي تربوي ينبثق من الكتاب والسنة.

٢. وأنه يكتسب كذلك بالمداومة على طلب العلم الشرعي والإخلاص في ذلك، وبالعمل الصالح.



(٣) حكمة الدعوة / رفاعي سرور ص ٣ - ٤.

(٤) ولكن كونوا ربانيين / عائض القرني ط ١ دار ابن حزم ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ص ١٦٥-١٦٦.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

٣. وأن الحكمة لا تعني اللين والرفق دائماً، وعلى كل حال ، وإنما قد تكون الشدة حكمة، إذ الحكمة وضع الشيء في موضعه من غير زيارة أو نقصان ، ومن غير تقديم أو تأخير، فالرفق أحياناً يكون هو الحكمة، والشدة أحياناً تكون هي الحكمة، وتأمل موقف الصديق - رضي الله عنه - مع مانعي الزكاة حيث سلك طريق الحكمة فأثر الشدة وآخر اللين - رغم ما يعرف عنه من لين ورفق، وجيش الجيوش، وحارب مانعي الزكاة، كما حارب المرتدين.

٤. الحكمة هي صراط الله المستقيم، وهي سنة النبي - صلى الله عليه وسلم قال تعالى (وأن صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون) (الأنعام/١٥٣) (إن الطريق المستقيم هو السنة، والسبل هي الأهواء، وما هو إلا طريق واحد كما خط النبي - صلى الله عليه وسلم - بيده) (٤٥).

٥. الحكمة إتباع النبي - صلى الله عليه وسلم - في كل ما أمر، وترك ما نهى عنه وزجر، وتوقيره - صلى الله عليه وسلم -، وطاعه أمره، وعدم تقديم قول أحد، أو مذهب أحد على قوله. قال الله عز وجل (من يطع الرسول فقد أطاع الله) (النساء/٨٠)

وقال (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (آل عمران/٣١)

وقال (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيَسَلِّمُوا تَسْلِيماً) (النساء/٦٥)



(٤٥) منهج الأشاعرة في العقيدة/د/سفر الحوالي مكتبة العلم بدون ص ٣٧.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

ومن الحكمة التدرج في التربية، والمرحلية فيها، فلمرحلة الاستضعاف أحكامها وآدابها ومنهجها، ولمرحلة التمكين أحكامها وآدابها، وقد يسع المسلم في مرحلة ما لا يسعه في غيرها، والحكمة هي العاصم والميزان.

٦. الحكمة في الدعوة تعني: مخاطبة الناس على قدر عقولهم، مع حسن النصيحة لهم، والرفق في دعوتهم، وترك الغلظة والجفوة، مع الصبر على مضاضة الإعراض، وثقله العناد، والتواء النفوس، وضلال القلوب.

٧. ومن الحكمة التغافر والتسامح، وحسن التعامل مع المخالف مع مراعاة أدب الخلاف، وأدب الحوار، وذلك لإطفاء نار فتنة الخلاف المستعرة الموقدة المورثة للشقاق والفرقة والنزاع والبغضاء والفشل، ومن المحكمة مراعاة أدب الحوار (والحوار فضيلة إنسانية عامة ترتبط بالفطرة الإنسانية التي فطر الله - سبحانه وتعالى - الناس عليها، ليتعارض البشر وتتعارف الأمم والشعوب، ولدرء شرور الحرب الهوجاء التي تقوم على جهالة أو باطل، أو سوء فهم أحد طرفيها للآخر، ولقد جاء الإسلام معززاً لهذه النظرة ومذكراً بها، ومنبهاً على آليات تنفيذها في الواقع، ومن ذلك الدعوة إلى ممارسة الحوار والجدال بالحكمة والموعظة الحسنة، ومن ذلك الدعوة إلى توحيد المرجعية الشرعية، لحسم الخلاف عند الإسلاميين، وحصرها في القرآن والسنة، ومن ذلك أيضاً عشرات النصوص: عشرات النصوص في القرآن التي تحذر من فتنة الخلاف غير المنضبط، والمورث للشقاق والفرقة والبغضاء وهي نصوص من الوفرة بما يصعب معها الحصر^(٤٦).



(٤٦) في فقه النهضة/ جمال سلطان ص ١٠ نشر التجمع الإسلامي في أمريكا الشمالية ١٤٢٢ - ٢٠٠١ م.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

فمن الحكمة نبذ الخلاف وتغليب جانب التآلف القلبي على الفتن الفكرية، والخلافات الحزبية حتى نغدو كالجسد الواحد، كالبنيان المرصوص المتلاحم المتماسك يشد بعضه بعضاً؛ لنقف أمام أعداء الإسلام صفاً واحداً لا صفوفاً متفرقة وشراذم متنافرة، والحكمة أيها المربون تعني التمهّل والتفكير في المآل والعواقب وعدم التسرع، والبعد عن التحرك من منطقي ردود الأفعال، ذلك التحرك السريع غير المتعلّق مع حسن معاملة الناس، والحرص على هدايتهم، والإخلاص في نصّحهم، مع مراعاة أدب النصيحة، ومن الحكمة مراعاة الواقع وفقهه، وعدم التعجل في تغيير المنكر إلا بعد استكمال فقه هذا الأصل من العلم بالمسألة التي يأمر بها، أو ينهي عنها، و من النظر في نتيجة أمره ونهيّه، وهل يزال المنكر، أم يحل محله منكر يساويه أو يربو عليه، وهل له أعوان عليه أم لا إلخ.

(فالمشكلة تتمثل في عدم فهم البعض من أبناء الأمة لفقه الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، الذي يجعل منه منهجاً علمياً بعيداً عن المزاجية الشخصية، أو التوترات العصبية، أو العواطف النفسية أو الفوضى الاجتماعية ونحوها، وحتى لا يترك هذا الجانب، أو يهمل، أو يساء فهمه، فيرتب عليه ما يترتب من مفسد ومضار - لا سمح الله - فإن معرفة وإدراك معنى الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر يجعل منه منهجاً يحمي المجتمع من الرذائل والمفاسد، ولذلك لم يجعله وسيلة لكشف عورات المسلمين وإيذائهم، أو وسيلة للتشهير بهم والانتقام للنفس منهم، وإنما جاء هدي النبوة ليعدد مراتبه، وليضع ضوابطه، وليحدد مسؤولياته سواء كانت على مستوى الفرد والجماعة، أو السلطة الحاكمة^(٤٧).



(٤٧) دروس تزيوية نبوية/ صالح أبو عراد الشهري مجلة دعوة الحق قصدها رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة

العدد ١٢٦ - ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م ص ٨٥.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

فعلى المربين مراعاة الحكمة في تربية الأجيال المسلمة، وعليهم أن يكونوا قدوة لتلاميذهم حتى يتعلموا منهم، ويتربوا على الحكمة في سلوكهم، وفي دعوتهم وعليهم أن يغرسوا فيهم فيما يتعلق بتعليم الحكمة ما يلي:

١. وجود محبة النبي - صلى الله عليه وسلم - أكثر من النفس، والوالد، والولد، والأهل، والمال، والناس أجمعين.

٢. أن حبه - صلى الله عليه وسلم - من أسباب الحصول على حلاوة الإيمان في الدنيا، ومرافقته - صلى الله عليه وسلم - في الآخرة.

ولحبه - عليه الصلاة والسلام - علامات منها:

• استعداد تام لبذل النفس والمال دونه - صلى الله عليه وسلم -.

• امتثال أوامره، واجتناب نواهيه - صلى الله عليه وسلم - .

• نصر سنته، والذب عن الشريعة^(٤٨).

وكذلك تصديقه - صلى الله عليه وسلم - فيما أخبر به، وذلك من ركائز الإيمان، واتباعه وطاعة أمره، قال سبحانه: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (٣١).



(٤٨) حب النبي - صلى الله عليه وسلم - وعلاماته/ فضل إلهي دار الاعتصام بدون ص ٩٢.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

وكذلك من علامات حبه التحاكم إلى سنته في كل أمر، ومن تعليم الحكمة تعليم الناشئة الوسائل المعينة على إتباع النبي - صلى الله عليه وسلم - ومنها:

١. تقوى الله عز وجل والخوف منه قال سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا) (الأنفال/ ٢٩) فرقان يفرق المسلم به بين الحق والباطل فيكون سببا لنجاته.

٢- الإخلاص لله والتجرد في طلب الحق لأبد من التجرد وحسن القصد عند طلب الحق، والمعنى التجرد من الهوى والجهل والظلم، وذلك لا يكون إلا بالإخلاص، وذلك يحتاج إلى سعى العبد في تزكية نفسه، وتنقيتها من الشوائب، وللزامها طاعة الله، وترك معصيته ظاهرا وباطنا.

٣- اللجوء إلى الله، والتضرع إليه، وإظهار الافتقار إليه، وقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - كثيرا ما يفعل ذلك، كان دعاؤه حين يفتتح الصلاة من الليل: (الله رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم) (٤٩). وكان من دعائه - صلى الله عليه وسلم - أيضا (اللهم انفعني بما علمتني، وعلمني ما ينفعني، وزدني علما) (٥٠).

٤- تعلم الأحكام الشرعية

وذلك لأن الإسلام دين مبني على الوحي، والوحي لا يدرك إلا بالتعلم، وبالتالي لا وسيلة للعمل بأحكام الإسلام، وإتباع النبي - صلى الله عليه وسلم - إلا عن طريق التعلم لما جاء في القرآن والسنة (فاعلم أنه لا إله إلا الله) (محمد/ ١٩) (اقرأ باسم ربك الذي خلق) (العلق/ ١)



(٤٩) مسلم (كتاب) صلاة المسافرين وقصرها (باب) صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ودعاؤه بالليل: ج ١ ص ٥٣٤ رقم ٧٧٠.

(٥٠) (صحيح) رواه ابن ماجه في (كتاب) المقدمة (باب) الوصاة بطلبة العلم ح رقم ٢٥١ ج ١ ص ٩٢.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

والقراءة أداة التعلم، ومن أكبر عوائق الاتباع الجهل والهووى^(٥١).

ويعين على الاتباع البيئة الصالحة، والرفقة الصالحة، وحسن تفهم النصوص، والقراءة في سيرة السلف رحمهم الله، ورضي عنهم.

المبحث الرابع : التزكية

وهي المهمة الرابعة للمربي بعد تلاوة الكتاب وتعليمه وتعليم الحكمة

قال سبحانه: (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ) (البقرة/ ١٢٩)

أولاً: مفهوم التزكية: لغة التطهير والتنقية^(٥٢).

اصطلاحاً: التزكية: التطهير والتنقية من السوء والقبائح والمنكرات، والتزكية ثمرة لما سبق، ثمرة لمصاحبة كتاب الله - سبحانه - وتلاوته آناء الليل وأطراف النهار طلباً لرضا الله، وثمره لمعرفة علوم القرآن والتفقه فيه، وثمره لمعرفة السنة وفهمها والعمل بها، قال الطبري: التزكية: تطهير الناس من الشرك، وعبادة الأوثان، وتنميتهم وتكثيرهم بطاعة الله^(٥٣).

فالتزكية تطهير للقلب، وتربيته، وتنميته بالكمال والصلاح، وتزكية للنفس بفعل الصالحات وترك السيئات.



(٥١) حقوق النبي بين الإجلال والإخلال/ مجموعة علماء نشر المنتدى الإسلامي ص ١٣٠-١٣٢.

(٥٢) المعجم الوجيز ص ١٢٠.

(٥٣) تفسير الطبري/ ١ ص ١٤٥.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

ويرى بعض المعاصرين أن التزكية معنوية ميدانها المعتقدات والقيم والثقافة، وتزكية مادية مادتها النظم والتطبيقات أي: أنها تزكية للمشاعر والأحشاء، وللثقافة الخارجية التي تشكل البيئة العامة التي توجه إنجازات الأمة، وتلون نشاطاتها فيقول:

التزكية عملية تطهير وتنمية شاملين هدفها استبعاد الموهنة للإنسانية الإنسان، وما ينتج عن هذا الوهن من فساد وتخلف وخسران، وتنمية كاملة للعناصر المحققة للإنسانية الإنسان، وما ينتج عن هذه التنمية من صلاح وتقدم وفلاح في حياة الأفراد والجماعات^(٥٤).

ثانياً مجالات التزكية :

لا تقتصر التزكية على محاسبة النفس والوقوف معها كل حين لتصحيح مسارها، وإنما تتسع التزكية لما هو أكبر من ذلك فتشمل ما يلي:-

١. تزكية النفس قال الله عز وجل: (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠) (الشمس/٧-١٠)

قال الطبري: (قد أفلح من زكاها) يقول: قد أفلح من زكى الله نفسه، فكثرت تطهيرها من الكفر والمعاصي وأصلحها بالصالحات من الأعمال.

قال قتادة: من عمل خيراً، وزكاها بطاعة الله.

وقال ابن زيد: قد أفلح من زكى الله نفسه. (قد خاب من دساها) من دسس الله نفسه فأهملها، ووضع منها بخذلانه إياها عن الهدى، حتى ركب المعاصي وترك طاعة الله^(٥٥).



(٥٤) مناهج التربية الإسلامية د/ماجد عرسان الكيلاني ص ١٣٥.

(٥٥) تفسير الطبري ج ١٥ ص ٢٥٦ - ٢٥٧.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

فالفلاح كل الفلاح في محاسبة النفس وتركيتها وتنميتها بطاعة الله - عز وجل - وفعل الخيرات والتسابق في ميدانها، وبمحاسبة النفس وعتابها ولومها وتقريعها وتأنيبها عند التفريط في جنب الله، وعند اقتراف ما حرم الله.

ومن تزكية النفس أخذها بالعزائم، وعدم ترك العنان لها لتعب من الرخص فإنها لا تشبع منها.

٢. تزكية القلب والروح، وذلك باتباع الوحي قرآنا وسنة، وقطع العلائق وقوة الصلة بالله عز وجل ، والحذر من الهوى، فإن القلب لا يفسده شئ كما يفسده الهوى، والهدى والنعيم باتباع هدى الله.

(فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى) (طه/١٢٣).

قال ابن القيم رحمه الله: تعاهد قلبك فإن رأيت الهوى قد أمال أحد الحملين، فاجعل في الجانب الآخر ذكر الجنة والنار ليعتدل الحمل، فإن غلبك الهوى فاستعنت بصاحب القلب يعينك على الحمل، فإن تأخرت الإجابة فابعث رائد الانكسار خلفها تجده عند المنكسرة قلوبهم، اللطف مع الضعف أكثر فتضاعف ما أمكنك^(٥٦).

فزكاة القلب بنجاته من الهوى.

٣. تزكية العقل: ذلك باستخدام طاقة العقل في الخط الذي رسمه له القرآن، وذلك بالتمييز بين الحق والباطل، والتفكير في خلق السموات والأرض والسياسة والتأمل، والتعرف على سنن الله في الكون، والبعد بالعقل عن الخوض في الغيبات التي تتبدد فيها طاقاته ويرتد خاسئاً وهو حسير من رحلة التفكير فيها.

(٥٦) بدائع الفوائد لابن القيم - المكتبة التوفيقية بدون ج ٢ ص ١٩٩.

أصول التربية القرآنية وأسااليبها

ومما يزكي العقل النقد الذاتي، وذلك النقد الذي يحمل صاحبه المسؤولية بدلا من التوصل منها، وكذلك الإبداع والابتكار والتجديد بدلا من التبعية العمياء والتقليد لهذا ينبغي القرآن على المقلدين آباءهم بلا تعقل أو تمييز يقول سبحانه: (إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ) (الزخرف/٢٣).

ويزكي العقل التفكير العلمي البعيد عن الظن والهوى.

قال سبحانه:

(وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) (الإسراء/٣٦).

ينبغي إذن للمربي المسلم أن يعمل على تزكية تفكير الناشئة من التفكير الخرافي المبني على الظن والهوى، وتوجيهه إلى الوعي، وإلى معرفة السنن الإلهية في حياة الأفراد والجماعات، بل والكائنات الأخرى خلال مسيرة التاريخ الإنساني والكوني، وإلى البحث في الآثار العمرانية التي خلفتها المجتمعات التي صامت السنن وخلفتها، وهي آثار مدمرة ما في ذلك شك.

قال سبحانه: (قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمَكْدُوبِينَ) (آل عمران/١٣٧).

وقال سبحانه: (يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبينَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (النساء/٢٦).



أصول التربية القرآنية وأساليبها

٤. تزكية الجسم: ومعناها: تنظيم حاجات الجسم وتركيتها بالبعد عن الإسراف والتبذير، وعن الحرام في المأكل والمشرب.

قال سبحانه: (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) (الأعراف/٣١).

وقال سبحانه: (يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ) (المائدة/٤).

وقال سبحانه: (وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ) (الأعراف/١٥٧).

وكذلك بإعطاء الجسم قدراً من الراحة والرياضة، وكذلك الترفيه المباح ليقوم بوظيفته على أكمل وجه.

ثالثاً : وسائل التزكية

هذه مجموعة من وسائل التزكية الشاملة للإنسان قلباً وروحاً ونفساً وعقلاً وبدناً، وهي وسائل شرعية قرآنية ينبغي العناية بها - وتربية الناشئ عليها من ذلك:

١- الذكر ذكر الله - عز وجل - سبب تنزيل السكينة، وغشيان الرحمة، ومع كثرة فوائده فهو أيسر العبادات، وذكر الله - سبحانه - والمداومة عليه يقي العبد الغفلة ويؤمنه من النسيان الذي هو سبب الشقاء في المعاش والمعاد.

(وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (الحشر/١٩)

وقال سبحانه: (فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُوا) (البقرة/١٥٢).

يحتاج المسلم إلى ذكر الله ليحيي قلبه أكثر من حاجته إلى الطعام والشراب.



أصول التربية القرآنية وأساليبها

ويحتاج المسلم المعاصر إلى الذكر؛ ليقوى قلبه، وتذهب عنه كل أنواع المخاوف وللذكر تأثير قوي عجيب في حصول الأمن الذي نفتقده

قال سبحانه: (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)

(الرعد/٢٨).

ولما كانت النبذة ثقيلة، وحرفة العمل الإسلامي عسيرة كان الذكر عوناً للمسلم على حمل التبعة وتبليغ الكلمة قال ابن القيم - رحمه الله - إن ذكر الله - عز وجل - يسهل الصعب، ويسير العسير، ويخفف المشاق، فما ذكر الله - عز وجل - على صعب إلا هان، ولا على عسير إلا تيسر، ولا مشقة إلا خفت، ولا شدة إلا زالت، ولا كربة إلا انفرجت، فذكر الله تعالى هو الفرج بعد الشدة، واليسر بعد العسر، والفرج بعد الغم والهم^(٥٧).

ولذا كانت الأعمال كلها شرعت لذكر الله - عز وجل -، فإن الذكر أكبر من الأعمال وأفضل منها قال سبحانه: (اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ) (العنكبوت/٤٥)

قال ابن زيد وقتادة معناه : ولذكر الله أكبر من كل شئ وكان شيخ الإسلام أبو العباس - قدس الله روحه - يقول: الصحيح أن معنى الآية: أن الصلاة فيها مقصودان عظيمان، وأحدهما أعظم من الآخر: فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، وهي مشتملة على ذكر الله تعالى، ولما فيها من ذكر الله أعظم من نهيهما عن الفحشاء والمنكر^(٥٨).

على ذلك ينبغي أن نتربى ونربي أبنائنا وشبابنا: على الذكر الدائم الذي ينجي من الغيبة والنميمة واللغو واللهو والزور، وعلى الذكر الذي يذهب عن القلب الوحشة، ويملؤه أنسا بالله والفكر والعمل والجوارح حتى تتزكى الأرواح والأنفس.

(٥٧) الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم ط ١ دار الريان ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م ص ١٠٥.

(٥٨) السابق ص ١٠٣.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

٢- الصلاة: عون على المصاعب ومعراج الصعود والارتقاء وحبل متين يتبلغ به المسلم إلى حاجته قال سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)

(البقرة/١٥٣)

والصلاة صلة مع الله هدفها قطع كل الصلوات بما سواه تلك الصلوات التي تفرزها حالات الضعف الإنساني، وثمرتها صيانة قوى النفس - أي قوى العقل والإرادة - من الإفراط والتفريط، ولبقاؤها في حالة الوسطية أي حالة العافية التي تتوجه بهذه القوى إلى غاياتها التي خلقت لها، فالإنسان خلال التعامل اليومي مع البيئة المحيطة تتعرض قوى العقل والإرادة فيه لمضاعفات - الطغيان والاستضعاف - ويصبحان عرضة للتوجه بالحمد والاستعانة والطاعة لغير الله فإذا أصابها ذلك جاءت الصلاة لتزكيتها مما علق بهما في الفترة الواقعة بين الصلاتين، وأعادتها إلى حالة العافية التي يجسدها حمد الله، والاستعانة به، والاستيقان بأنه المالك للنشأة والحياة المصير، والانقطاع عن الصلاة يؤدي إلى ضعف المسلم أما مؤثرات البيئة المحيطة ووقوعه ضحية للهوى والشهوة المفضيين إلى انحراف قوى العقل والإرادة وتوجهها بالحمد والاستعانة إلى غير الله، وإلى انحراف دوافع الغضب والشهوة والتدبير وتوجهها إلى غير مرادات الله والقرآن الكريم يسمى انحراف هذه القوى حسب المفهوم القرآني هو موطن القوى المشار إليها.

(أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَاِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ)

(الحج/٤٦) (٥٩).



أصول التربية القرآنية وأساليبها

ويتكامل مع الصلاة الوضوء في تطهير النفس وتركيتها فعندما أمرنا الله عز وجل بالوضوء قبل إقامة الصلاة بين الهدف من ذلك فقال سبحانه: (مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ) (المائدة/٦)

فالوضوء مادي حسي يغسل الأعضاء مما قد يكون علق بها من أوساخ، وهو كذلك تطهير معنوي فالوضوء مكفر من مكفرات الذنوب يرفع الله به الدرجات ويحط به الخطايا ويمحو السيئات، وكذلك الأذان الذي ينطلق خمس مرات لينادي الغافلين الغارقين في الحرث والزرع والبيع والشراء وفي أعمال الحياة اليومية لينذكروهم أن الله سبحانه وتعالى أكبر من كل شيء هم فيه غارقون، وبه منشغلون، وحين يثني بكلمة التوحيد بالشهادة فإنه ينبه القلوب إلى وجوب إقرار الله عز وجل بالحب والولاء والطاعة والتوجه وإن عليهم أن يقيموا حياتهم وفق سنة النبي - صلى الله عليه وسلم -

وحين ينادي "حيّ على الصلاة" فإنه يذكر المسلمين بوجوب توثيق الصلة بالله، والتمسك بحبله، قبل أن ترهم الدنيا تركية للنفس والروح أيما تركية "وحي على الفلاح" نداء لكل الناس المسلمين فهم ليحرزوا الفلاح ويمتطون مطايا النجاة، ولغير المسلم ممن آثر طريق الخسران أن يطمأن عناده ويفئ إلى طريق الهداية والفلاح. ثم تنبيه ثان "الله أكبر" ليسمع من لم يكن قد سمع ولينجز من سمع وتقاعس وليرعوى عن غيه وينهض ملبياً نداء الحق.

٣. الزكاة

الوسيلة الثالثة من وسائل التزكية، وهي من أهم المظاهر العلمية التي تترجم علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، وذلك لإسهامها في تحقيق العدل والتكافل،



أصول التربية القرآنية وأساليبها

وذلك من خلال إمداد الفقير بما يكفل له حياة كريمة، وكذلك تسهم الزكاة في تحقيق علامة الإحسان التي بها يرتقي الجنس البشري من خلال تطهير نفوس الأغنياء من أمراض الشح والبخل والطغيان، وكذا تطهير نفوس الفقراء من أمراض الفتن العمياء.

قال سبحانه: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (التوبة/ ١٠٣).

وقال سبحانه: (وَسَيَجْزِيهَا الْآتَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨). (الليل).. ومما يدل على أهمية الزكاة أنها شرط لتنزل الرحمة الإلهية. (ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة) (الأعراف/ ١٥٦).

وهي كذلك سبب من أسباب النمو الاقتصادي، ووقاية من شر الاستغلال والاحتكار المفضيين إلى الحقد والحسد والفتن العمياء المدمرة والكوارث الماحقة.

قال سبحانه: (وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبٍّ لَّا يَرْبُو فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضَعِفُونَ) (الروم/ ٣٩).

فالزكاة تزكية للنفس، وللأمة من أن تترد إلى مرحلة التخلف والانحيار.

٤. الصوم: وسيلة لتزكية النفس والروح والبدن هدفها تربية الإرادة المتحررة، وتربية وازع التقوى.

قال سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة/ ١٨٣).

الصوم زكاة للنفس يخلصها من انحرافات وآفات من الأنانية والشح والغرور.



أصول التربية القرآنية وأساليبها

والصوم فرضاً وتطوعاً عنصر أصيل هام من مجموعة عناصر لازمة في إعداد النفوس لاحتتمال مشقات الطريق المفروش بالعقبات والأشواك، والذي تنتشر على تربية الإرادة والعزيمة التي تحمل المسلم على العمل والتي يغري سيفها ويطارد فلول جيش الكسل والتواني، ويقضي على زيف الأماني، الإرادة التي تجعل المسلم ذا همة عالية، وتجعله عنصراً إيجابياً مؤثراً في المجتمع الذي يعيش فيه.

٥. الحج : كله تربية وتزكية، فهو فرض على القادر وذلك تيسير من الله عز وجل، وفي مكة أرض الصحراء الجدياء لتربي الفرد على التجرد من كل أسباب اللهو والمتعة، وليتذكر وهو شبه عار في تلك الصحراء أرض المحشر فالإحرام تجرد من رفث الدنيا وفسوقها ومعاصيها وتجرد من ولاءاتها العصبية، ودخول في طاعة الله، وولايته وحده.

و "التلبية" تزكية للأفراد والجماعات من الاستعمالات الخاطئة لمفاهيم الحمد تشيعها ثقافات العصبية وتغزي الاتباع بترديدها، فتجعل الحمد لغير الله، وتسند النعمة والملك للآلهة والأنداد.

"الطواف حول البيت" هو تطهير للعقول والإرادات والممارسات من الطواف حول أهواء العصبية وأصنامها.

"وتقبيل الحجر الأسود، أو الإشارة إليه: "هو رمز لمبايعة الله ومحبه، وطاعته، وترفع الأصنام – الأنداد الذين تتصبهم الجاهلين، ويسبح بحمدهم إعلام العصبية و"السعي بين الصفا والمروة" رمز لسعي المسلم خلال العقود السبعة من عمره الفاعل المؤثر، الذي يبدأ من صفاء الفطرة، ولا يهبط عن نبل المروة وعزمها. و"الوقوف على جبل عرفات" رمز لتعارف المؤمنين، وتجميع للذين ترشحهم العناية الإلهية لوظيفة الإمامة في الأرض.



أصول التربية القرآنية وأساليبها

" والإفاضة نحو المزدلفة" رمز لزخوف المؤمنين نحو أهدافهم في الجهاد والدعوة. "ورمي الجمرات في منى" رمز لجهاد الزخوف المسلمة وصبي جمرات غضبها خلال العقود السبعة من أعمارها طبقاً لترتيب المواجهة مع شياطين الباطل، شياطين الجند الصغار، وشياطين القادة الوسط، ورؤوس الشياطين المدبرة للفتن، المشبعة للظلم والفساد.

"وتقديم الأضاحي" هو رمز لتضحيات المؤمنين وما يتطلبه الجهاد من تكاليف فإذا أكمل الحجاج هذه المناسك طافوا. "طواف الإفاضة" إذانا من الله للإفاضة إلى مواقع رباطهم على ثغور الإسلام في الأرض كلها ليحولوا ما قاموا به من مناسك دينية إلى سياسات دنيوية^(١٠).

وهكذا يتضح أن الحج أركانه وسننه كله تربية بدايةً من الإحرام أول أركانه وحتى طواف الإفاضة إذاناً من الله للإفاضة إلى مواقع رباطهم على ثغور الإسلام في الأرض كلها ليحولوا ما قاموا به من مناسك دينية إلى سياسات دنيوية^(١١).

وهكذا يتضح أن الحج أركانه وسننه كله تربية بدايةً من الإحرام أول أركانه وحتى طواف الإفاضة، يزكي الأنفس والأرواح والقلوب، ويعلق القلوب بالله ويملأها شوقاً إليه ورهبة منه في أن مهام المربي كثيرة، لكن التزكية من أصعب مهامه وذلك لأن التزكية هي خطوة عملية، أو تطبيق عملي لما سبق تعلمه، ومن أجل ذلك فإن الله سبحانه لما بين هذا المنهج ورسمه في كتابه، وبين أن من صفات هذا المعلم الذي بعث في الأميين أن يزكيهم، ويطهرهم من أدران الشرك والذنوب والآثام عقب على ذلك بمثال من يحفظ هذا المنهج، ولا يعمل به لا يحصل له التطهير والتزكية



(١٠) مناهج التربية الإسلامية/ ماجد الكيلاني ص ٢٧٣ - ٢٧٥.

(١١) مناهج التربية الإسلامية/ ماجد الكيلاني ص ٢٧٣ - ٢٧٥.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

فقال: (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (الجمعة/٥).

وكل من علم ولم يعمل بعمله، بهذا مثله، وهذه صفقته، وهذه حاله وبئس المثل. وكل من رغب عن هذا المنهج بطريقته التي بينها يعد سفيها ولذلك عقب على ذكره

بقوله: (وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مِنْ سَفَاهَةٍ نَفْسِهِ) (البقرة/١٣٠).

ومن معاني الملة اللغوية: الطريقة^(٢٢).

فلابد من العمل والحركة فليس الإيمان نظريات مجردة ولا مشاعر كامنة في الضمير ولا يدلّك على ذلك بأوضح برهان كالتعرف على طبيعة هذا الدين فهو دين العمل والحركة منذ نزل إلى الأرض، ودين الجهاد.

إنها هوة كبيرة جداً بين هذا الإيمان الحي المتحرك الوثاب الذي يخطئ فيرى عقوبة خطيئته، ويصيب فيرى بركة استقامته، وبين تلك القضايا الذهنية الباهتة الباردة التي يتوهمها الكلاميون، والعواطف الغامضة المشوشة التي يتحرصها الصوفيون^(٢٣).

لابد إذن من تربية الشباب المسلم على العمل والحركة الدائبة وأول خطوة في طريق هذه التربية والتزكية هي تعريف الشباب المسلم طبيعة هذا الدين، وطبيعة منهجه فهو دين الواقعية الجدية، والواقعية الحركية.



(٢٢) مجلة البيان العدد / ١٣٠ ص ٢٥.

(٢٣) ظاهرة الأرجاء في الفكر الإسلامي/د/ سفر عبد الرحمن الحوالي

المبحث الخامس : الربانية

أولاً مفهوم الربانية لغةً : الربانيون هم المنسوبون إلى الرب وواحدهم رباني^(٦٤).

ثانياً اصطلاحاً: الربانيون: هم الذين يربون الناس بصغار العلم قبل كباره على هذا فالربانية هي الاتصاف بالعلم والفقه والحلم والحكمة وهي أصل أصيل من أصول التربية، غاب أو كاد أن يغيب من حياة المسلمين، بل ومن كتب التربويين رغم أهميته، ورغم حاجة المسلمين الشديدة إليه، ولم لا وقد أمر الله عباده به، وحثهم عليه، وبين مقوماته وعناصره، وكذا بين الله - عز وجل - ثماره في الدنيا والآخرة، وعلمنا - سبحانه - كيف نحيا الربانية.

وهذان موضعان من سورة آل عمران تحدثا عن هذا الأصل، وبيننا أهميته وعناصره وثمرته وكيفية إحيائه، الموضع الأول: قوله تعالى: (مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (٧٩) وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (٨٠))

والموضع الثاني قوله تعالى: (وَكَايْنِ مَنْ تَبَى قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦) وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (١٤٧) فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٤٨))

(آل عمران/ ١٤٦-١٤٨).



(٦٤) المعجم الوسيط ج ١ ص ٢٢٠.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

عن ابن عباس قال: قال أبو رافع القرظي حين اجتمعت الأحزاب من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ودعاهم إلى الإسلام: أتريد يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى بن مريم؟

فقال رجل من أهل نجران نصراني يقال له الرئيس: أو ذاك تريد منا يا محمد واليه تدعوننا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "معاذ الله أن نعبد غير الله، أو أن نأمر بعبادة غير الله، ما بذلك بعثني، ولا بذلك أمرني، أو كما قال - صلى الله عليه وسلم - فأنزل الله في ذلك من قوله: (مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ.....)

إلى قوله تعالى (... بَعْدَ إِذِ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) (٨٠/آل عمران) (٦٥).

ذلك سبب نزول الآية كما ذكره ابن كثير، وقد ذكر الزمخشري في كشفه وأردفه بسبب آخر حيث قال: وقيل: قال رجل: يا رسول الله، نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض أفلا نسجد لك؟ قال: لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله، ولكن أكرموا نبيكم، واعرفوا الحق لأهله (٦٦). وفي الآيات يأمر الله - عز وجل - على لسان نبيه - صلى الله عليه وسلم - عباده أن يكونوا ربانيين فما معنى الربانية؟

قال القرطبي: الربانيون واحد هم رباني منسوب إلى الرب، والرباني الذي يري الناس بصغار العلم قبل كباره، وكأنه يقتدي بالرب سبحانه وتعالى - في تيسير الأمور.

وقال أبو رزين: الرباني: العالم الحكيم.

قال ابن مسعود: ربانيون: حكماء علماء.



(٦٥) تفسير ابن كثير ١ ص ٣٧٧.

(٦٦) الكشف/ أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ط ١

أصول التربية القرآنية وأساليبها

وقال مجاهد: الربانيون فوق الأبحار، قال النحاس: وهو قول حسن، لأن الأبحار هم العلماء، والرباني الذي يجمع إلى العلم البصر بالسياسة^(٦٧).

وقال الحسن وغير واحد: فقهاء. وعن الحسن: أهل عبادة وأهل تقوى^(٦٨). والرباني هو: الشديد التمسك بدين الله وطاعته. وقيل الرباني: العالم العامل المعلم^(٦٩). الرباني إذن منسوب إلى الرب، وهو العالم العامل والفقير الحليم الحكيم.

ثانياً مقومات الربانية وعناصرها

يمكن أن نستخلص من الآيات السابقة من سورة آل عمران عدة مقومات وعناصر للربانية منها:-

المقوم الأول: ألا يجعل المربي نفسه - باعتبار إمامته أو قيادته أو كثرة أتباعه وطاعته - ندا لله عز وجل بقصد أو بغير قصد، ولذلك صور متعددة كلها تنم عن تجاوز صاحبها حده وقدره ومن ذلك:- أن يستشرف الشكر والثناء والحمد من تابعيه، وذلك لأن ذلك خرق وصدع في بناء إخلاصه وقد قيل: إنه لا يجتمع حب الثناء مع الإخلاص في قلب عبد مسلم، بل إذا تمكن أحدهما من القلب ولي الآخر مدبراً ولم يعقب.

- و أن يتخطى المربي أو المعلم مرحلة الاستشراف إلى مرحلة طلب الثناء والشكر، وذلك بكثرة الحديث عن أعماله وبذله وأمجاده، وكأنه يطلب بلسان الحال، بل بلسان المقال الشكر والثناء قال الله عز وجل: (وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) (المدثر/٦) وإنما ينبغي للمربي أن يتذكر دائماً أنه ملك لله، وأنه لا حول ولا قوة له إلا به، وأن كل خير يحضره فهو بفضل الله وعونه، وأن ما عند الله من الأجر والفضل والثواب خير وأبقى.

(٦٧) القرطبي ٣ ص ١٣٦٤.

(٦٨) ابن كثير/ ١ ص ٣٧٧.

(٦٩) الكشف/ ١ ص ١٩٨.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

- أن يرضى من أتباعه طاعته في أمر من الأمور التي يعلم أنها مخالفة لأمر الله - عز وجل - ولشرعه الحنيف.

قال سبحانه: (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ) (الشورى/٢١).

وقال سبحانه: (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (التوبة/٣١).

يقول الله عز وجل: (مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالْثُبَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِنْ دُونِ اللَّهِ)

(آل عمران/٧٩).

فإذا استشرف ثنائهم، أو طلبه بنفسه، أو سكت عن مخالفتهم للشرع، أو أحل لهم ما حرم الله، أو حرم عليهم ما أحل الله فله نصيب من قوله: (كونوا عبادا لي). وذلك أن التشريع والتحليل والتحریم من أخص خصائص الربوبية والألوهية.

- المقوم الثاني: ألا يتخذ من دون الله أندادا سواء كانوا جنّا أو ملائكة أو أنبياء أو أولياء أو سادة وكبراء أو الهوى وذلك المقوم مأخوذ من قوله سبحانه: (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة

أربابا).

إنما هو التوحيد والعبودية المحضة لله رب العالمين، وقد يقع بعض أهل العلم في ذلك المنزل الخطير فيتخذون من دون الله أندادا يتبعون أوامره التي تخالف أمر الله، ويحلون لهم الحرام، ويحرمون لهم الحلال رغبة في دنيا أو كرسي أو خوفا من بطشهم أو ظلمهم .



أصول التربية القرآنية وأساليبها

وقد سمي النبي - صلى الله عليه وسلم - ذلك عباده كما في حديث عدي ابن حاتم - رضي الله عنه - أنه لما بلغته دعوة النبي - صلى الله عليه وسلم - فر إلى قومه ثم من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على أخته وأعطاهما، فرجعت إلى أخيها، فرغبت في الإسلام، وفي القدوم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فتقدم عدي إلى المدينة، وكان رئيسا في قومه طييء، وأبوه حاتم الطائي المشهور بالكرم، فتحدث الناس بقدمه، فدخل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفي عنق عدي صليب من فضة وهو يقرأ هذه الآية (اتَّخِذُوا أَحِبَّارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ)

(التوبة/٣١).

قال: فقلت: إنهم لم يعبدوهم؛ فقال: بلى إنهم حرموا عليهم الحلال، وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم^(٧٠). لابد إذن من التحرر من كل توجه أو خوف أو رجاء أو توكل أو استعانة أو استغاثة إلا بالله. وليعلم المسلم أن القدرة المطلقة في الكون هي لله - عز وجل - وليستقر في نفسه أن البشر مهما أوتوا من قوة أو سلطة أو جاه هم عاجزون لا يحركون ساكنا ولا يسكنون متحركا إلا بإذن الله: (قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَنْتَ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٤) قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥) مَنْ يَصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ (١٦) وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بَضْرًا فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بَخِيرًا فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٧) وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (١٨))

(الأنعام/ ١٤ - ١٨).



(٧٠) تفسير ابن كثير وقال رواه أحمد والترمذي وابن جرير ح ٢ ص ٣٤٨.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

إن وراء كل نجم يبرز، أو يأفل، وكل برعم يتزعرع، أو يذيل، وكل ورقة تتبثق أو تسقط، وكل نبع يتفرق أو يفيض، وكل حي يولد أو يموت، إن وراء كل نبضة قلب، وكل خلجة عين، وكل بسملة شفة، وكل نطق لسان، وكل رقة نسمة، وكل خفق جناح، وكل صفقة ريح، وكل ومضة برق، وكل هدير موجة، وكل إدراج سحاب، إن وراء كل رغبة تجيش في صدر، وكل نية تكمن في قلب، وكل رجل تدب على الأرض، وكل يد تمتد إلى قطاف، إن وراء كل حركة وكل نأمة، في هذا الكون العريض، على مدى الأبد الأبد.... يد الله تدفعها، وقدر الله يوقعها، ولولاه ما كان شيء ولا يكون. ..

أي انطلاق ورفرفة ؟

وأي جمال ومنتعة ؟

وأي تطلع، ونشاط يطلقها في نفس المؤمن هذا التصور، وهذا الشعور؟

أي تقوى وطهارة ؟

أي أنس وبشاشة ؟

وأي رضا وطمأنينة يسكبها في القلب المؤمن تمثل هذه الحقيقة ؟

هذه الرؤية ليد الله وهي تزجي كل حادث في هذا الكون، وكل حركة، وهذه الملابس لقدر الله، وهو يمضي مشيئته، وينفذ قضاءه. إنه المتاع الجميل.. فوق أنه الإدراك الصحيح^(١).



(١) مقومات التصور الإسلامي/ سيد قطب طه دار الشروق ١٤١٨ - ١٩٩٧م ص ٢٥٩ - ٢٦٠.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

المقوم الثالث من مقومات الريانية: الجمع بين العلم والعمل والدعوة. ليست الريانية علماً يكتسب فحسب ولا عملاً بالعلم وكفى، بل هي العلم والعمل به وتعليمه الناس ودعوتهم إليه، وما العلم بلا عمل إلا شجرة حسناء بالغلة الحسن لكنها - مع الأسف - لا ثمرة لها يقول سبحانه (ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) قال النسفي (بما كنتم تعلمون) أي غيركم (وبما كنتم تدرسون) أي: تقرأون، والمعنى: بسبب كونكم عالمين، وبسبب كونكم دارسين للعلم، كانت الريانية التي هي قوة التمسك بطاعة الله مسببه عن العلم والدراسة، وكفى به دليلاً على خيبة سعي من جهد نفسه، وكد روحه في جمع العلم، ثم لم يجعله ذريعة إلى العمل، فكان كمن غرس شجرة حسناء تؤنقه بمنظرها، ولا تتفعه بثمرها^(٧٢).

فما أدى واجبه من تعلم لنفسه، ثم كتم العلم، ولا أدى واجبه من تعلم العلم، وعلمه للناس ثم لم يعمل به وخالف عمله قوله، فكان كالحمار يحمل أسفاراً أو كلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث، وإنما الرياني من تعلم وتفقه، وعلم الناس ودعاهم، وصدّق عمله قوله، إذ الإيمان قول وعمل لا يفصلان، بل هما صنوان، هكذا ربي النبي صلى الله عليه وسلم - أصحابه، بل هكذا فهم الصحابة - رضوان الله عليهم - فهذا أبو طلحة يقول عنه أنس بن مالك: كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالا، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يدخلها، ويشرب من ماء فيها طيب، قال أنس: فلما نزلت (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) (آل عمران/٩٢).

قال أبو طلحة يا رسول الله، إن الله يقول: (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) وإن أحب أموالي إلي بيرحاء، وإنها صدقة لله أرجو بها برها وذخراً عند الله تعالى، فضعها يا رسول الله حيث أراك



(٧٢) تفسير النسفي/ ١ ص ١٦٦.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بخ بخ، ذاك مال رابح، ذاك مال رابح، وقد سمعت، وأنا أرى أن تجعلها في الأقربين.. فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه^(٧٣).

فلم يكن الإيمان عندهم أقوالاً مجردة، ولا نظريات كلامية، ولا فلسفات ذهنية، بل كان الواحد منهم يتلقى ويتعلم للعمل.

المقوم الرابع من مقومات الريانية: إنكار الذات

وذلك المقوم نلمحه في قول أتباع الرسل المجاهدين عندما بدعوا المعركة: (رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) (آل عمران/ ١٤٧)

حيث بدأوا المعركة ضد الباطل وأهله بالاعتراف بالذنوب والخطايا التي هي أشد على مرتكبيها من سلاح العدو وقوته، والتي تسبب الهزيمة والفشل، وفي ذلك اعتراف بالخطأ، وإنكار للذات، وهضم للنفس، وهكذا ينبغي أن نربي الناشئة على التواضع، ونكران الذات وعدم التظاهر والتحدث عن المآثر فذلك ينافي الإخلاص. قال ابن الجوزي: عن جبير بن نفير أن نفراً قالوا لعمر بن الخطاب رضوان الله عليه: والله ما رأينا رجلاً أقضى بالقسط، وأقول بالحق، ولا أشد على المنافقين منك يا أمير المؤمنين، فأنت خير الناس بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال عوف بن مالك: كذبتكم والله ، لقد رأيت خيراً منه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم -.

فقال: من هو ؟

قال : أبو بكر رضوان الله عليه.



^(٧٣) تفسير ابن كثير ح ١ ص ٣٨١ والحديث رواه أحمد برقم ١٣٧١٣ ج ٣ ص ٢٥٦ وقال الألباني في تحقيقه لرياض الصالحين (صحيح) ص ١٥٥.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

قال عمر: صدق عوف، وكذبتكم والله، لقد كان أبو بكر أطيب من ريح المسك، وأنا أضل من بغير أهلي يعني قبل أن أسلم، لأن أبا بكر -رضوان الله عليه- أسلم قبله بست سنين^(٧٤).

والنتيجة الحتمية للتواضع وهضم النفس ونكران الذات هي النصر والتأييد والتثبيت والتمكين والفوز بثوابي الدنيا والآخرة.

المقوم الخامس: الصبر

ونلمح ذلك المقوم في قوله سبحانه: (فَمَا وَهَنُوا لَمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ) (آل عمران/١٤٦).

سنة الابتلاء سنة جارية لا تتي ولا تتحول ولا تزول، ومن هنا كان الصبر لازماً وحتماً، فهو النور الذي يشع فيقي المسلم الزلل، وهو الذي يشد الصلب والأزر ولو لم يكن للصابر أجر إلا أن الله يحبه لكفى (والله يحب الصابرين). بل ومع ذلك (إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) (الزمر/١٠).

بل لهم من الله الرحمة والهداية وياله من ثواب، وياله من أجر (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) (١٥٧) (البقرة / ١٥٥ - ١٥٧)



أصول التربية القرآنية وأسااليبها

ما لم تكن المصيبة في الدين فالأمر هين، والخطب يسير (فإذا استحکمت الأزمات، وتعدت حبالها، وترادفت الضوائق، وطال ليلها، فالصبر وحده هو الذي يشع للمسلم النور العاصم من التخبط، والهداية الواقية من القنوط، والصبر فضيلة يحتاج إليها المسلم في دينه ودنياه، ولابد أن يبنى عليها أعماله وآماله، ولا كان هازلاً.. يجب أن يوطن نفسه على احتمال المكاره دون ضجر، وانتظار النتائج مهما بعدت، ومواجهة الأعباء مهما ثقلت، بقلب لم تعلق به ريبة، وعقل لا تطيش به كربة، يجب أن يظل موفور الثقة، بادي الثبات لا يرتاع لغيمة تظهر في الأفق، ولو تبعته أخرى وأخرى، بل يبقى موقناً بأن بوارد الصفو لابد آتية، وأن من الحكمة ارتقابها في سكون ويقين، وقد أكد الله أن ابتلاء الناس لا محيص عنه، حتى يأخذوا أهبتهم للنوازل المتوقعة فلا تذهلهم المفاجآت ويضرعوا^(٧٥)).

لابد من توجيه الناشئ المسلم إلى قراءة تاريخ الأنبياء المفعم بالملاحم والملئ بأنواع الابتلاءات فقيه عون على الصبر، وثبات في الشدائد طلباً للثواب والأجر.

ويعين المسلم على الصبر أمور منها:

١- تذكر الأجر العظيم الذي أعده الله سبحانه للصابرين.

٢- التأسي بأهل البلاء.

٣- أن يوقن العبد بأن الصبر يرفع الدرجات.

٤- أن الخير لا يعلمه إلا الله فقد يكون في المصيبة الخير (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شرٌّ لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) (البقرة/٢١٦) التعرف على فضيلة الصبر من الكتاب والسنة.

(٧٥) خلق المسلم/ محمد الغزالي ط ١٤٠٨ - ١٩٨٧ م دار الريان ص ٨٨.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

٥- أن يعلم العبد أن الناس منذ خلقوا مسافرين، وليس لهم حظ عن رحالهم إلا في الجنة أو النار.

٦- والعاقل يعلم أن السفر مبني على المشقة وركوب الأخطار، ومن المحال عادة أن تطلب فيه نعيما ولذة وراحة، إنما ذلك بعد انتهاء السفر، ومن المعلوم أن كل وطأة قدم - أو آنة من آنات السفر غير واقفة، ولا المكلف واقف، وقد ثبت أنه مسافر على الحال التي يجب أن يكون المسافر عليها من تهيئة الزاد قد الاستعداد للسير^(٧٦).

٧- أن يعلم المسلم أن قدر النعمة بمشهد البلاء والعافية.

٨- وأن يعلم بأن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر.

٩- أن يرضى المسلم بما رضى الله سبحانه - له.

١٠- أن يعلم المسلم أن الله لا يبتليه ليعذبه بل ليقربه.

١١- أن يعلم المسلم أن مع العسر يسرا.

١٢- أن يتطلع إلى نعيم الجنة .



(٧٦) الفوائد لابن القيم ص ٢٤٨-٢٤٩.

١- حب الله

هذا أعظم مكسب يريحه الريانيون: محبة الله ورضاه، ومن أحبه الله سدد خطاه، وإلى كل خير هداة، ومن كل خوف أمنه وسلمه ونجاه، " والله يحب الصابرين " والله يحب المحسنين " الذين يصبرون على البلاء، ويحسنون القول والعمل، ولو لم يكن للريانية ثمرة إلا هذه لكفت وشفّت.

٢- ثواب الدنيا

(فأتاهم الله ثواب الدنيا)

قال الشوكاني: ثواب الدنيا من النصر والغنيمة والعزة ونحوها^(٧٧).

وقد يكون ثواب الدنيا الرزق الواسع الذي يكفل الحياة الكريمة، وقد يكون الزوجة الصالحة التي توفر لزوجها السكن والراحة، وقد يكون العيش الرغيد الخالي من المنغصات، وقد يكون راحة البال التي لا تشتري بما في الأرض من مال، وقد يكون بالذرية الصالحة المستقيمة على منهج الله، وقد يكون بالصحة الصالحة التي تؤاخي في الشدة والرخاء، وقد يكون بالصحة والعافية والسلامة من الأوصاب والأمراض والنجاة من أمراض العصر المهلكة، وقد يكون بالتوفيق إلى كل خير والسداد في كل رأي، وقد يكون بالنصر والتمكين وبعز المؤمنين وذل أعداء الحق وأعداء الدنيا.



(٧٧) فتح القدير / ١ ص ٦٣١.

٣- حسن ثواب الآخرة

الآخرة درجات، وأهل الجنة يتزاعون الغرف، والريانيون هم العلماء الحكماء الفقهاء الذين يبلغون دعوة الله ويخشونه، ولا يخشون أحدا إلا الله، وهم بذلك التبليغ يصدقون الأنبياء، فهم الصديقون ومنزلتهم في الجنة أعلى من منزلة الشهداء وتحت منزلة الأنبياء، ومن أجل ذلك قال الله سبحانه: (وحسن ثواب الآخرة) ولم يقل ثواب الآخرة.

وقال - سبحانه - : (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا) (النساء/٦٩)

من أجل ذلك الفضل الإلهي والثواب الرياني في الدنيا والآخرة كان لزاما أن نحیی الريانية ونبعثها في ساح المجتمعات الإسلامية.

رابعا كيف نحیی الريانية؟

لما كانت الريانية أصلا عظيما من أصول التربية، وكانت ثمراتها بهذه الأهمية والعظمة كان لزاما على أهل العلم والتربية إحياءها ويكون ذلك بما يلي:

١- العلم

قال الله - سبحانه وتعالى - :

(وَلَكِنْ كُونُوا رِيَّانِيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ) (آل عمران /٧٩).



أصول التربية القرآنية وأساليبها

أي اتصفوا بالربانية التي هي العلم والفقه والعمل والتمسك بالدين، وذلك بتعلم الكتاب وتعليمه، وبصحبة كتاب الله - عز وجل - صحبة عمر، دراسة وتلاوة وتدبرا وتفكرا وعملاً ودعوة، كلما ازداد المسلم قراءة لكتاب الله، وقراءة في تفسيره، وتحصيلاً لعلومه، ومعرفة لمحكمة ومتشابهه، وناسخة، وحلاله وحرامه ومكية ومدنية وحدوده وأحكامه، كلما كان عبداً ربانياً، وكلما كساه القرآن حلة الربانيين وعلاه نورهم

قال سبحانه:- (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ (٢٩) لِيُوفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (٣٠))

(فاطر).

ثم تعلم السنة والقراءة في الحديث النبوي الشريف، فالسنة شارحة ومفسرة للقرآن ومفصلة لمجمله ومبينة لمبهمه، بل وانفردت السنة بأحكام لم ترد في القرآن، ومن هنا وجب العناية بها، واتباع أوامرها واجتناب نواهيها قال سبحانه: (مَنْ يَطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا)

(النساء/٨٠)

٢ - التقرب إلى الله بالنوافل

لم يتقرب العبد إلى الله بشئ أحب إليه من الفرائض، ثم النوافل هي التي تكسب العبد محبة الله - عز وجل - ومن ثم وجب على المربين العناية بتنشئة الأجيال المسلمة على الإكثار من النوافل كالتطوع بصيام الاثنين والخميس وثلاثة أيام من كل شهر عربي، ويوم عرفة، وعاشوراء، وأفضل صوم صوم داود -عليه السلام- والتدرج في ذلك أفضل وسيلة،



أصول التربية القرآنية وأساليبها

فليبدأ الناشئ يصوم ثلاثة أيام من كل شهر هجري لمدة معينة حتى يألف ذلك ويعتاده، ثم ليصم يوماً من كل أسبوع حتى يألفه، وهكذا يترقى في مدارج الكمال شيئاً فشيئاً حتى يتربى وفي الحديث القدسي يقول الله عز وجل: (من عادى ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدي بشئ أحب إلى مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعادني لأعيدنه) (٧٨).

ومع الصوم الإكثار من ذكر الله -عز وجل- فإنه يكسب المسلم إكبار الله -عز وجل- ولذلك كان من التوجيهات الأولى للنبي صلى الله عليه وسلم: (وريك فكير) (المدثر/٣).

ولكبار القلب لله وتعظيم ليه يعطيه القوة والصلابة في مواجهة الباطل وأعاصيره العاتية وكذا يكسب الذكر صاحبه الانشغال بالله -عز وجل-، وذلك يثمر الانشغال بالدعوة والبلاغ، والحرص على هداية الناس، وكذا يورث الاطمئنان القلبي، وهو ضرورة لمواجهة المحن والشدائد التي تملأ طريق المسلمين الصادقين.

وقيام الله زاد المسلم، وترجمة للربانية، ولذا أمر الله به نبيه صلى الله عليه وسلم - أول الأمر، وافترضه عليه سنة كاملة، وقراءة القرآن تهدي وتقوي الصلة بالله وتثبت القلب

(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا)

(الفرقان/٣٢).

وقراءة القرآن شفاء لأمراض الشبهات والشهوات (ونُزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا) (الإسراء/٨٢)

(٧٨) البخاري (كتاب) الرقاق (باب) التواضع ح ٦٠٢١ د ص ٢٣٨٤.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

والقرآن يزيد الإيمان ويزكي النفس يقول سبحانه: (وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيْمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) (التوبة/ ١٢٤)

ويقول سبحانه: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) (الأنفال/ ٢)

وكثرة الصدقات ينجي الله بها من الكريات، ويكفر السيئات، وتتجى من الشح سبب هلاك من سبق، وكثرة الدعاء فإنه سلاح المؤمن، وهو العبادة.

٣- خوض غمار الدعوة والجهاد في سبيل الله ذلك هو الأمر الثالث الذي نحى به الريانية فالمربي منسوب إلى الرب يحب الخير للناس، ويسعى ويتحرك وهدفه هداية الناس، ومن ثم فإنه لا يتوقع على نفسه، ولا يقبع في بيته، بل هو كالنحلة كثير الحركة، كالنحلة طيب الثمرة، كالماء الجاري لا يأسن ولا يتعفن إلا إذا ركد وتوقف عن الجريان لا يقول: أتعلم أولاً وألم بالعلوم الشرعية ثم أتحرك داعياً، وإنما يجمع بين الحسنيين: التعلم والدعوة، يتحرك من مسجد لمسجد، ومن بلد لبلد، يخوض الغمار مع الخائضين مبلغاً كلمة الله ذلك هو الرياني كما قال الله: (وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ) (آل عمران/ ٧٩).

وليعلم المسلم أن من كمل نفسه وأصلحها، ثم اعتزل الناس ولم يعمل على إصلاحهم فقد خسر، وعلى ذلك فقد أقسم الله -عز وجل- قال سبحانه: (وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ (٣) (العصر)



أصول التربية القرآنية وأساليبها

قال ابن القيم رحمه الله - فأقسم - سبحانه وتعالى - بالدهر الذي هو زمان الأعمال الراجعة والخاسرة، على أن كل واحد في خسر، إلا من كمل قوته العلمية بالإيمان بالله، وقوته العملية بالعمل بطاعته، فهذا كمال في نفسه، ثم كمل غيره بوصيته له بذلك، وأمره إياه به، وبملاك ذلك: وهو الصبر، فكمّل نفسه بالعلم النافع والعمل الصالح، وكمّل غيره بتعليمه إياه ووصيته له بالصبر عليه، ولهذا قال الشافعي رحمه الله: لو فكر الناص في سورة "العصر" لكفتهم. وهذا المعنى في القرآن في مواضع كثيرة: يخبر سبحانه - أن أهل السعادة هم الذين عرفوا الحق واتبعوه، وأن أهل الشقاوة هم الذين جهلوا الحق، وضلوا عنه، أو علموه وخالفوه واتبعوا غيره^(٧٩).

يقول الشيخ محمد بن إسماعيل حفظه الله: وأعرف أخا يعيش في "ألمانيا" أحسبه - والله حسبي - مجتهدا في الدعوة إلى الله غاية الاجتهاد، حتى لا يكاد يذوق طعما للراحة، وقد استحوذت الدعوة على كل كيانه، حتى أرهاق نفسه، وشغل عن بيته وأهله وولده، فرأى إخوانه أن يمنح عطلة إجبارية، وذهبوا به في صحبة أسرته إلى منتجع ناء لا يعرفه فيه أحد، ولا يعرف فيه أحداً، كي يهنأ ببعض الراحة، وواعدوه أن يعودوا لإرجاعه بعد أيام، ولما رجعوا إليه، وجدوه قد أسس جمعية إسلامية في هذا المكان، قوامها بعض العمال المغاربة وغيرهم ممن انقطعت صلتهم بالدين، ففتش عنهم في مظان وجودهم، ودعاهم إلى الله - سبحانه - وألف بينهم، وأقاموا مسجداً كان فيما بعد منطلقاً للدعوة إلى الله في تلك البلدة، إنها الحركة سر شيوع دعوة الإسلام المباركة في أرجاء الدنيا ينطلق بها جنود لا يعلمهم إلا الله.

(وما يعلم جنود ربك إلا هو)

(المدثر/٣١).

ومن الطرائف الدعوية الغربية ما يحكيه الأستاذ/ محمد أحمد الراشد - حفظه الله - حيث قال وما أظرف قوله: وقد كنت في الأيام الخوالي ألاحظ إخواني فافتش على أحذيتهم! ليس على نظافتها وصبغها ورونقها، كالتفتيش العسكري، بل على استهلاكها وتقطعها والغبار الذي عليها، وأقلبها فأرى النعل فمن كان أسفل حذائه متهرئاً تالفاً فهو الناجح،

(٧٩) إغاثة اللهفان من مصاديد الشيطان لابن القيم - نشر مكتبة دار التراث بدون ح ١ ص ٣٣.

وأقول له: شاهدك معك: حذاؤك يشهد لك أنك تعمل وتغدو في مصالح الدعوة وتروح، وتطبق قاعدة (وجاء من أقصا المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين) (يس/٢٠)

وبكثرة حركتك تلف حذاؤك، فأنت المختار المرضي عندي قال (صباح) قد والله بعد عشرين سنة يأخذني تأنيب الضمير كلما رأيت حذائي لا غبار عليه، وأتذكر ذلك التفتيش، فاختر لنفسك أخي أن تكون صباحا، أو أن تنام حتى الضحى، ولكن يلزمك أن تعرف أن علامة التوفيق: الكد والتعب والسهر، ولذة الأحرار إنما يفجرها البذل، ولو عرف المتجنب المنعزل ما يغمر المتلف لنفسه في الله من نشوة وفرح غامر لزاحمه وسابقه ونافسه، ولكن فاقد الشيء لا يعطيه، وقد يحرم المرء نفسه اللذائذ جهلا، أو إذا اختل عنده الميزان وكان حسابه غلطا^(٨٠).

إنها الحركة للدعوة والنشاط والهمة العالية وخوض الغمار جهادا في سبيل الله وعملا لدينه بذلك تحيا الريانية



(٨٠) صناعة الحياة/ محمد أحمد الراشد ص ١١٢- دار البشير ط ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م.

الباب الثاني

أساليب التربية القرآنية

لقد عمد أعداء الله إلى تغييب المنهج الإلهي التربوي من حياة البشرية ؛ فنجحوا في ذلك نجاحا كبيرا ، ولم يكتفوا ببيئتهم الغربية التي يعيشون فيها ، و التي لم يعد من بنيانها الروحي و الأخلاقي شيء إلا أتى من القواعد حتى خر عليهم السقف من فوقهم ، بل راحوا يعيشون في مجتمعاتنا المسلمة فسادا عن طريق كثير من الأساليب كالغزو الفكري وغيره ، و عمدوا إلى المجال التعليمي فصنعوا رجالا من ضعفاء العقيدة و الأخلاق على أعينهم و بؤاهم المناصب العاليو و خلعوا عليهم ألقابا هم أبعد ما يكونون عن قمتها السامقة ، فهذا عميد الأدب العربي ، وهذه أستاذ الجيل ، وهذا...و هذا... حتي أوشكوا أن يقطعوا علاقة أمتنا المسلمة لاسيما طلابنا بربهم - سبحانه- وبنبيهم - صلى الله عليه وسلم - وهويتهم الإسلامية الفريدة المتميزة فأضحوا كما قال بعض أهل العلم :

فلم يعد معظم الطلاب يتعودون الخشوع لله ، واللجوء إلى الله ، وتعلم الصبر والحلم والأناة ، واتهم المتدينون بالتطرف ، وغابت التربية الروحية ، وسادت التربية الجنسية الداعية إلى تأجج الغرائز ، وغابت التربية الداعية إلى تهدئتها ولشباعها بالطرائق الشرعية ، فلم يعد يكفي الزوج بزوجته ، ولا الرجل بالمرأة ، ولا المرأة بالرجل ،



أصول التربية القرآنية وأساليبها

فظهرت أساليب الشذوذ في إشباع الرغبات الجنسية ، وبثت مشاهد الجنس الفاضح عبر شبكات الإنترنت والتلفزيون والتليفون والمجلات والجرائد ، وانتشرت المخدرات ، والمسدسات ، والسرقاات ، والمدارس المختلطة ، ورفعت شعارات تحديد النسل ومؤتمرات السكان ولباحة الشذوذ والإجهاض وإنشاء نوادي للشواذ وسيطرتهم على مجالس التشريع العالمية ، وسادت الأفكار الداروينية والفرويدية والسارتريية ، والعلمانية : فالحياة أرحام تدفع وأرض تبلى ولا يهلكنا إلا الدهر ، وأن البقاء للأصلح بالطريقة الداروينية (أي للناب والمدفع) ، والانتصار للمدفع .

وهذه الأساليب كثيرة ومتعددة... تختار منها مجموعة تحسبها نافعة ومؤثرة فى الفصول الآتية:

الفصل الأول: التربية بالعبادة

الفصل الثانى: التربية بالقدوة

الفصل الثالث: التربية بالموعظة

الفصل الرابع: التربية بالعبرة

الفصل الخامس: التربية بالأحداث

الفصل السادس: التربية بالقصة

الفصل السابع: التربية بضرب الأمثال

الفصل الثامن: التربية بالثواب والعقاب



أصول التربية القرآنية وأساليبها

الفصل الأول : التربية بالعبادة

لأن هذا الطريق الذى يقطعه السالك إلى الله طريق طويل، ولأن الشقة بعيدة والرحلة شاقة فلا بد للمسلم من زاد يتبلغ به، ومن رى يذهب عنه الصدى حتى يبلغ مأمنه.

وأعظم زاد بتزود به المسلم عبادة الله - عز وجل - والتحرر من عبودية غيره.. فالعبادة هى الزاد الذى لا زاد مثله... الزاد الذى يسمن ويغنى من جوع. الزاد الذى يذهب الضنى، ويروى من الصدى، والزاد الذى يسمو بالروح ويغذيها. والذى يعين على نوائب الدهر وصروفه، الزاد الذى لا يمكن لركب الدعاة ولا لناشئة الإسلام، ونابذة الإيمان أن ينهضوا بأعباء دعوتهم ما لم يتزودوا به. ويتربوا عليه. إنه العبادة.

والعبادة هى العون والسند الذى يستند المسلم عليه، وهو المدد الذى يمدده بالطاقة التى ينطلق بها نشيطاً فى حياته قال تعالى:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} {البقرة: ١٥٣}.

أولاً: مفهوم العبادة

لا أعنى بالعبادة ذلك المعنى المختزل والذى ينحصر فى الشعائر التعبدية من صلاة وزكاة وصيام وحج وهو انحراف خطير فى تصور معنى العبادة هوى بالأمة المسلمة من عليائها، لتقع فى هذا الحضيض بين الحفر، وهبط بها من مقام القيادة والريادة للبشرية لتصبح فى مرحلة الغنائية تتداعى عليها الأمم تنهش لحمها، وتسلب خيرها، وتمزق كيانها.



أصول التربية القرآنية وأساليبها

ولنما المفهوم الصحيح للعبادة في حسن الأجيال الأولى أن عبادة الله هي غاية الوجود الإنساني كله كما فهموا من قوله تعالى:

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)^١
{الذاريات: ٥٦}.

إن هذه الآية كانت تمثل في حسهم معنى هائلاً جداً، وعميقاً جداً، وشاملاً لكل حياة الإنسان، فالقرآن نازل بلغتهم، وهم يفهمون إحياءات تلك اللغة، ويدركون أسرار بلاغتهم، فيدركون من معنى الآية أن غاية الوجود الإنساني كله محصور في العبادة لا يتعداها إلى شيء غيرها على الإطلاق، فالنفي والاستثناء هما أقوى صور الحصر والقصر في اللسان العربي، ومعناهما النفي البات من جهة والحصر الكامل من الجهة الأخرى: نفى أي غاية للوجود البشري غير عبادة الله، وحصر غاية هذا الوجود كله في عبادة الله (٨١).

ويؤيد هذا المعنى الشامل الكامل للعبادة قول الله تبارك وتعالى: (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ)

{الأنعام: ١٦٢-١٦٣}.

فالشعائر التعبدية داخلة في العبادة، كما يدخل فيها الجهاد في سبيل الله، والقيام بالدعوة إلى سبيله، وأداء الأمانات، والسعي في طلب الرزق، وطلب العلم، والعمل في شتى مجالات الحياة، والذكر والقيام والذبح والنذر والاستعانة والاستغاثة والتوكل والخوف والرجاء والإخلاص، وبر الوالدين، وحسن الجوار، وصلة الأرحام، وصدق الحديث، وغيض البصر وكف الأذى، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والشكر والصبر.



(١) مفاهيم ينبغي أن تصحح/ محمد قطب - ص ١٧٣ - ١٧٤.

يقول صاحب الظلال:

إن هذا المنهج الإسلامى منهج عبادة، والعبادة فيه ذات أسرار ومن أسرارها أنها زاد الطريق، وأنها مدد الروح، وأنها جلاء القلب، وأنه حيثما كان تكليف كانت العبادة هى مفتاح القلب لتذوق هذا التكليف فى حلاوة وبشاشة ويسر..

إن الله - سبحانه - حينما انتدب محمداً - صلى الله عليه وسلم - للدور الكبير الشاق والثقيل قال له:

(يَا أَيُّهَا الْمَرْمَلُ (١) قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً (٢) نَصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلاً)
{المزمل: ١-٥}

فكان الإعداد للقول الثقيل، والتكليف الشاق، والدور العظيم هو قيام الليل، وترتيل القرآن فكأن الإعداد للقول الثقيل، والتكليف الشاق، والدور العظيم هو قيام الليل، وترتيب القرآن.. إنها العبادة التى تفتح القلب، وتوثق الصلة، وتيسر الأمر، وتشرق بالنور، وتفيض بالعزاء والسلوى والراحة والاطمئنان (٨٢).

فالصلاة عون للمسلم فى كل مجالات حياته، تمده بالقوة الروحية والنفسية والبدنية، وهى الوسيلة الناجعة لدفع الهم والحزن ولتيسير الأمر ولذا كان - صلى الله عليه وسلم - يسرع إليها إذا حزبه أمر يطلب فيها الفرج والخلاص، ومن هنا لا يبدو عجيباً أن الله - سبحانه - قد افترض قيام الليل فى أول الإسلام سنة كاملة، وذلك قبل أن تفرض الصلوات الخمس، وقبل أن تنزل للحدود.

(٨٢) الظلال/ سيد قطب ج ١ - ص ١٤٢.

أصول التربية القرآنية وأسااليبها

ولأنما كان ذلك لتربية الأمة المسلمة الناشئة: تربيتها بالعبادة لتتهض بأمر الله نشيطة قوية لا يردّها عن ذلك شيء.

(إن قيام الليل والناس نيام، والانقطاع من غبش الحياة اليومية وسفسافها، والاتصال بالله، وتلقى فيضه ونوره، والأنس بالوحدة معه، والخلوة إليه، وترتيل القرآن والكون ساكن وكأنما هو يتنزل من الملاء الأعلى وتتجاوب به أرجاء الوجود في لحظة الترتيل بلا لفظ بشرى ولا عبارة، واستقبال إشعاعاته وإيقاعاته في الليل الساجى.. إن هذا كله هو الزاد لاحتمال القول الثقيل والعبء الباهظ، والجهد المرير الذى ينتظر الرسول، وينتظر من يدعو بهذه الدعوة في كل جيل، وينير القلب في الطريق الشاق الطويل، ويعصمه من وسوسة الشيطان، ومن التيه في الظلمات الحافة بهذا الطريق المنير^(٨٣)).

والعبادة الخالصة لله - جل وعلا - هى التى تملأ قلب المسلم رضا وطمأنينة وسكينة وسرورا وهى التى تصل الروح بالله يقول الأستاذ مصطفى صادق الرافعى:

يالها حكمة أن فرض الله علينا هذه الصلوات بين ساعات وساعات لتبقى الروح أبداً إما متصلة ولما مهيئة لتتصل، ولن يعجز أضعف الناس مع روح الدين أن يملك نفسه أنه متوجه بعدها إلى ربه، فخاف أن يقف بين يديه مخطئاً أو آثماً، ثم هو إن ملك نفسه إلى هذه الفريضة ذكر أن يعدها الفريضة الأخرى، وأنها بضع ساعات كذلك فلا يزال من عزيمة النفس وطهارتها في عمره على صيغة واحدة لا يتبدل ولا يتغير كأنه بجملته - مهما طال - عمل بضع ساعات.



(٨٣) السابق ج ٦ ص ٣٧٤٥.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

فطول الحياة نسبي.

هو طويل جداً، مخيف مظلم للجاهلي.

وهو قصير هين، منير للمصلي.

وحياة الجاهلي ركود مستمر.

وحياة المصلي حركة تزيد صواباً أو تستدرك اعوجاجاً.

وانها (الله أكبر) تنتهي هذا الركود وتؤسس الحركة (الله أكبر).

بين ساعات وساعات من اليوم ترسل الحياة هذه الكلمة نداءها تهتف:

أيها المؤمن: إن كنت أصبت في الساعات التي مضت فاجتهد للساعات التي تتلو، وإن كنت أخطأت فكفر وامح ساعة بساعة

بين ساعات وساعات يتناول المسلم ميزان نفسه حين يسمع (الله أكبر) ليعرف الصحة والمرض من نيته كما يضع الطبيب لمريضه بين ساعات وساعات ميزان الحرارة.

بين ساعات وساعات من اليوم يعرض كل مؤمن حسابه، فيقوم بين يدي الله ويرفعه إليه وكيف يكون من لا يزال ينتظر طول عمره فيما بين ساعات وساعات - الله أكبر...؟

بين الوقت والوقت من النهار والليل ندوى كلمة الروح (الله أكبر) ويجيبها الناس (الله أكبر) ليعتاد الجماهير كيف يقادون إلى الخير بسهولة ؟



أصول التربية القرآنية وأساليبها

وكيف يحققون في الإنسانية معنى اجتماع أهل البيت الواحد ؟

فتكون الاستجابة إلى كل نداء اجتماعي مغروسة في طبيعتهم بغير استكراه.

النفس أسمى من النفس الدنيئة، وأقوى من الزمن المخرب، ولا دين لمن لا تشمئز نفسه من الدناءة بأنفة طبيعية وتحمل هموم الحياة بقوة ثابتة.

لا تضطربوا هذا هو النظام، لا تتحرفوا هذا هو المنهج، لا تتراجعوا هذا هو النداء لن يكبر عليكم شئ مادامت كلمتكم (الله أكبر) (٨٤).

قال تعالى:

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ } {البقرة: ١٥٣}

يقول صاحب الظلال:

يتكرر ذكر الصبر في القرآن كثيراً ذلك أن الله - سبحانه - يعلم ضخامة الجهد الذي تقتضيه الاستقامة على الطريق بين شتى النوازع والدوافع، والذي يقتضيه القيام على دعوة الله في الأرض بين شتى الصراعات والعقبات، والذي يتطلب أن تبقى النفس مشدودة الأعصاب، مجندة القوى، يقظة المداخل والمخارج، ولابد من الصبر في هذا كله، لابد من الصبر في الطاعات، والصبر عن المعاصي، والصبر على جهاد المشاقين لله، والصبر على بعد الشقة، والصبر على انتفاش الباطل، والصبر على قلة الناصر، والصبر على طول الطريق الشائك، والصبر على التواء النفوس، وضلال القلوب، وثقله العناد ومضاضة الإعراض.



(٨٤) وحى القلم/ مصطفى صادق الرافعي ج ١ ص ٢٦١-٢٦٣ باختصار.

أصول التربية القرآنية وأسااليبها

وحين يطول الأمد ويشق الجهد، قد يضعف الصبر أو ينفد إذ لم يكن هناك زاد أو مدد ومن ثم يقرن الصلاة إلى الصبر، فهي المعين الذى يجدد الطاقة، والزاد الذى يزود القلب فيمتد حبل الصبر، ولا ينقطع ثم يضيف إلى الصبر الرضا والبشاشة والطمأنينة والثقة واليقين.

إنه لابد للإنسان الفانى الضعيف المحدود أن يتصل بالقوة الكبرى يستمد منها العون حين يتجاوز الجهد قواه المحدودة، حينما تواجهه قوى الشر الباطنة والظاهرة، حينما يتقل عليه جهد الاستقامة على الطريق بين دفع الشهوات واغراء المطامع، وحينما تتقل عليه مجاهدة الطغيان والفساد وهى عنيفة، حينما يطول به الطريق، وتبعد به الشبقة فى عمره المحدود ثم ينظر فإذا هو لم يبلغ شيئاً وقد أوشك المغيب، ولم ينل شيئاً، وشمس العمر تميل للغروب، حينما يجد الشر ناقشاً والخير ضاوياً، ولا شعاع فى الأفق، ولا معلم فى الطريق هنا تبدو قيمة الصلاة: إنها الصلة المباشرة بين الإنسان الفانى والقوة الباقية، إنها الموعد المختار لالتقاء الفطرة المنعزلة بالنبع الذى لا يغيض، إنها مفتاح الكنز الذى يغنى ويقتنى ويفيض، إنها الانطلاقة من حدود الواقع الأرضي الصغير إلى مجال الواقع الكونى الكبير، إنها الروح والندى والظلال فى الهاجرة، إنها اللمسة الحانية للقلب المتعب المكدود ومن هنا كان رسول الله ﷺ إذا كان فى الشدة قال " أرحنا بها يا بلال " ويكثر من الصلاة إذا حزبه أمر يكثر من اللقاء بالله.

إن هذا المنهج الإسلامى منهج عبادة، والعبادة فيه ذات أسرار، ومن أسرارها أنها زاد الطريق، وأنها مدد الروح، وأنها جلاء القلب، وأنه حيثما كان تكليف كانت العبادة هى مفتاح القلب لتذوق هذا التكليف فى حلاوة وبشاشة ويسر (٨٥).



(٨٥) الظلال/ سيد قطب ج ١ ص ١٤١-١٤٢

أصول التربية القرآنية وأساليبها

ولقد أمر الله عز وجل نبيه - صلى الله عليه وسلم - بالعبادة والانقطاع لها لأنها ينبوع الذي يستمد منه القوة، والنبع الفياض الذي يستمد منه العون على التبعة الثقيلة الملقاة على كاهله فقال سبحانه وتعالى:

(يَا أَيُّهَا الْمَرْمِلُ (١) قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نَصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (٥) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْناً وَأَقْوَمُ قِيلاً (٦) إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا (٧) وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا) {المزمل: ١-٨}

لما كانت التبعة ثقيلة، وكان التكليف شاقاً عسيراً، وكان الطريق ممتداً طويلاً، وكانت معاطبه كثيرة ومعاثرة متعددة.

أمر الله - عز وجل - نبيه أن يتزود، والعبادة خير زاد، وأمره أن يأخذ للأمر أهبطه بالنشاط والنهوض من دفء الفراش، وأمره أن يجفو المضاجع، ويستقيم بلا تراخ أو كلاله فقال له: (قم الليل إلا قليلاً نصفه أو انقص منه قليلاً أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلاً).

إن التعب لله - عز وجل - بقيام الليل هو الزاد النافع الذي يسمن ويغنى من جوع، هو الزاد الذي يروي الغليل ويشفى العليل ، يقول الصابونى (قم الليل إلا قليلاً).

أى : دع التزمل والتلف، وانشط لصلاة الليل، والقيام فيه ساعات فى عبادة ربك، لتستعد للأمر الجليل، والمهمة الشاقة، ألا وهى تبليغ دعوة ربك للناس، وتبصيرهم بالدين الجديد: ثم وضع المقدار الذى ينبغى أن يصرفه فى عبادة الله فقال: (نصفه أو انقص منه قليلاً أو زد عليه)



أصول التربية القرآنية وأساليبها

أى: قم للصلاة والعبادة نصف الليل، أو أقل من النصف قليلاً، أو أكثر من النصف، والمراد أن تكون هذه الساعات طويلة بحيث لا تقل عن ثلث الليل، ولا تزيد على الثلثين قال ابن عباس: إن قيام الليل كان فريضة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لقوله (قم الليل) ثم نسخ بقوله تعالى (فأقروا ما تيسر منه) وكان بين أول هذا الوجوب ونسخه سنة (ورتل القرآن ترتيلاً) أى أقرأ القرآن أثناء قيامك فى الليل: قراءة تثبت وتؤدة وتمهل، ليكون عوناً لك على فهم القرآن وتدبره (٨٦).

وقد روى النبى - صلى الله عليه وسلم - أصحابه على العبادة وعلى القيام، وكان بحثهم عليه ومن ذلك ما رواه البخاري أنه - صلى الله عليه وسلم - قال: إن عبد الله رجل صالح لو كان بكثرت الصلاة من الليل (٨٧).

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: "ما من امرئ تكون له صلاة بليل فيغلبه عليها النوم إلا كتبت له أجر صلاته، وكان نومه عليه صدقة" (٨٨).

ولقد قام النبى - صلى الله عليه وسلم - بعد أمره الله - تعالى - بالقيام فلم ينم إلا قليلاً، قام ونهض أكثر من عشرين سنة، وكذلك قام أصحابه وتباروا فى ساح القيام، لأنهم وجدوا فيه خير معين على الجهاد فكانوا - رضى الله عنهم - كماً بالنهار رهباناً بالليل، فهذا صديق الأمة يقوم مناجياً ربه خافضاً صوته مستغفراً بالأسحار



(٨٦) صفوة التفاسير/ محمد على الصابونى ج ٣ ص ٤٦٥.

(٨٧) البخارى (كتاب) بدء الوحي (باب) الأخذ على اليمين فى النوم ح ٦٦٢٦ ج ٦ ص ٢٥٧٨.

(٨٨) (صحيح) أبو داود (كتاب) الصلاة (باب) من نوى القيام فنام ح رقم ١٣١٤ ج ٢ ص ٣٤ والنسائى (كتاب) قيام

الليل (باب) من كان له صلاة بالليل وغلبه عليها النوم ح ١٧٨٣ ج ٣ ص ٢٨٦ ومالك (كتاب) صلاة الليل

(باب) ما جاء فى صلاة الليل ج ١ ص ١١٧ واحمد رقم ٢٤٣٨٦ ج ٦ ص ٦٣.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

قال الشيخ العفانى حفظ الله :

طار والله صديق الأمة بعنائها وفاز بحيائها، وذهب بفضائلها، وأدرك سوابقها، كانت فضائله وعبادته مستورة بنقاب.

عن أبى قتادة قال: "إن النبى - صلى الله عليه وسلم - خرج ليلة فإذا هو بأبى بكر الصديق يصلى يخفض من صوته قال: ومر بعمر وهو يصلى رافعاً قال: فلما اجتمعا عند النبى - صلى الله عليه وسلم - قال النبى - صلى الله عليه وسلم -: يا أبا بكر مررت بك وأنت تصلى تخفض صوتك قال: قد اسمعت من ناجيت يا رسول الله .

قال : وقال لعمر: مررت بك وأنت تصلى رافعاً صوتك فقال: يا رسول الله، أوقف الوسنان، وأطرد الشيطان .

فقال النبى - صلى الله عليه وسلم - يا أبا بكر ارفع من صوتك شيئاً، وقال لعمر: اخفض من صوتك شيئاً (٨٩).

فكيف يدرك حال وعبادة صديق يقول: قد اسمعت من ناجيت (٩٠).



(٨٩) (صحيح) أبو داود (كتاب) الصلاة (باب) فى رفع الصوت بالقراءة فى صلاة الليل ح رقم ١٣٢٩ ج ٢ ص ٣٧

والترمذى (كتاب) أبواب الصلاة (باب) ما جاء فى قراءة الليل ح ٤٤٧ ج ٢ ص ٣٠٩.

(٩٠) (رهبان الليل/ سيد حسين العفانى ج ١ ص ٣٧٠.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

يقول عز وجل - عن المحسنين: (كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ)
{الذريات: ١٧}.

وإذا انتصف الليل فى القرون الأولى كانت أصوات المؤذنين ترتفع تتأدى:

يا	رجال	الليل	جدوا	رب	صوت	لا	يرد
ما	يقوم	الليل	إلا	من	له	عزم	وجد

ولأنها حقاً لمدرسة فيها وحدها يستطيع رجاله أن يذكوا شعلة حماسهم، وينشروا النور فى الأرجاء التى لفتها ظلمات الجاهلية، ولأنها تجربة إقبال يوجزها فيقول:

نائح والليل ساج سادل	يهجع الناس ودمعى هاطل
تصطفى روحى بحزن وألم	ورد يا قيوم أنسى فى الظلم
أنا كالشمع دموعى غسلى	فى ظلام الليل أذكى شعلى
محفل الناس بنورى يشرق	أنشر النور ونفسى أحرق (٩١)

وإن دعوة الإسلام اليوم لا تعلى حتى يذكى دعائها شعلهم بليل، ولا تشرق أنوارها فتبدد ظلمات جاهلية القرن العشرين ما لم تلهج ب (يا قيوم) ما نقول هذا أول مرة، وإنما هى وصية الإمام البنا حين خاطب الدعاة فقال (دقائق الليل غالية فلا ترخصوها بالغفلة).

أفعبينا أن نعيد السمات الأول ، أم غرنا اجتهاد فى التساهل والتسيب والكسل جديد ؟

إن القول لدى الله لا يبدل ، ولكننا أرخصنا الدقائق الغالية بالغفلة ولم يجعل الله لنا من أمرنا يسرا.



(٩١) الرقائق/ محمد أحمد الراشد ص ٣٢.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

إن انتصار الدعوة لا يكمن فى كثرة الرق المنشور، بل برجعة نصوح إلى العرف الأول، ومتى ما صفت القلوب بتوبة، ووعت هذا الكلام أذن واعية كانت تحلة الورطة الحاضرة التى سببتها الغفلة المتواصلة، ذلك شرط لا بد منه.

وكأن النصر قد حجب عنا لأننا نادينا من وراء الحجرات، وجهرنا رافعين أصواتنا نوجب على الله لنا هذا النصر بإدلال نبيعه ونثبت لنا حقاً عاجلاً فى الثمن من دون أن نقدم بين يدي بيعنا همساً فى الأسفار، ولا الدمع المدرار، وإنما النصر هبة محضة، يقر الله بها عين من يشاء من رجال مدرسة الليل فى الحياة الدنيا، ولا يلت الآخري المحصورين من ثمنهم فى الآخرة شيئاً، ويوقع أجرهم عليهم.

إن تعلم الإخلاص، وفضح الأمل الكاذب الدنيوى أجل أعطيات مدرسة الليل كما يقول وليد وذلك ما توجب تربيتنا تركيزه وتعميقه فى النفوس:

قال والحق ما قال:

- | | |
|------------------------|----------------------|
| ١. يا ليل قيامك مدرسة | فيها القرآن يدرسنى |
| ٢. معنى الإخلاص فألزمه | نهجاً بالجنة يجلسنى |
| ٣. ويبصرنى كيف الدنيا | بالأمل الكاذب تغمسنى |
| ٤. مثل الحرباء تلونها | بالإثم تحاول تطمسنى |
| ٥. فأباعدتها وأعاندتها | وأراقبها تتهجسنى |
| ٦. فأشد القلب بخالفه | والذكر الدائم يحرسنى |

وأكثر من هذا فإن من يتخرج من مدرسة الليل يؤثر فى الأجيال التى بعده إلى ما شاء الله والمتخلف عنها يابس قاس تقسو قلوب الناظرين إليه(٩٢).

(٩٢) الرقائق/ محمد أحمد الراشد ص ٣١-٣٤.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

إن أعظم تربية يتلقاها المسلم تكون من مدرسة الليل حيث الهدوء والسكون والخلوة، تصفو النفوس، وترق القلوب، وتنشرح الصدور، وتسمو المشاعر والأهداف والآمال ولا يمكن لدعوة الإسلام أن تخطو قدماً، وترقى صعوداً، ولا يمكن لها إلا بأعمدة صلبة ثابتة، وما هذه الأعمدة إلا ذلك الجيل المسلم المتعبد الساجد الراكع الحامد التائب المستغفر بالأسحار فهم رجال كما قال هاشم الرفاعي رحمه الله:

إذا شهدوا الوغى كانوا كماء يدكون المعازل والحصونا
ولن جن المساء فلا تراهم من الإشفاق إلا ساجدين^(٩٣)

ثالثاً: من ثمرات التربية بالعبادة

(١) الشجاعة والقوة في الحق:

ولا يكتسب ذلك الجيل الشجاعة والإقدام، ولا يربط على قلبه إلا العبادة، فشجرة الشجاعة لا تسقى إلا بدموع الليل، وما عرف تاريخ الإسلام رجاله إلا كذلك، ورحم الله ابن القيم حين قال:

يحيون ليلهم بطاعة ربهم	بتلاوة وتضرع وسؤال
وعيونهم تجرى بفيض دموعهم	مثل نهمال الواابل الهطال
في الليل رهبان وعند جهادهم	لعدوهم من أشجع الأبطال
بوجوهم أثر السجود لربهم	وبها أشعة نوره المتلالي ^(٩٤)



^(٩٣) ديوان هاشم الرفاعي ص ١٩٦ ط ١٤١٧/١ هـ ١٩٩٦ م مكتبة المنصورة.

^(٩٤) الرقائق ص ٣٥.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

إن القوة في الحق: في حمله، والدعوة إليه، وفي تبليغه والجهر به، وفي مدافعة الفساد والسمود في وجهه وعدم الركون إليه، وعدم الاغترار بتقلبه في البلاد، إن ذلك كله سمة العابدين فهم - حقاً - لا يخافون في الله لومة لائم قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)

{المائدة: ٥٤}

هؤلاء هم الصادعون بأمر الله، الجاهرون بكلمة الحق لا يرهبون الطغاة ولا يخافون البغاة، هم العباد إذ العبادة هي غاية الحب مع غاية الذل (يحبهم ويحبونه) والعبادة والسهر وقلة الهجوع والانتباه من رقدة الغفلة، وإطراح التسوية هو البرهان على الحب الصادق، وهو الزاد والقوة والعون على المناقحة عن الحق والتصدى للباطل والأخذ على أيدي أهله، فعلى المسلم الصادق أن يعطى المجهود من نفسه، وألا يطلب الراحة في الدنيا فإن ذلك لا يصح لأهل المروءات، ولأهل المعالي، بل عليهم أن يستفرغوا كل الطاقة في خدمة الدين، ذلك حد لا يسع الدعاة الحياد عنه ولا الوقوف دونه، هو نصيب مفروض، هو المجهود من النفس، وعلامته حين المحن، الصبر على الأذى حتى الموت، وعلامته في حياتك اليومية: أنك إن جئت إلى فراشك ليلاً لتنام وجدت لركبتك آنياء، وفي عضلاتك تشنجات كثيرة ما تحركت في نهارك وإنما نسميه التعب، والأنين، والتشنج لغرض تفهيم الداعية الجديد، لأن هذه الاصطلاحات هي لغة أهله وعموم الناس الذين تركهم من قريب، وأما في لغة الدعاة فهو محض اللهو الذي تهفو إليه نفوسهم،



أصول التربية القرآنية وأساليبها

وعنهم نقلها البحتري في وصفه لممدوحه حين يقول:

قلب يطل على أفكاره ويد تمضى الأمور ونفس لهوها التعب

ومن لا يعلم موازين المؤمنين يظن ذلك حرماناً من لذة، وخداع ألفاظ، وغواية أتباع الشعراء، ولكن من أوتى علم الكتاب يعرف أن الراحة الحقيقة: راحة الآخرة، لا راحة الحياة الدنيا، ولذلك لما قيل للإمام أحمد: متى يجد العبد طعم الراحة ؟

قال: عند أول قدم يضعها في الجنة(٩٥).

ولما تعجب غافل من باذل وقال له: إلى كم تتعب نفسك؟ كان جواب الباذل سريعاً حاسماً: راحتها أريد(٩٦) فالطالب الصادق في طلبه كلما خرب شئ من ذاته: جعله عمارة قلبه وروحه، وكلما نقص شئ من دنياه: جعله زيادة في آخرته، وكلما منع شيئاً من لذات دنياه جعله زيادة في لذات آخرته، وكلما ناله هم أو حزن أو غم جعله في أفراح آخرته(٩٧).

٢ (التحرر من قيود الأرض

إن من تعلق قلبه بالله، ولاذ بحماه، واستشعر لذة القرب، واستعذب التعب في سبيله، وامتلاً قلبه بحبه فإنه يضحي بما سواه، ويتحرر قلبه مما عداه، فلا الدنيا تغره، ولا الشهوات تأسره، ولا الشبهات تزعزعه، ولا المطاعم تشغله، ولا المطامح تجذبه، إنه يدرك عدوه من حبيبه، ويعلم أن كل من ثبطه عن المضي في طريق الله هو عدوه اللدود الذي لا عدو له وراءه،



(٩٥) الرقائق/ محمد أحمد الراشد/ ص ٦١-٦٢.

(٩٦) الفوائد لابن القيم/ ص ٤٢.

(٩٧) السابق ص ٩٧.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

ومن ثم يرفض الانصياع للفساد، ويستعصى على الترويض، ويظل أسداً ويأبى أن يكون ظبياً جفولاً مهما ضيق أعداء الإسلام عليه، وسدوا الطريق أمامه، ومنعوه المنابر، وأغلقوا الصحف أمام قلمه، ويأبى أن يكون أسيراً للشهوات والجنس والعيش الرغيد ؛ لأنه يعلم أنها فتنة ، ويوقن أنها خطة كيد ومكر وغدر، قال الله عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَوْا وَتَصَفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤) إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فَتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ)

{التغابن: ١٤-١٥}

وقال سبحانه: (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فَتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) {الأنفال: ٢٨}

إن الأولاد والنساء تبعة ثقيلة تجذب إلى الأرض، وتقعد عن المعالي، وتثبط الهمم، وتضعف العزائم، وتملأ القلب خوفاً وجبناً، ويؤكد هذه المعانى قوله تعالى (فتنة) والفتن فيها ما يدع الحليم حيراناً، ولكن المسلم الواعى ينفلت من ذلك، ويتعالى على الفتن، وينهض لا يثاقل إلى الأرض لأنه ينظر فى العواقب، ويعلم أن عاقبة الاستجابة والركون إلى الدعة طريق الخذلان، وسلم الحرمان، وصدق الله إذ يقول: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (٣٨) إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

{التوبة: ٣٨-٣٩}.



أصول التربية القرآنية وأساليبها

أنها قيود الأرض، وثقله الأرض، وشهوات الأرض ومطامعها، إنها تصورات الأرض، وثقله الخوف على العاجل: على المرأة، وعلى الولد، على المال، وعلى الجاه، وعلى المنصب، وعلى اللذائذ والمصالح والمقاعد، ثقله الراحة والدعة والدفء والفرش الوثير والهدف المحدود، ثقله اللحم والدم والتراب.

لكن ما مصير المستجيبين القاعدين المتخلفين؟ (يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم) إنه العذاب الأليم: عذاب الذلة والمهانة والهزيمة، وتسلب الأعداء، والحرمان من خيري الدنيا والآخرة، إنه بدون البذل والتضحية بكل ما نحب في سبيل الله لن نعود ولن تسود ولن تقود (إنه من دواعي الأسف أن الذين عندهم نصيب من القوة الفكرية والقلبية من النوع الأعلى من أفراد أمتنا هم مولعون بإحراز الترقيات الدنيوية، جاهدون في سبيلها ليل نهار، ولا يقبلون في السوق إلا على من يساومهم بأثمان مرتفعة، وما بلغوا من تعلقهم بالدعوة إلى الاستعداد للتضحية في سبيلها بمنافعهم، بل ولا بمجرد امكانيات منافعهم، فإن كنتم ترجون - معتمدين على هذه العاطفة الباردة للتضحية - أن تتغلبوا في الحرب على أولئك المفسدين في الأرض، الذين يضحون بالملايين من الجنيهاً كل يوم في سبيل غايتهم الباطلة فما ذاك إلا حماقة^(٩٨)).

إن كثيراً من الناس يخطئون حين يظنون أن الحياة تعني التمتع بالمأكل والمشرب والملبس والمسكن ولا ريب إن ذلك ظن خاطئ، ولنا الحياة الحقيقية لأصحاب الهمم العالية، ورحم الله ابن القيم حين قال: لكن يغلط الجفاة في مسمى الحياة حيث يظنونها التمتع في أنواع المأكل والمشرب والملبس والمناكح، أو لذة الرياسة والمال وقهر الأعداء والتفنن بأنواع الشهوات، ولا ريب أن هذه لذة مشتركة بين البهائم، بل وقد يكون حظ كثير من البهائم منها أكثر من حظ الإنسان، فمن لم تكن عنده لذة إلا اللذة التي تشاركه فيها السباع والدواب والأنعام فذلك ممن ينادى عليه من مكان بعيد،

(٩٨) تذكرة دعاة الاسلام/ الشيخ أبو الأعلى المودودي ص ٥٦.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

ولكن أين هذه اللذة من اللذة بأمر إذا خالط بشاشته القلوب سلى عن الأبناء والنساء والأوطان والأموال والإخوان والمساكن، ورضى بتركها كلها والخروج منها رأساً، وعرض نفسه لأنواع المكاره والمشاق وهو متحل بهذا منشراح الصدر به يطيب له هجر ابنه وأبيه وصاحبته وأخيه، لا تأخذه في ذلك لومة لائم حتى أن أحدهم ليتلقى الرمح ب صدره ويقول: فزت ورب الكعبة، ويستطيل الآخر حياته حتى يلقي قوته من يده ويقول: إنها لحياة طويلة إن صبرت حتى أكلها، ثم يتقدم إلى الموت فرحاً مسروراً^(٩٩).

بل إن المسلم العابد لا يضحى بالشهوات واللذائذ والمتاع وقضى الأمر، لا بل عليه أن يصعد درجة عالية بعد ذلك بل قل إن شئت الدقة والصرامة: عليه أن يصعد جيلاً وعراً، وعليه أن يقتحم العقبة: عليه أن يضحى بالدفء في سبيل الله، فإذا بخل الدفء لم يبرهن على صدقة، وهذا ما ينبغي أن نربي الجيل المنشود عليه، ينبغي أن نغرس فيه الاستعداد للتضحية والبذل منذ البداية: الاستعداد النفسى لبذل الروح وقطرة الدم عند الحاجة فليست الدعوة جمعية خيرية تنفع بالقليل، ورحم الله أحد المربين حين قال لتلميذه: يا هذا أول الطرق سهل، ثم يأتى الحزن، فى البداية: إنفاق السرور، وفى التوسط: إنفاق النفس وهذا يقتضى أن تكون هناك نهاية أيضاً، وأن يكون فى النهاية ما هو أكبر من إنفاق النفس، ولم يذكره لكن الدعاة يميزونه فى صورة لعلها هى (إنفاق ما بعد النفس) وأظنها صورة الشوق الشديد إلى الحوريات السبعين، فهو اجتماع الشوق بدرجة تنسى الداعية طعم الراحة، ولذة الطعام وأنس الزوجة، وتجعله هائماً راكداً بلا التفات^(١٠٠).



^(٩٩) مفتاح دار السعادة/ ابن القيم ج ١ ص ٣٥.

^(١٠٠) المنطلق/ محمد احمد الراشد ص ١٨٠.

إن عبادة الله - عز وجل - والتوجه إليه، والخلوه به، ومناجاته تهذب السلوك، وتسمو بالأخلاق، وتأخذ بيد المسلم إلى طريق الخير فتراه يعمل الخير، ويبغض الشر، وينهى عنه، ولا تراه سالكاً درباً من دروب الرذيلة والفساد، بل تجده في مجلس الخير أين انعقد، يطلب علماً وينشره، ويجمع من الحلال ما لا وفي سبيل الله ينفقه، ويجلس مع المتخاصمين يصلح بينهم، ومع الحائرين يرشدهم قال تعالى: (اَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ) {العنكبوت: ٤٥}

قال القرطبي: وفي الآية تأويل ثالث، وهو الذي ارتضاه المحققون، وقال به المشيخة الصوفية، وذكره المفسرون فقليل المراد بـ (أقم الصلاة) إدامتها والقيام بحدودها، ثم أخبر حكماً منه: أن الصلاة تنهى صاحبها وممثلها عن الفحشاء والمنكر، وذلك مما فيها من تلاوة القرآن المشتمل على الموعظة، والصلاة تشمل كل بدن المصلي، فإذا دخل المصلي في محرابه، وخشع وأخبت لربه، وادكر أنه وقف بين يديه، وأنه مطلع عليه ويراه صلحت بذلك نفسه، وتذلت وخامرها ارتقاب الله تعالى، وظهرت على جوارحه هيبتها، ولم يكد يفتر عن ذلك، حتى تظله صلاة أخرى يرجع بها إلى أفضل حاله، فهذا معنى هذه الأخبار، لأن صلاة المؤمن هكذا ينبغي أن تكون قلت: لاسيما وإن أشعر نفسه أن هذا ينبغي أن يكون آخر عمله، وهذا أبلغ في المقصود، وأتم في المراد، فإن الموت ليس له سن محدود ولا زمن مخصوص، ولا مرض معلوم، وهذا مما لا خلاف فيه، وروى عن بعض السلف أنه كان إذا قام إلى الصلاة ارتعد واصفر لونه فكلم في ذلك فقال: إني واقف بين يدي الله تعالى، وحق لي هذا مع ملوك الدنيا فكيف مع ملك الملوك؟



أصول التربية القرآنية وأساليبها

فهذه صلاة تنهى ولابد عن الفحشاء والمنكر، ومن كانت صلاته دائرة حول الأجزاء لا خشوع فيها ولا تذكر ولا فضائل كصلاتنا - وليتها تجزى - فتلك تترك صاحبها من منزلته حيث كان، فإن كان على طريقة معاصٍ تبعده عن الله تعالى تركته الصلاة يتمادى على بعده^(١٠١).

وعلى هذا فغياب مفهوم العبادة في التربية الحديثة كان له أكبر الأثر في انحسار الأخلاق وفضائل العلاقات الاجتماعية الحسنة، وكان من أثر التقصير في التربية بالعبادة إيجاد جيل بل أجيال هائمة في مراتع الرذيلة، سابحة في بحار الفساد لا تعرف شيئاً عن دينها الإسلامي، ولا تعرف شيئاً عن أخلاقه الرفيعة وآدابه السامية، أجيال تخرجت من مدارس التربية الحديثة حيث تعلمت فيها الطاعة العمياء للرؤساء، والمحافظة على حسن المظهر، وحسن مقابلة الجمهور، ومجاملة الزملاء لكنها لم تتعلم الطاعة المطلقة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم ولم تثمر التربية الحديثة ما وعدت به من قيام جنة الأرض، ومن القضاء على الصراعات، ومن تطور ضمير الإنسان، بل اشتعلت الأرض نارا، وقامت مسلسلات من الحروب التي لم تتوقف إلى يومنا هذا، وفسدت الذمم، وانحسرت الفضائل، وازدادت الرذائل، وعم القلق الروحي الإنسان المعاصر - إلا من رحمه الله - وتفشى الانحلال والانهيال الأخلاقي بين الطلبة، وأصبح الاختلاط واقعا ملموسا في كل مراحل التعليم، وانتشرت المخدرات والخمر والبغاء في المدارس [ففي عام ١٩٧٤ أصدرت لجنة خاصة في ولاية نيويورك تقريرا بعنوان [الجريمة في المدارس] كشف أن هناك شبكات بغاء تجند الطلاب والطالبات في المدارس، ولقد ذكر أحد الطلبة الذي ظهر على قناة محطة NBC أن زملاءه الطلبة والطالبات يشتركون في هذا البغاء، ويستعملون المخدرات، ويمضى التقرير في سرد تفاصيل وأمثلة تجعل سليم الفطرة برعب من الدرك الذي



(١٠١) تفسير القرطبي/ ج ٨ ص ٥٠٦٤.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

يصله الإنسان بسبب انقطاعه عن الله خاصة في الفصول التي أعطاها المؤلف عناوين هي: سخافة التربية، والتربية الجنسية والكتاب المقدس (١٠٢).

والخلاصة أن غياب هذه الوسيلة التربوية الإسلامية وهي العبادة من مدارسنا ومؤسساتنا التربوية هو السبب الرئيس فيما وصلت إليه الأجيال المعاصرة من انهيار أخلاقي، وترد إلى مهاوى الرذيلة [وذلك لأن التربية القائمة على علاقة العبادة تربية تتناسق تماماً مع طبيعة الإنسان وتكوينه، فالإنسان وجد وجرى تكوينه وتصميمه للقيام بالوظائف والممارسات التي توجه إليها العبادة بمظاهرها الدينية والاجتماعية والكونية عبر أطوار الوجود الثلاثة: طور النشأة والحياة والمصير، وهذا يعنى أن هناك تطابق بين الخلق والغاية والتربية، وهو ما يشير إليه الحديث النبوى القائل: اعملوا فكل ميسر لما خلق له] (١٠٣) وهذا معنى أخطأته الشروح المختلفة للحديث المذكور حيث خلصت إلى الفهم: إن الإنسان مسير - لا ميسر - لما خلق له (١٠٤) ومما ينبغى أن نربى أجيالنا المسلمة عليه أنه إذا كانت العبادة تعنى المحبة والطاعة أو الطاعة الكاملة بسبب المحبة، فإن ذلك لا يكون إلا لله، لا للمال ومن يملكه كما هو الحال فى الواقع المر الذى نعيشه.

وبالجملة فلا بد أن نجعل العبادة جزءاً من النشاط الحى للناشئة المسلم وأن نجعلها وسيلة للتسامى والتصعيد ووسيلة للإصلاح والتهديب.



(١٠٢) فلسفة التربية الإسلامية/ ماجد عرسان الكيلانى ص ١١١.

(١٠٣) متفق عليه: البخارى (كتاب) القدر (باب) وكان أمر الله قدراً مقدوراً ح رقم ٤٦٦٣ ح ٤ ص ١٨٩٠ ومسلم

(كتاب) القدر (باب) خلق آدمى فى بطن أمه رزقه وأجله برقم ٢٦٤٧ ج ٤ ص ٢٠٤٠.

(١٠٤) فلسفة التربية الإسلامية/ د. ماجد عرسان الكيلانى ص ١١٢-١١٣

أصول التربية القرآنية وأساليبها

الفصل الثاني : التربية بالقُدوة

تمهيد

مما لا شك فيه أن الحياة الإسلامية التي تريدها، والجيل المسلم الذي يرفع القواعد من بيت المجتمع الإسلامى لا تربيته النصوص وحدها - رغم أهميتها - بل لابد من مجموعة من المؤمنين ذات تأثير متكامل من رجالات السياسة والإدارة والاقتصاد والفكر والأدب يؤمهم رجل جامع للخصال الطيبة، وليس لقانون إسلامى فرصة تغيير بدون قلوب ملذوعة تتعبد بتطبيقه ومن هنا تبدو أهمية القدوة فى مجال التربية.

إنها المعلم الصامت الذى يوجه ويرشد ولا يتكلم.

ولقد كانت القدوة الحسنة أكبر وسيلة تربية، وأفضل وسيلة فى مدرسة النبوة تلك المدرسة التى خرجت أعظم جيل مشى على الأرض.

ولقد علم أعداء الله أهمية القدوة فى التربية، وأثرها فى الأجيال فراحوا يصنعون شخصيات كبيرة ويجعلون حولها هالة من التعظيم والتفخيم ليقفدى بها الشباب، وراحوا ينسجون حولها الأساطير، ويعقدون لأجلها المؤتمرات والندوات، وذلك كبديل عن القدوة التى يتمثلها المسلمون.

وما شخصية (السوبر مان) التى نسج الأمريكان أسطورتها إلا بديلاً صنعه الكفار ليتمثله شباب الأمة المسلمة وغيرها من أبطال السينما العالمية، ولقد نجحوا فى ذلك إلى حد بعيد فقلدهم - مع الأسف - شبابنا المسلم فى مشيتهم وزيههم وتسريحتهم وحلاقتهم حتى كثرت المياعة، وفشت الخلاعة فى مجتمعاتنا، وفاحت رائحة المجون.



أصول التربية القرآنية وأساليبها

وأصبحنا كما قال العشماوى:

طورا يميل إلى اليمين وتارة
أرأيت ذا عقل يتوق فؤاده
نحو اليسار كتائه فى سبب
وهو السليم إلى عناق

والواجب على المربين المسلمين أن يعوا هذا المكر وذلك الكيد، وأن يكونوا قدوة صالحة يتمثلها الشباب المسلم حتى يسلم من شرك المكر الغربى.

أولاً: مفهوم القدوة فى التربية

المراد بالقدوة فى مجال التربية "إحداث تغيير فى سلوك الفرد فى الاتجاه المرغوب عن طريق القدوة الصالحة، وذلك بأن يتخذ شخصاً أو أكثر تحقق فيهم الصلاح ليتشبه بهم ويأخذ منهم سلوكه، وأن نهياً له أشخاصاً صالحين ليكونوا له موضوع قدوة، ونجنيه الأشخاص السيئين لئلا يقتبس من أقوالهم وأفعالهم ومواقفهم فى حياته، فيكون التغيير فى الاتجاه غير المرغوب فيه.

وهذا ما تعمل التربية الإسلامية على الحيلولة دون حدوثه فى الحياة الإسلامية، ولذا فإن الله عز وجل بعث الرسل الكرام من أظهر البشر وأحسنهم سمعة وأسماءهم خلقاً، مما عصمهم الله من الدنيا والرزائل وذميم السلوك والأفعال، ليكون ذلك هو الجانب العملى للشرائع والأديان فى حياة الناس بعامه (١٠٦).

وأوجز مما سبق أن نقول: إن القدوة تعنى: التطبيق العملى لما جاء به الإسلام من عبادات وأخلاق ومعاملات، والشخص القدوة هو العالم العامل المطبق لتعاليم الإسلام المتمثل لمنهجه وقد كان النبى - صلى الله عليه وسلم - قرآناً يمشى على الأرض، يتمثل القرآن فى كل أقواله

(١٠٥) ديوان من القدس إلى سراييفو/ د. عبد الرحمن العشماوى ص ٣٧ دار الصحوة للنشر ط ١ - ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣.

(١٠٦) أصول التربية الإسلامية د/ أمين أو لاوى ص ١٧٣ - ١٧٤.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

وأعماله يستوى سره وعلايته، يربى أصحابه بسلوكه وأخلاقه الحميدة قبل أن يربيههم بأقواله الطيبة.

ومما ينبغى أن يعيه دعاه الإسلام : أن أعظم بضاعة يحملونها يقبل الناس عليهم لأجلها هي القدوة الطيبة، ولن يقبل الناس على الإسلام، ولن يتمثلوا بأوامره، ولن يتمسكوا بتعاليمه ما لم يروا رجال الصحو قدوة في تطبيق ما يدعون الناس إليه وكذا قيل: فعل رجل في ألف رجل خير من قول ألف رجل في رجل.

ثانياً: القدوة في القرآن

لقد علم الله - سبحانه - وهو يضع منهجه للبشر أنه لابد من قدوة تحمل ذلك المنهج، وتمثله وتحوله إلى حقيقة نابضة وحركة دائبة، لكي يعرف الناس أنه المنهج الحق فيتبعوه. وأعظم قدوة وأعلى مثل ينبغى أن يتمثله المسلم أنبياء الله عليهم صلوات الله.

قال تعالى (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) {النحل: ١٢٠}.

فرد كل أمة في دينه وخلقه وعلمه وأدبه ومعاملاته قال القرطبي/ الأمة : الرجل الجامع للخير" (١٠٧) إن إبراهيم - عليه السلام - كان إنساناً جامعاً خصال الخير والكمال، كل ذرة في جسده نور رباني، وكل خطرة في نفسه شعاع إلهي سما بروحه سموا كريماً حتى كأنه يعيش في الملاء الأعلى فوق السماء، وارتفع بإنسانيته ارتفاعاً عظيماً جعله قمة ولاماً في حضرة الأنبياء، وباع نفسه لله ببيع السماح والرضا، فكانت جميع مواقفه ربانية شامخة مستعلية على كل فتن الحياة الدنيا لذلك نال من المناصب الإلهية أعلاها، ومن تكريم الله له ما لم ينله أحد من المرسلين قبله ولا بعده غير النبي محمد صلى الله عليه وسلم (١٠٨).

(١٠٧) القرطبي/ ج ٦ ص ٣٨١٣

(١٠٨) قصص الأنبياء/ حسن أيوب ص ٦٧ ط دار التوزيع والنشر الإسلامية.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

قال القرطبي: والمعنى: جاعلك للناس إماماً يأتون بك فى هذه الخصال، ويقتدى بك الصالحون فجعله الله إماماً لأهل طاعته (١٠٩).

وفى العقيدة القوية يضرب إبراهيم - عليه السلام - أروع مثل فيتبرأ من أبيه وقومه لما تبين له أنهم أعداء لله: إنه الولاء والبراء الذى يميع أعداء الله المأجورون قضيته

قال تعالى: (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بِرَأْيِنا مَعَكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدِّهِ)

{الممتحنة: ٤}.

إنه الولاء للحق وأهله وللطاعة وأهلها، وإن كانوا من غير جلدتنا، ولأى يجعل قضيتهم وآلامهم قضيتنا وآلامنا، وآمالهم آمالنا، وبراء من الكفر والفسوق والعصيان وحمأة الرذيلة ودعا الفساد وإن كانوا منا وأقرب الناس إلينا.

وفى نبينا - صلى الله عليه وسلم - أروع مثل وأعظم قدوة:

قال عز وجل: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)

{الأحزاب: ٢١}.

يقول صاحب الظلال:

وقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على الرغم من الهول المرعب والضيق المجهد مثابة الأمان للمسلمين، ومصدر الثقة والرجاء والاطمئنان



أصول التربية القرآنية وأساليبها

ولإن دراسة موقفه - صلى الله عليه وسلم - في هذا الحادث الضخم مما يرسم لقادة الجماعات والحركات طريقهم، وفيه أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، وتطلب نفسه القدوة الطيبة ويذكر الله ولا ينساه (١١٠).

فالرسول - صلى الله عليه وسلم - قدوتنا، ليس شعاراً نردده في ظل حماسة لاهية، ولا نشيداً نترنم به نشغل به أوقاتاً فارغة، ولا كلمات نرددها نتسلى بها في الخطوب، وإنما هي حقيقة واقعة تتمثلها في كل حركة وسكنة، أو هكذا ينبغي أن يكون.

{ الرسول قدوتنا }

هو الاقتداء الكامل بالمثل الأعلى الذي سما على كل العبقريات البشرية، والنضج الإنساني، والذي كان ولا زال المنارة المتلألئة في آفاق الظلمات ودروب الجاهلية، وكلما توالى الدهور، وتعاقبت العصور، وجد الناس في شخصية محمد - صلى الله عليه وسلم المثل الكامل والأسوة الصالحة والمنار الهادي (الله أعلم حيث يجعل رسالته) {الأنعام: ١٢٤}.

وعظمة القدوة الحسنة التي اختص بها صاحب الرسالة الخالدة - صلوات الله وسلامه عليه - هي شاملة عامة سواء ما يتعلق بالعبادة أو الزهد، أو ما يرتبط بالتواضع أو الحلم، أو ما يختص بالقوة أو الشجاعة، أو ما يتصل بحسن السياسة أو الثبات على المبدأ، تعالوا بنا يا شباب نستقي من بحر عظمته ومن فيض كمالاته غرفة تداوينا من الظمأ، ونغسل عنا أدران الجاهلية وتجعلنا شاملة للناس (١١١). قدوة شاملة متكاملة.



(١١٠) الظلال ج ٥ ص ٢٨٤١.

(١١١) حتى يعلم الشباب/ عبد الله ناصح علوانص ١٧-١٨.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

لقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - مثلاً حياً لهذا الدين، ومن ثم وجب على المسلم أن يقتدى به - صلى الله عليه وسلم - في كل شئ باعتباره الصورة الكاملة الحية النابضة للمنهج الإسلامي على مدار التاريخ يقول الأستاذ محمد قطب - حفظه الله -: ولقد كان محمد - صلى الله عليه وسلم - عجيبة من عجائب الكون، طاقة كونية صادرة عن الله معجزة كآيات الله.

عظمت لا تحد، شخوص كثيرة مجتمعة في شخص واحد كل واحد منها متكامل في ذاته كأنه متخصص في جانبه منقطع له، ثم تجتمع الشخوص كلها - على تكامل كل منها - فتتكامل على نطاق أوسع، وتتناسق في محيطها الشامل، وتتألف فيها نفس واحدة تجمع كل النفوس، وتجمعها في توازن واتساق!

روح شفيفة تعدل وحدها كل روحانية المسيح - عليه السلام - والمسيح كان متخصصاً في الروحانية، وقوة حيوية فياضة تعدل وحدها أشد الناس حيوية لو كان متخصصاً فيها بلا زيادة.

يمشى وكأنما يتقلع من الأرض تقلعاً، ويمضى في الأمر كأنما كل نفسه فيه، يحارب منطلقاً كالعاصفة لا يرده شئ.

قال على - رضي الله عنه -: كأن أشجعنا أقربنا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في القتال.

ويتزوج ويستمتع بطيبات الأرض كواحد متفرغ لذلك المتاع!



أصول التربية القرآنية وأساليبها

يسلم على الناس بجميع يده وفي حرارة وقوة، يرضى من كل نفسه فيعرف أصحابه في وجهه السرور، ويغضب فيبدو الغضب على وجهه ويدر عرق في جبهته.. هي القوة الحيوية الفياضة في كل اتجاه، ورجل سياسة يشيد أمة من الفئات المتناثر فإذا هي بناء ضخم لا يطاوله شيء في التاريخ، ويمنح هذا البناء من وقته وفكره وروحه وجهده ومشاعره ما يشغل - وحده - حياة كاملة في حيوات ورجل حرب يضع الخطط، ويقود الجيوش، ويحارب، وينتصر كقائد متخصص كل همه القتال متفرغاً له عن كل ما عداه وأب وزوج ورب أسرة كبيرة كثيرة النفقات - نفقات النفس والفكر والشعور، فضلاً عن نفقات المال - كرجل متخصص للأبوة على أعلى نسق شهدته الأرض، ومتخصص للأسرة لا يشغله عنها شاغل من الحياة، وصديق وقريب وصاحب للناس تشغله همومهم، وتملاً نفسه مشاعرهم ويعودهم ويزورهم ويمنحهم من مودته وعطفه ما يشغل رجلاً إنسانى القلب يهب حياته كلها لشئون الناس.

وعابد متحنث لربه كرجل منقطع للعبادة متخصص لأدائها لا تصله بالأرض رابطة، ولا يشغله هم من الهموم، ولا تجيش في نفسه نوازع، ولا تتحرك في كيانه رغبات، ومع هذا كله فهو قائم على أعظم دعوة شهدتها الأرض، الدعوة التي حققت للإنسان وجوده الكامل، وتغلغت في كيانه كله فمدته على أقصى اتساع.

عظمت لا تحد، كل هذه الشخوص المتفرقة مجموعة من شخصية، مجموعة على تناسق وتوافق واتزان كل منها يأخذ نصيبه كاملاً من نفسه، ومع ذلك لا يميل لأن طاقات أخرى عظيمة توازنه في كل اتجاه ذلك محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم - النور الكوني الذي يبهر العالمين وحق للناس أن يحبوه كل ذلك الحب ويعجبوا به ويتبعوه.



أصول التربية القرآنية وأساليبها

ولقد كانت حكمة الله - سبحانه - من بعثه على هذه الصورة المتكاملة الشاملة العظيمة كحكيمته فى إنزال القرآن على هذا المنهج الشامل المعجز العظيم فكان محمد - صلى الله عليه وسلم - فى كونه آية كونية كفؤاً لهذا القرآن، وكان خلقه القرآن.

وكان قدوة للناس فى واقع الأرض يروونه وهو بشر منهم يتمثل فى هذه الصفات كلها وهذه الطاقات، فيصدقون هذه المبادئ الحية لأنهم يروونه رأى العين، ولا يقرأونها فى كتاب، ويرونها فى بشر فتتحرك بها نفوسهم، وتهفو لها مشاعرهم، ويحاولون أن يقبسوا قبسات من الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان بقدر ما يطيق أن يقبس، وكل بقدر ما يحتمل كيانه الصعود ولا ييأسون ولا يتصرفون ولا يدعون حلاً مترفاً لذيذاً يطوف بالأفهام لأنهم يروونه واقعاً يتحرك فى واقع الأرض، ويروونه سلوكاً عملياً لا أمانى فى الخيال، لذلك كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أكبر قدوة للبشرية فى تاريخها الطويل، وكان مربياً وهادياً بسلوكه الشخصى قبل أن يكون بالكلام الذى ينطق به سواء فى ذلك القرآن المنزل وحديث الرسول (١١٢).

ولقد صاغ الله - عز وجل - نبيه ليكون قدوة للناس، وكذلك أخرج الله - عز وجل - الأمة وصاغها على طراز متميز، وجعلها أمة قائدة ومميزها بكل ميزة لتأخذ بأيدي الحيارى وتهديهم إلى الدرب القويم قال تعالى (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)

{البقرة: ١٤٤}.

ولقد كانت أخلاق المسلمين سبباً فى دخول أمم بأكملها فى الإسلام.



(١١٢) منهج التربية الإسلامية/ محمد قطب ص ١٨٢-١٨٣.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

يقول الأستاذ/ جميل المصرى:

والواقع أن مصادرنا لم تبخل علينا بالنصوص الموثقة التى لم تدع مجالاً للشك فى أن المسلمين لم يقهروا أحداً فى اعتناق الإسلام منفذين أمر الله سبحانه وتعالى (لا إكراه فى الدين) {البقرة: ٢٦٥}.

وأما إقبال الشعوب على الإسلام فكان بسبب ما لمسوه فى الإسلام نفسه فهو النعمة العظيمة، ولما لمسوه فى المسلمين من التخلق بأخلاق الإسلام، والالتزام بأحكامه وأوامره ونواهيه، ولما لمسوه فى القادة والجند الذين كانوا يقومون بالدعوة بالتطبيق العملى فتميزت مواقفهم بأنبل المواقف التى عرفها التاريخ العالمى، فقد كان الخلفاء والقادة يوصون جنودهم بالاستعانة بالله والتقوى وليثار أمر الآخرة على الدنيا، والإخلاص فى الجهاد، ولإرادة الله فى العمل والابتعاد عن الذنوب (١١٣).

إن المثال العملى أشد تأثيراً وفاعلية فى نفس الإنسان من المثال القولى الذى يذهب مع الأيام وينسى، ولذلك تجد التلميذ أشد تأثراً بأستاذه منه بغيره من الناس، ولذا فشباب الإسلام واجب عليهم أن يكونوا قدوة للناس لأنهم تحت المجهر، وحركاتهم وسكناتهم مرصودة لكل الناس فينبغى لهم أن يبذلوا الجهد فى سبيل تحقيق مبدأ القدوة فى الملبس والمأكل والمشرب وفى التعامل مع الآخرين.

من جوانب القدوة فى شخصية النبى - صلى الله عليه وسلم -



(١١٣) نقلاً عن كتاب الشرف والتسامى بحركة الفتح الإسلامى د/ على محمد الصلالى ص ١٥٩ - ١٦٠.

إن معاملة الناس بجفوة وخشونة مخالفة صريحة للهدى النبوى، وصارف للناس عن التزام واتباع طريق الحق فعن أبى الدرداء - رضى الله عنه - عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال: "ما من شئ أثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق، وإن الله تعالى ليبغض الفاحش البذئ"(١١٤)، وعن عبد الله بن عمر قال: ما كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاحشاً ومتفحشاً وأنه كان يقول: { إن خياركم أحسنكم أخلاقاً } (١١٥).

فيا شباب الصحوة إن تعاملك مع عامة الناس دعوة لهم، فلا تفرط فيها بالمعاملة السيئة بل عاملهم بالحسنى والمعروف لكى تكسب حبهم وثقتهم، وبذلك تكسبهم إلى صفك، وتأمل قصة ذلك الأعرابى الذى بال فى المسجد، فنهزه الصحابة وزجروه ونهاهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن ذلك ثم قربه الرسول - صلى الله عليه وسلم - منه وعلمه برفق ولين فكان ذلك أرفق به وأحسن، حتى روى أنه هو الذى قال: (اللهم ارحمنى ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً) وقال بعد أن فقه: فقام النبى - صلى الله عليه وسلم - إلى بابى هو وأمى - فلم يسب ولم يؤنب ولم يضرب، وسيرة النبى - صلى الله عليه وسلم - مليئة بمثل هذه المواقف فما أعظمه من مرب، وما أحسنه من قدوة بأبى هو وأمى. فما على شباب الصحوة فى كل مكان إلا أن يعطوا القدوة الصالحة فى سلوكياتهم الاجتماعية وحياتهم التعاملية، وليحذروا أن يظهروا بمظهر التناقض بين الدعوة والسلوك والقول والعمل إن أرادوا أن يدفعوا عجلة الصحوة الإسلامية إلى الأمام، وأن يحققوا لأمتهم السيادة والعزة فى مستقبل الأيام(١١٦)،

(١١٤) (صحيح) الترمذى (كتاب) البروالصلة (باب) ما جاء فى حسن الخلق ح رقم ٢٠٠٢ ج ٤ ص ٣٦٢ والبخارى

فى الأدب المفرد ٣٦٨/١ ح ٢٧٠ صححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم ٥٧٢١.

(١١٥) البخارى (كتاب) الأدب (باب) حسن الخلق والسقاء وما يكره من البخل ح ٣٣٦٦ ج ٣ ص ١٣٠٥.

(١١٦) شباب الصحوة ط دار القاسم/ فؤاد الشلهوب ص ٨١ - ٨٣ ١٤١٦ هـ

أصول التربية القرآنية وأساليبها

ولقد كان - صلى الله عليه وسلم - بشخصه وشمائله وسلوكه وتعامله مع الناس ترجمة عملية بشرية حية لحقائق القرآن الكريم وتعاليمه وآدابه وتشريعاته بما فيها من أسس تربية إسلامية وأساليب تربية قرآنية.

ثانياً: قدوة في العبادة كان - صلى الله عليه وسلم - يقوم حتى تتورم قدماه، وقد روى الشيخان عن المغيرة بن شعبة - رضى الله عنه قال: " كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم يقوم من الليل حتى تتورم قدماه، ولما قيل له: أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبداً شكوراً؟ (١١٧)

وعن علقمة قال: سألت عائشة - رضى الله عنها - أكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يخص شيئاً من الأيام، ويقصد الزيادة في العبادة؟

قالت: لا كان عمله ديمة، وأيكم يطيق ما كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يطيق رواه الشيخان (١١٨)

ومعنى ديمة: دائماً لا ينقطع، ومع هذا القيام الطويل كان - صلى الله عليه وسلم - يقوم على أمور الدنيا وأمور الدعوة وقضايا أمته، ويسوس دولته الفتية، ويجهز الجيوش، ويدرب الرجال، ويراسل الملوك والأمراء، ويقوم على أمر منزله وأهله لا يفرط في شئ من ذلك، ولا يترك جانباً يطغى على جانب، بل يزن الأمور ويضعها في نصابها.



(١١٧) متفق عليه: البخارى (كتاب) التهجد (باب) قيام النبی صلى الله عليه وسلم ح ٤٥٥٦ ج ٤ ص ١٨٣٠ ومسلم

(كتاب) صفات المنافقين (باب) إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة ح ٢٨١٩ ج ٤ ص ٢١٧١.

(١١٨) متفق عليه: البخارى (كتاب) الرقاق (باب) المداومة في العمل ح ١٨٨٦ ج ٢ ص ٧٠١ ومسلم بلفظ: يستطيع

(كتاب) صلاة المسافرين وقصرها (باب) فضل العمل الدائم ح ٧٨٣ ج ١ ص ٥٤١.

لقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثابتاً لا تزعزعه الفتن، ولا تحركه عواصف الفتن وكان فى المعارك أشد ما يكون ثابتاً، فكان يتقدم الصحابة فى الغزوات أو يوجههم من مركز القيادة، وكان يتقدمهم فى المخاطر ويواجهها ولا يهابها.

ولا يدلك على ثباته وشجاعته من وقوفه وحيداً لا سند له فى مواجهة صناديد قريش يدعوهم إلى التوحيد، ويصبر على الأذى والتكذيب، ولم تحدثه نفسه يوماً بالتراجع أو التقاعس هيبة لصولة الباطل، وإنما واجه الباطل لأنه - صلى الله عليه وسلم - يعلم أن الهرب من المواجهة ليس حلاً مرضياً، وإنما الصمود والثبات واقتحام الشدائد خير من الفرار.

وفى يوم حنين يضرب المثل كذلك، فيثبت فى قلة قليلة من أصحابه، وينادى من فر منهم حتى قفلوا راجعين فثبتوا إلى أن أتاهم نصر الله.

فعلى ذلك ينبغى أن نربى أبنائنا: لابد من غرس الشجاعة والثبات والصمود فى قلوبهم بدلاً من الخوف عليهم وتخويفهم من أعداء الإسلام.

ويعين المربين على ذلك غرس العقيدة الصحيحة فى قلوب الأبناء، وتعليمهم السيرة ودراساتها لهم، واستخراج الدروس والعبر من التاريخ.

فما أطال الجبن عمراً، وما قصره الثبات والصمود.



أصول التربية القرآنية وأساليبها

ورحم الله قطرى بن الفجاءة حينما خاطب نفسه لما جزعت عند رؤية الأبطال فى المعركة فقال:

أقول لها وقد طارت شعاعاً من الأبطال ويحك لن تراعى
فإنك لو سألت بقاء يوم على الأجل الذى لك لن تطاعى
فصبراً فى مجال الموت صبراً فما نيل الخلود بمستطاع
ولا ثوب البقاء بثوب عز فيطوى عن أخى الخنع اليراع
سبيل الموت غاية كل حى فداعيه لأهل الأرض داعى
ومن لا يعتبط يسأم ويهرم وتسلمه المنون إلى انقطاع
وما للمرء خير فى حياة إذا ما عد من سقط المتاع

وكذلك ثبت الصديق، وكان شجاعاً فى مواجهة جيوش المرتدين وما نعى الزكاة حتى نصره الله عليهم.

ونحلى بالشجاعة ربيع بن عامر - رضى الله عنه - ووقف فى وجه رستم الفارسى ملؤه الثقة واليقين، وثبت شيخ الإسلام ابن تيمية فى مواجهه غازان التترى، وغيرها من صور الشجاعة التى ينبغى أن يدرسها المربون لشباب الإسلام ليثبتوا فى مواجهة المحن والشدائد.

رابعاً : قدوة فى العمل لدين الله

لما سمع النبى - صلى الله عليه وسلم - (قم الليل) {المزمل: ٢} و(قم فأنذر) {المدثر: ٢}.

قام وجفا المضجع، وخاصم الكسل وفارق النوم جفنه، ووقف فى الميدان، وشمر عن ساعد الجد، وهب يدعو الناس إلى التوحيد، ويغشاهم فى مجالسهم، ويتبع الناس فى المواسم ويذهب إليهم ضارباً أروع مثل من أجل الإسلام لعلمه - صلى الله عليه وسلم - أن الأمر جد وما هو بالهزل،



أصول التربية القرآنية وأساليبها

وأن الإسلام لا يحمله الكسالى ولا المتعللين، بل يحمل الإسلام ويبلغه رجال يعرفون قدره، ويدركون حقيقته، وينهضون ولا يكسلون مهما كانت الشدائد والعقبات فعلى الدعاة وعلى الشباب أن يقتدوا به - صلى الله عليه وسلم - وأن يتحركوا بالإسلام وما أكثر القرى والنجوع التى لا تجد من يعلم صغارها أمور الإسلام، وكم من قرية تحتاج مكتباً لتحفيظ القرآن الكريم ولا مجيب!

يقول الأستاذ النحلاوى : وكان - صلى الله عليه وسلم - أفضل داعية إلى الله يصبر على الشدائد الناجمة عن كيد أعداء الله، وأعداء الفضيلة وتواطئهم، وكان حازماً لا يفقد حزمه فى أشد المواقف هؤلاء وهلعا وجزعا، لأن ملجأه إلى الله يستلهم منه القوة والصبر، وموقفه من ثقيف فى الطائف عندما ذهب لدعوتهم خير دليل على ذلك (١١٩).

خامساً : قدوة فى الثبات على المبدأ

كثيرة هى العقبات والخطوب التى تواجه الداعية، وتصلح عليه: مكروكيد ومؤامرات وتجسس وتلصص وتهديد وسجن، محن من كل اتجاه كأنها هوج العواصف، لكن الداعية الصادق يقف أمامها كالجبل الأشم الذى لا يهتز، يقف صامداً متمسكاً بمبادئه مصراً على تحقيق هدفه، متوسلاً بكل الوسائل - المشروعة المناسبة للمرحلة التى تمر بها رسالته وقد ضرب رسولنا الكريم - عليه الصلاة والسلام - أروع مثل فى الثبات على المبدأ، ولم تؤثر فيه وسائل المشركين المتنوعة من إغراء وتهديد، وقال قولته الشهيرة التى نقلتها لنا كتب السيرة: "والله يا عمى لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى شمالى على أن أترك هذا الأمر - حتى يظهره الله أو أهلك فيه - ما تركته" (١٢٠).

(١١٩) أصول التربية الإسلامية/ عبد الرحمن النحلاوى ص ٢٥٦.

(١٢٠) ابن هشام ٢٦٥/١ - ٢٦٦.

أصول التربية القرآنية وأسااليبها

أين هذا ممن يبيعون كل شئ، ويفرطون فى كل شئ لقاء عرض زائل من الدنيا، وكرسى لو دام لمن سبقهم ما وصل إليهم؟!، وأين هذا من المتساقطين كالجراد على طريق الدعوة الذين يتزلزلون إذا هب النسيم عليهم يحسبونه الريح العقيم؟!، وأين هذا من دعاة كانت لهم حركة ودعوة ومجالس ثم جرفهم تيار الحياة العنيف فخاضوا مع الخائضين؟!

فعلى المربين أن يربوا الشباب المسلم على الثبات على المبادئ الإسلامية، وعلى التمسك بالحق والعمل له، وأن يعرفوهم منذ البداية طبيعة الطريق، فليس طريق الدعوة مفروشاً بالورد كما قد يفهم البعض، ولكنه على عكس ذلك تماماً مفروش بالأشواك والمعاطب والمعاثر فمن شمر ومضى فبها، ومن خاف ورجع فلا يلومن إلا نفسه.

وبالجملة فقد كان - صلى الله عليه وسلم - قدوة فى كل شئ: قدوة متجددة على الأجيال متجددة، فى واقع الناس [والإسلام لا يعرض هذه القدوة للإعجاب السالب، والتأمل التجريدى فى سبحات الخيال، إنما يعرضها عليهم ليحققوها فى ذوات أنفسهم كل بقدر ما يستطيع أن يقتبس، وكل بقدر ما يصبر على الصعود، وهكذا تظل القدوة فى الإسلام شاخصة ماثلة للعيان تتدفق حيويتها، ولا تتحول إلى خيال مجرد تهيم فى حبه الأرواح دون تأثير واقعى، ولعل الحكمة فى ذلك ما أودعه الله فى طبيعة النفس الإنسانية من استعداد للمحاكاة (١٢١).



(١٢١) أصول التربية/ عبد الرحمن النحلاوى ص ٢٥٧.

وللمربي في التربية بالقُدوة وسيلتان:

الأولى: التلقائية، ليكن ملتزماً بما يأمر تلاميذه به، مؤدياً الفرائض حريصاً عليها، لا يفرط في النوافل والسنن بل يلتزم بها، ملتزماً بالهدى الظاهر الذي يميز الداعية والمربي والذي لا ينفصل عن الهدى الباطن، بل هما صنوان.

وليكن عاملاً للإسلام متحركاً لأجله حتى يلمس تلميذه ذلك منه دونما عمد.

والثانية: القصد فلا مانع من قصد التربية بالقُدوة، فليحسن صلاته ليتعلم تلاميذه، ويسبقهم إلى المخاطر ليعلمهم الشجاعة والثبات، ويحسن القراءة ليعلمهم القراءة، وتلك وسيلة نبوية وهو القائل - صلى الله عليه وسلم - فيما رواه البخاري (صلوا كما رأيتموني أصلي) (١٢٢).

وفي الصحابة قُدوة

امتدح الله - عز وجل - في كتابه أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - وأثنى عليهم فقال جل وعلا: (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) {التوبة: ١٠٠}.

وقال سبحانه: (مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا) {الأحزاب: ٢٣}

(١٢٢) البخاري (كتاب) الأذان (باب) الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة والإقامة ح ٦٠٥ ج ١ ص ٢٢٦ ح ٦٤٥ ج ٢ ص ١٦٣.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

وقال سبحانه: (كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ)
{الذاريات: ١٧}.

وقال سبحانه: (تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجْدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ
السُّجُودِ)
{الفتح: ٢٩}.

وقال سبحانه: (وَالَّذِينَ تَبَوَّعُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي
صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ.....) {الحشر: ٩}

هذا غيض من فيض مما نزل في فضل أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - ذلك الجيل
الذي حقق مجتمع المثل الذي حلم به المفكرون والفلاسفة، بل أكثر منه وأعظم فمن كان متأسيا
فليتأس بهم، يقول الأستاذ عبد الله ناصح علوان: ومن هذه القدوة الصالحة التي تجسدت في
صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومن تبعهم بإحسان انتشر الإسلام في كثير من
الممالك النائية، والبلاد الواسعة البعيدة في شرق الدنيا وغربها، والتاريخ يسطر بملء الافتخار
والإعجاب أن الإسلام وصل إلى جنوب الهند وسيلان وجزر لكديف ومالاديف في المحيط
الهندي وإلى التيبب وإلى سواحل الصين وإلى الفلبين وجزر أندونيسيا وشبه جزيرة الملايو،
ووصل إلى أوساط أفريقيا في السنغال ونيجيريا والصومال وتنزانيا ومدغشقر وزنجبار وغيرها
من البلاد، وصل الإسلام إلى كل هذه الأمم بواسطة تجار مسلمين ودعاة صادقين أعطوا
الصورة الصادقة عن الإسلام في سلوكهم وأمانتهم وصدقهم ووفائهم، ثم أعقب ذلك الكلمة
الطيبة والموعظة الحسنة فدخل الناس في دين الإسلام أفواجا وآمنوا بالدين الجديد عن اقتناع
وليمان ورغبة،



أصول التربية القرآنية وأساليبها

ولولا أن يتميز هؤلاء التجار الدعاة بأخلاقهم ويعطوا القدوة بين أولئك الأقوام بصدقهم وأمانتهم، ويعرفون لدى الغرباء بلطفهم وحسن معاملاتهم لما اعتنق الملايين من البشر هذا الإسلام، ولما دخلوا في هديه ورحمته (١٢٣).

لقد أعطوا رضوان الله عليهم - المجهود من أنفسهم فكانوا أروع مثال للأجيال المسلمة في العلم والعمل والثبات وإيثار الحق وما عند الله، فعلى رجال التربية أن يدرسوا لطلاب المدارس بمراحلها المختلفة حياة الصحابة وسيرهم ومواقفهم بدلاً من تدريس التاريخ الفرعوني والتاريخ القبطي والتاريخ الحديث بما فيه من تحريف وتزوير.

وعلى المربين والآباء أن يجعلوا لقاءاتهم ومنتدياتهم عامرة دائماً بأحاديث الصحابة وسيرهم حتى يقلدهم الشباب ويحاكونهم ويقتدون بهم، إنه البديل الذي لا بديل له بعد أن زادت الهجمة الإعلامية الوحشية على بيوتنا وصنعت لشبابنا ذكوراً ولاناثاً قدوة من أهل الفن ومن أهل التمثيل دعاة المجون والخلاعة الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا.

يقول الأستاذ/ محمد قطب حفظه الله:

إن هذه الأمة - وقل بالتحديد قرونها المفضلة - قامت بتطبيق مثالي لهذا الدين في عالم الواقع فارتفعت إلى عالم المثل - مع بشريتها الكاملة - وأثبتت في الوقت ذاته واقعية هذا الدين وقابليته للتطبيق في عالم الواقع، وتلك هي القيمة الحقيقية لهذه الفترة من التاريخ.



(١٢٣) تربية الأولاد في الإسلام ج ٢ ص ٦٢٣ - ٦٢٤.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

إن هذه الأجيال الأولى وخاصة الجيل الأول الفريد قد لا تتكرر مرة أخرى في واقع الأرض ولكنها تبقى مع ذلك رصيда واقعياً لهذه الأمة في جميع أجيالها يحفزها على محاولة العودة إلى التطبيق المثالي للإسلام، وهذه المحاولة ذاتها عمل إيجابي مثمر ولو لم يصل إلى كل النتيجة المطلوبة، تصور إنساناً عند سفح الجبل يعلم يقيناً أن هناك من صعد هذا الجبل إلى قمته فهو يحاول أن يصعد مثله، وقد يصل منتصفه، وقد يصل إلى ربعه، وقد يفلس جهده بعد أن يرقى يضع درجات، وتصور إنساناً آخر واقفاً عند السفح يتطلع إلى القمة وهو يقول في نفسه: إن هذا مستحيل أن يفكر إنسان في صعود هذا الجبل الشاهق فلنكف عن التطلع، ولنرض بالبقاء في السفح، أيهما أنفع للبشرية ؟

وأيهما أفضل في ذات نفسه ؟

ثم أي دور يؤديه ذلك الذي صعد إلى القمة أول مرة في حياة كل الذين يجيئون من بعده، ويحاولون أن يصعدوا مثله ولو وصلوا إلى المنتصف، ولو وصلوا إلى ربع الطريق، ولو أفلس جهدهم بعد ولو في بضع درجات ؟

إنه دور ضخم في عالم الواقع، ولهذا نحتفى حفاوة بالغة بذلك الجيل الفريد، وبذلك القرون المفضلة لأنها المدد الحى الذى يدفع الأجيال كلها إلى محاولة الصعود بدلاً من أن تنتكس إلى أسفل، وتخلد إلى الأرض عند السفح، وربما هو السبب نفسه الذى يجعل المستشرقين يجهدون أنفسهم لمحاولة تشويه تلك الفترة بالذات لعلمهم يطفئون بريقها، ويحبون نورها عن الأجيال المتأخرة ؛ كى لا تفكر أبداً في معاودة الصعود من جديد(١٢٤).



(١٢٤) كيف نكتب التاريخ الإسلامى/ محمد قطب ص ١٠٣.

ألا ما أعظم صحابة النبي - صلى الله عليه وسلم - بل إن هؤلاء الصحابة لآية من آيات نبوته - صلى الله عليه وسلم - فيهم الصديق والفاروق وبقية العشرة المبشرين بالجنة، وفيهم القادة كخالد وسعد وأبى عبيدة وعمر بن العاص، وفيهم العلماء والحكماء الربانيون كعمر وعلى وابن مسعود وابن عمر ومعاذ وزيد وابن عباس وأبو هريرة وأبو موسى الأشعري وغيرهم. إنهم قدوة للمسلمين جميعاً، وأسوة حسنة، وتاريخ مجيد حرى بالشباب المسلم أن يقرأه ويعتز به.



الفصل الثالث : التربية بالموعظة

تمهيد:

ولنما أتبع الحديث عن القدوة بالحديث عن الموعظة لما بينهما من تلازم واقتران فبدون القدوة لا يمكن أن تثمر الموعظة أن القرآن كله موعظة.

قال تعالى (هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ) {آل عمران: ١٣٨}.

ولنما نحتاج إلى الموعظة لأن النفس جبلت وفيها الاستعداد الفطرى للتأثر بما يلقي إليها من الكلام، ومن أجل ذلك كثرت المواعظ فى القرآن والسنة.

وكذلك فالنفس البشرية عرضة للعفلة فى كثير من الأحيان، وكثير ما توغل فى بحار الذنوب والمعاصى فتحتاج إلى الوعظ والتذكير.

ومما تجدر الإشارة إليه والتنبية عليه أن الحاجة إلى الموعظة حاجة دائمة وشاملة: دائمة لتجدد الإيمان، وتنبه الغافل، وتوقظ الوسنان، وترد السادر، وتستنقذ أهل العصيان من بين أنياب المعصية، وشاملة لأن الحاجة إليها لا يختص بها إنسان دون غيره، بل الكل فى حاجة إليها:

يحتاجها العاصى الموغل فى بحار المعصية، والذى لا يحسن السباحة إلا فيها.

ويحتاجها الوالدان كوسيلة تربية تقوم المعوج، وتقيم المنحرف على الجادة.



أصول التربية القرآنية وأساليبها

ويحتاجها الصغير الناشئ ليثب مقيماً على الطاعة سالكا دربها القويم.

ويحتاجها الكبير البالغ الذي شطت به السبل وتفرقت به.

ويحتاجها العلماء، فكم عالم كبا وتتكب الطريق لشبهة أو لضعف أو لغرض أو لعرض.

ويحتاجها الدعاة والوعاظ والعاملون للإسلام، لتكون عوناً لهم وسنداً.

ولأجل ذلك كثر الوعظ في القرآن والسنة.

أولاً : نماذج من الوعظ القرآني

ما أكثر الآيات القرآنية التي تتخذ الوعظ أسلوباً تربوياً ودعوياً وطريقاً إصلاحياً، وتتنوع أساليب الوعظ في القرآن الكريم: فتارة يأتي الوعظ عبر القصص القرآني البديع، وتارة يستخدم القرآن الأمثال يصريها، وتارة يرغب، وتارة يرهب ويهدد، وذلك التنوع في أسلوب الوعظ يؤكد على أهمية الموعظة وأثرها البالغ في مجال التربية.

(١) ومن نماذج الوعظ بالقصة أصحاب الجنة.

قال تعالى: (إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلَا يَسْتَنْتُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠) فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ (٢١) أَنْ اغْدُوا عَلَيَّ حَرْثَكُمْ إِنَّ كُنْتُمْ صَارِمِينَ (٢٢) فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ (٢٣) أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ (٢٤) وَغَدُوا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ (٢٥) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ (٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (٣١) عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ (٣٢) كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ {القلم: ١٨-٣٣}.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

وقد ساق الله - عز وجل - القصة وفيها العظمة والعبرة، فذلك مصير كل بخيل يمنع فضله وماله عن أهله المستحقين له،

وتلك عاقبة المكر والكيد : (وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ) {فاطر: ٤٣}.

وتلك عاقبة الغفلة والاستجابة للهوى.

(ساق تعالى هذه القصة ليعلمنا أن مصير البخيل ومانع الزكاة إلى التلف، وأنه يضمن ببعض ماله في سبيل الله فيهلك كل ماله مصحوبا بغضب الله، ولذلك عقب تعالى بعد ذكر هذه القصة بقوله (كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون)(١٢٥).

وقوله سبحانه (كذلك العذاب) يستفاد منه أن عذاب الله نازل بكل مانع للخير معتد ظالم في كل زمان ومكان، وهو ختام للقصة يملاً قلب المؤمن رهبة ورعباً وخوفاً، ويدفعه إلى العطاء الفياض من وقته وجهده وعلمه وماله وفكره وخبراته ، وكل فضل لديه شكراً لله، وطلباً لرضاه.

(٢) ولا تذكر الموعظة إلا ولقمان الحكيم فارسها، ففي موعظته لولده أسس تربية وقيم إسلامية نبيلة قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥) يَا بُنَيَّ إِنِّي أَتَاكَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦) يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٧) وَلَا تُصْعِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ

(١٢٥) صفوة القفاسير/ محمد على الصابوني/ ج٣ ص٤٢٩ ط٢ دار الجيل ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م).

أصول التربية القرآنية وأساليبها

وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ
وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ
{لقمان ١٢-١٩}.

والعظة مليئة بالتربية العقدية على التوحيد الخالص الذي ابتدأ موعظته به حين نهى عن الشرك
الذي جعله أعظم الظلم. وفيها دعوة إلى بر الوالدين الذي قرنه الله - تعالى - بتوحيده، وكذلك
الدعوة إلى الإيمان بعلم الله.

الواسع المحيط الذي لا حد له، والدعوة إلى مراقبة الله - عز وجل - والإيمان باطلاعه على
العبد في كل حين، والدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى
والتواضع في الكلام والمشية، وحسن الخلق مع الناس.

(٣) من نماذج الوعظ بضرب المثل قول الله تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ
وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنْ أَدَّى
لَهُمْ أَجْرَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٦٢) قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ
صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ
{البقرة: ٢٦٣}.

(٤) وذلك المسلم الإيجابي الذي ينتصر على نفسه، ويجابه الطاغية وأعوانه غير هياب
لسطوته وبطشه، ويجهر بكلمة الحق، ويعظ ويذكر ويحاور ويحذر وينذر ويبشر، إنه ذلك
المؤمن من قوم فرعون والذي قص القرآن لنا حديثه



أصول التربية القرآنية وأساليبها

قال تعالى: (وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكْذِبْ فَاعِلِيهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكْذِبْ فَاعِلِيهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكْذِبْ فَاعِلِيهِ كَذِبُهُ) (٢٨) يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنَ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (٢٩) وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ (٣٠) مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلْمًا لِلْعِبَادِ (٣١) وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (٣٢) يَوْمَ تُثَوِّنُ مَدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٣) وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٍ (٣٤) الَّذِينَ يَجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ (٣٥) وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (٣٦) أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِفِرْعَوْنَ سَوْءَ عَمَلُهُ وَصَدَّ عَنْ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ (٣٧) وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِي أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٣٨) يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٣٩) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يَجْزِيهِ إِلَّا مِثْلُهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (٤٠) وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى التَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ (٤١) تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْغَزِيرِ الْغَفَّارِ (٤٢) لَا جَرَمَ أَتَمَّا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٤٣) فَسْتَذَكِّرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفُوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ

{غافر: ٢٨-٤٤}.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

كم كان ذلك الداعية موفقاً في موعظته، حيث سلك سبيل الرفق واللين والحكمة والتلطف مع التعريض أحياناً مثل قوله: (ولن يك كاذباً فعليه كذبه) قال القرطبي: ولم يكن ذلك لشك منه في رسالته وصدقه، ولكن تلطفاً في الاستكفاف واستنزالاً عن الأذى (١٢٦).

وفي قوله [إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب].

تعريض بفرعون فهو مسرف في عزمه على قتل موسى - عليه السلام - كذاب في ادعائه الإلهية.

وفي قوله: (يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا) فيه تلطف، وترهيب حيث خوفهم من عاقبة الظلم والإسراف في الدنيا.

وفي قوله (ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد) خوفهم بعذاب الآخرة بعد أن خوفهم بعذاب الدنيا والمعنى: إني أخاف عليكم من ذلك اليوم الرهيب الرعب يوم الحشر الأكبر.

ويلفت النظر في الموعظة خوف ذلك المؤمن عليهم وشفقته بهم، وتكرار إضافتهم إلى نفسه وهم أهله الذين يحبهم ولا يسره نزول العذاب بهم، وكذلك الترغيب في الجنة، والتخويف من النار، والتحذير من الدنيا، وبيان حقيقتها (يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار (٣٩) من عمل سيئة فلا يجزي إلا مثلها ومن عمل صالحاً من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب).



(١٢٦) تفسير القرطبي.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

إنها الموعظة التي تصنع الأعاجيب، ويهdy الله بها قلوباً ضالة، ويفتح بها أعيناً عمياء وأذاناً صماء قال الفضيل والحسن: إنك لم تبلغ حق نصيحة أخيك حتى تأمره بما يعجز عنه وقال الفضيل أيضاً: وما أدرك عندنا من أدرك بكثرة الصلاة والصيام، إنما أدرك عندنا بسخاء الأنفس، وسلامة الصدور، والنصح للأمة (١٢٧).

وسئل ابن المبارك: أى الأعمال أفضل؟ قال: النصح لله (١٢٨).

ثانياً: مواعظ نبوية

وقد علم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أهمية الموعظة وهو يربى أصحابه فركز عليها وتتنوع مواعظه - صلى الله عليه وسلم - ومن ذلك ما رواه الشيخان من حديث سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لعلى - رضى الله عنه - لما وجهه إلى خيبر: [انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله - تعالى - فوالله لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم] (١٢٩).

وما رواه مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من دونه شئ؟



(١٢٧) جامع العلوم والحكم ط ١ ص ١٧٦.

(١٢٨) السابق ص ١٧٧.

(١٢٩) متفق عليه: البخارى (كتاب المغازى) (باب غزوة خيبر) ح ٢٧٨٣ ج ٣ ص ١٠٧٧ ومسلم (كتاب فضائل الصحابة) (باب من فضائل على) ح ٢٤٠٦ ج ٤ ص ١٨٧٢.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

قالوا: لا يبقى من درنه شيء.

قال: ذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا (١٣٠).

وما رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أتدرون من المفلس؟

قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع.

قال: المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتى وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار (١٣١). ومن مواعظه البليغة قوله صلى الله عليه وسلم : [تعرّف على الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة] (١٣٢)

وقوله : [ما من أحد يدعو بدعاء إلا آتاه الله ما سأل أو كف عنه من السوء مثله ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم] (١٣٣).



(١٣٠) متفق عليه: البخارى (كتاب) مواقيت الصلاة (باب) الصلوات الخمس كفارة ح ٥٠٥ ج ١ ص ١٩٧ ومسلم (كتاب) المساجد (باب) المشى إلى المساجد تمحى بها الخطايا ح ٦٦٧ ج ١ ص ٤٦٢.

(١٣١) مسلم (كتاب) البر والصلة (باب) تحريم الظلم ح ٢٥٨١ ج ٤ ص ١٩٩٧ واحمد ح ٨٠١٦ ج ٢ ص ٣٠٣.

(١٣٢) (صحيح) رواه أحمد الطبرانى وأبو نعيم فى الحلية والحاكم وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم ٤٢١٦.

(١٣٣) (حسن) الترمذى (كتاب) الدعاء (باب) ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع برقم ٥٥٥٤.

ثالثاً : من مواظ السلف :

قال ذو النون: كان العلماء يتواظون: من أحسن سريره أحسن الله علانيته، ومن أصلح ما بينه وبين الله، أصلح الله ما بينه وبين الناس، ومن أصلح أمر آخرته، أصلح الله أمر دنياه (١٣٤). وقال إبراهيم بن ديزيل: لما دعى عفان للمحنة كنت آخذاً بلجام حماره، فلما حضر عرض عليه القول فامتنع أن يجيب فقليل له: يجبس عطاؤك قال: وكان يعطى كل شهر ألف درهم فقال: (وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ) {الصافات: ٢٢}.

فلما رجع إلى داره عدله نساؤه ومن في داره قال: وكان في داره نحو أربعين إنساناً فدق عليه داق الباب، ودخل عليه رجل شبهته بسمان أو زيات، ومعه كيس فيه ألف درهم، فقال يا أبا عثمان: ثبثك الله كما ثبت الدين، وهذا كل شهر (١٣٥).

ولكى تكون الموعظة مثمرة ، يجب على المربي أن يكون مع موعظته قدوة، وأن يحسن الموعظة، ويختار الوقت المناسب لها، وأن يوجز فالإيجاز هو البلاغة، وليحذر الإطناب، وليعمد إلى المعنى الذى يريده بدون مقدمات، وليختار له اللفظ المعبر المؤثر لتلا يمل المستمع، مع تنويع الموعظة، من كلمة إلى حكمة، إلى مثل يضربه إلى قصة، إلى حوار، يقول الأستاذ/ عبد الله ناصح علوان :

وكم يكون المربي موفقاً حين ينهج مع أولاده منهج القرآن الكريم فى أسلوبه الوعظى، فيذكر تارة بالتقوى، وبنوه أخرى بالموعظة، ويحض حيناً على النصح، ويغرى أحياناً بالترغيب ويستعمل فى موطن آخر أسلوب التهديد

(١٣٤) سير الأعلام/ ١٩ ص ١٤١

(١٣٥) السابق ج ١ ص ٢٤٥.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

وهكذا يتجدد الأسلوب حسب الظروف ومقتضيات الأحوال، وكم يكون المربي موفقاً كذلك حين ينهج منهج الرسول - صلى الله عليه وسلم - في طرائق مواعظه، ويتبع أسلوبه في نصائحه وإرشاداته، وكم يكون موفقاً حين يستخرج بعد عرض القصة عبرها، ويشير إلى مواطن العظة فيها، وكم يكون موفقاً حين ينهج مع أولاده أسلوب الحوار والاستجواب، يطرح السؤال، أو الإلقاء استفهام ليشربوا من معين الهدى بقلب الإقناع والمحاجة، وكم يكون موفقاً حين يقتصد موعظته في الجلسة، ويقصرها على الأهم مخافة السآمة والملل، وكم يكون موفقاً حين يبدأ موعظته بالقسم تأكيداً، ويمزجها بالمداعبة تشويقاً وتحبيباً، وكم يكون موفقاً حين يبذل الجهد في الهيمنة بالوعظ على أولاده ليتأثر الجميع بكلامه، وكم يكون موفقاً حين يبذل الجهد في الهيمنة بالوعظ على أولاده ليتأثر الجميع بكلامه، وكم يكون موفقاً حين يستعين على توضيح الموعظة بالتمثيل والرسم وضرب المثل، وبكل ما يشهده الناس بأبصارهم، ويقع تحت حواسهم ليكون للفهم أوضح، وللتثبيت في الذهن أرسخ، وكم يكون موفقاً حين يعطيهم من نفسه الأنموذج العلمي في التعليم، والمشهد الفعلي في التطبيق، وكم يكون موفقاً حين ينتهز وقوع الحادثة في الوعظ، أو وجود المناسبة في النصح؛ ليكون التأثير أفضل والاستجابة أقوى، إلى غير ذلك من أساليب الوعظ التي ينتهجها، وطرائق الإرشاد التي يتعلمها، حيث يجدها ماثلة في رياض القرآن الكريم، منشورة في دوحات الحديث الشريف.

فما على المربين إلا أن يتخذوا من القرآن الكريم أسلوبه العظيم في مخاطبة الناس، ودعوتهم إلى الخير لأنه: (لِكِتَابٍ عَزِيزٍ (٤١) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (فصلت: ٤١-٤٢))



أصول التربية القرآنية وأساليبها

كما عليهم أن يتأسوا بصاحب الرسالة الخالدة - صلوات الله وسلامه عليه - في طرائق مواعظه وأساليب إرشاداته (١٣٦).

خلاصة أنه ينبغي للمربي أن ينوع أساليب وعظه، وأن يكون حليماً صبوراً، ألا يمل صح والوعظ قال تعالى:

(وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) {الذريات: ٥٥}.

تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) {النحل: ١٢٥}

تعالى: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) {ق: ٣٧}

من أساليب الوعظ القرآني التي ينبغي للمربي أن يستخدمها في وعظه ويتنقل بينها:

١- الموعظة بالقصة.

٢- الموعظة بضرب المثل.

٣- الترغيب والترهيب.

٤- الحوار المنطقي الهادف.

٥- استثمار الأحداث.

قال تعالى: (فَاقْصُصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) {الأعراف: ١٧٦}.

وقال: (وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ) {الروم: ٥٨}.

وقال: (يُخْرِبُونَ بَيْوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ) {الحشر: ٤}.

(١٣٦) تربية الأولاد/ عبد الله ناصح علوان ج ٢ ص ٦٨٨-٦٩٠.

الفصل الرابع: التربية بالعبرة

أولاً : مفهوم التربية بالعبرة

التربية بالعبرة أسلوب تروى قرآنى يعرض على العقل والوجدان بعض آيات الله فى الآفاق، وبعض أحداث الكون والتاريخ بطريقة خاصة من شأنها أن تحدث فى الإنسان تغييراً نفسياً عقلياً سلوكياً، نتيجة لتأثير وجدانى عقلى بتلك الظواهر الكونية ، والحوادث الاجتماعية التاريخية (١٣٧).

وعلى هذا فالعبرة المأخوذة من الكون والتاريخ وسيلة تربية ناجعة حرى بالمربى أن يهتم بها، وألا يغفل عنها، وأن يلفت أنظار تلاميذه إلى آيات القرآن التى تتضمن عبراً؛ ليغرس فيهم من خلال التركيز على تلك العبر - الإيمان بالله - عز وجل - وتوحيده، والخضوع لعظمته، وإخلاص العبودية له، فالاعتبار بهذه الآيات هدف المربى الأول، ليرسخ عقيدة التوحيد، وعقيدة الإيمان باليوم الآخر، وليربى النشء على الإيمان بأن النصر مع الصبر، وأن النصر من عند الله، وأن الله ولى الصالحين يربط على قلوبهم، ويكشف الضر عنهم ويجلب النفع لهم، وذلك لتمتلى قلوبهم طمأنينة وثقة وأملاً.



(١٣٧) التربية بالعبرة/ عبد الرحمن النحلاوى ص ١٨٥.

ثانياً: نماذج من العبر القرآنية

يمكن تقسيم عبر القرآن الكريم إلى نوعين:

النوع الأول: العبر التاريخية.

النوع الثاني: العبر الكونية.

واليك البيان:

أولاً: نماذج من عبر القرآن التاريخية

قال الله عز وجل: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ (١٠) كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١١) قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتْغَلِبُونَ وَتَحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٢) قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَتِ الثَّقَاتِ فَنُفُتَاتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرُونَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ (١٣) زِينٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الْمَآبِ) {آل عمران: ١٠-١٤}.

والآيات تلفت أنظارنا إلى العبرة بما حدث في غزوة بدر، حيث انتصرت الفئة القليلة المؤمنة ضعيفة الشوكة على الفئة الكثيرة الباغية الكافرة، وفي ذلك عبرة تملأ القلب أملاً وثقة بنصر الله وطمأنينة.



أصول التربية القرآنية وأساليبها

يقول الأستاذ/ عبد الرحمن النحلاوي حفظه الله :

ولو تأملنا أكثر العبر الواردة في القرآن الكريم لوجدناها تنتهي بمرحلة تطبيقية، ففي العبرة بغزوة بدر نجد - بعد الاعتبار بما لاقى المشركون من العذاب والهزيمة يوم بدر - أن النص القرآني يصف - في النتيجة التي انتهى إليها - طبيعة من طبائع البشر الذين لم يصقل الإيمان نفوسهم كهؤلاء المشركين الذين لم تتفعهم أموالهم وأولادهم في تلك المعركة، وذلك في قوله - سبحانه وتعالى- : (زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الْمَآبِ) {آل عمران: ١٤}.

ثم يصف لنا العلاج والسلوك التطبيقي الذي يتحقق به هذا العلاج، فالعلاج هو الإيمان بالله وطلب رضوانه، وبالיום الآخر وما فيه من ثواب، والسلوك الذي ينتج عنه هو الاستغفار والخوف من الله والصبر والصدق والقنوت واللجوء إلى الله كما قال: (قُلْ أُوْبِتُّكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) {آل عمران: ١٥}.

فهذا هو العلاج المعنوي، وأما التطبيق العملي فهو ممارسة السلوك الذي ينتهي إليه المتأثرون بهذه العبرة، المصممون على تحقيق ما آمنوا به وهم :

(الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٦) الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ) {آل عمران: ١٧}.



أصول التربية القرآنية وأساليبها

وهكذا ندرك إذا جمعنا بين العبرة ونتائجها السلوكية أن الله - عز وجل - جعل في موقعة بدر آية على قدرته لكي يعتبر بها.

(قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فَنَّتَيْنِ الَّتِي قَاتَلْتُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافَّةً يَرَوْنَهُمْ مَثَلِيهِمْ رَئِيَ الْعَيْنِ وَاللَّهِ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ (١٣) زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النَّسَاءِ)
{آل عمران: ١٢-١٤}

وذلك بعد أن بين للمشركين مصيرهم: (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتْغْلِبُونَ وَتَحْشُرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبُئْسَ الْمِهَادُ) {آل عمران: ١٢}

ثم حذر الله الذين اعتبروا بهذه العبرة من الانحراف والاعتماد على المال والبنين والشهوات من دون الله، بين لهم أن الصدق والاستقامة والصبر والخوف من الله هي المقدمات التي يجب أن يوفرها في سلوكهم حتى يفوزوا بلذائذ الحس والنفس الخالدة في نعيم العالم الآخر، ولا يغتروا بشهوات الدنيا الفانية فتنتيهم عن الاستقامة والقيام بأوامر الله والخوف من عقابه في جميع علاقاتهم وأمور حياتهم، وأن الاستمتاع بشهوات الدنيا ورغائبها ولذائذها لا يسان من الانحراف والتهور؛ إلا إذا ضبط باليقظة التامة المنبعثة من الخوف من الله واليوم الآخر، والتطلع إلى آفاق أعلى؛ إلى ما عند الله في الحياة الباقية الخالدة وهو خير وأزكى (١٣٨).

ويتضح لنا أن ذلك الأسلوب القرآني الذي يأخذ العبرة وسيلة للتربية يعين المرء على اختيار السلوك الأمثل، ويوفر له العزم والتصميم الذي نحتاجه في كل أعمالنا، ويدفع المسلم إلى الاعتدال والاستقامة، وإلى محاسبة نفسه ونقدها، وإلى الاتباع والانقياد للحق والفرار من الباطل.



(١٣٨) التربية بالعبرة للنحلاوي ص ١٢٧-١٢٨

أصول التربية القرآنية وأساليبها

يقول صاحب الظلال: رحمه الله:

إن هذه الآيات واردة في صدد خطاب بنى إسرائيل وتهديدهم بمصير الكفار قبلهم وبعدهم وفيها لفئة لطيفة عميقة الدلالة كذلك.. فهو يذكرهم فيها بمصير آل فرعون.. وكان الله سبحانه قد أهلك آل فرعون، ونجى بنى إسرائيل، ولكن هذا لا يمنحهم حقاً خاصاً إذا هم ضلوا وكفروا، ولا يعصمهم أن يوصموا بالكفر إذا هم انحرفوا، وأن ينالوا جزاء الكافرين فى الدنيا والآخرة، كما نال آل فرعون الذين نجاهم الله منهم، كذلك يذكرهم مصارع قريش فى بدر - وهم كفار - يقول لهم: إن سنة الله لا تتخلف، وإنه لا يعصمهم عاصم من أن يحق عليهم ما حق على قريش، فالعلة هى الكفر، وليس لأحد على الله دالة، ولا له شفاعة إلا بالإيمان الصحيح.

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ)

{آل عمران: ١٠}.

والأموال والأولاد مظنة حماية ووقاية، ولكنهما لا يغنيان شيئاً فى ذلك اليوم الذى لا ريب فيه؛ لأنه لا إخلاف لميعاد الله وهم فيه "وقود النار"، بهذا التعبير الذى يسلبهم كل خصائص الإنسان ومميزاته، وبصورهم فى صورة الحطب والخشب وسائر "وقود النار" لا بل إن الأموال والأولاد، ومعهما الجاه والسلطان لا تغنى شيئاً فى الدنيا (كَدَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ)

{آل عمران: ١١}.

وهو مثل مضى فى التاريخ مكروراً، وقصه الله فى هذا الكتاب تفصيلاً، وهو يمثل سنة الله فى المكذبين بآياته يجريها حيث يشاء، فلا أمان إذن ولا ضمان لمكذب بآيات الله.



أصول التربية القرآنية وأساليبها

أنها سنة الله في الأقوام والحوادث تربينا على العدل، وعدم الظلم، وعلى مساندة الحق والتزامه.

النموذج الثاني :

قصة يوسف - عليه السلام - والقصة فيها من وسائل التربية ثلاث وسائل:

التربية بالآيات قال تعالى (لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْمُتَّقِينَ) {يوسف: ٧}.

التربية بالعبرة (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ) {يوسف: ١١١}.

التربية بالقصة قال تعالى:

(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ) {يوسف: ٣}.

إن القارئ لسورة يوسف - عليه السلام - ليقف على عبر كثيرة تأخذ بالآلآب، جدير بالمربي أن يوقف تلامذته عليها ومن هذه العبر:

- أن الابتلاء سنة من سنن الله لا تتخلف ولا تتحول، وأن أشد الناس بلاء الأنبياء وتوفيق الآيات على أنواع المحن التي تقلب يوسف - عليه السلام - بين أنيابها ونالته مخالبتها، فصبر ولم يجزع، ولاذ بربه والتجأ إلى حماه، فما أضاع الله أجره، بل أحسن إليه، ومكن له؛ فالتمكين مع الصبر، ولا يمكن للمسلم حتى يبتلى، وقد سأل رجل الشافعي - رحمه الله - فقال: يا أبا عبد الله ، أيهما أفضل للرجل أن يمكن أو أن يبتلى؟



أصول التربية القرآنية وأساليبها

فقال الشافعي: لا يمكن حتى يبتلى، فإن الله ابتلى نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - فلما صبروا مكنهم، فلا يظن أحد أنه يخلص من الألم البتة (١٣٩).

- أن الاستعلاء على الفتن سبيل النجاة والتمكين، وهذا يوسف الكريم - عليه السلام يستعلى على الفتن كلها: على فتنة الحسد والحقد، وعلى فتنة العبودية، وعلى فتنة النساء، وعلى فتنة السجن والغربة، والوحشة وعندها كتب الله النجاة والتمكين له.

- يقول ابن القيم رحمه الله إذا سلم العبد من فتنة الشبهات والشهوات؛ حصل له أعظم غايتين مطلوبتين بهما سعادته وفلاحه وكماله، وهما الهدى والرحمة قال تعالى عن موسى وفتاه

(فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا) {الكهف: ٦٥}

فجمع له بين الرحمة والعلم (١٤٠)

واذن فالذين كفروا وكذبوا بدعوة محمد - صلى الله عليه وسلم - وآيات الكتاب الذي نزل به عليه بالحق معرضون لهذا المصير في الدنيا والآخرة سواء، ومن ثم يلحق الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن ينذرهم هذا المصير في الدارين، وأن يضرب لهم المثل بيوم بدر القريب فلعلهم نسوا مثل فرعون والذين من قبله في التكذيب والأخذ الشديد (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتْرٌ مَكِينٌ) قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتْرٌ مَكِينٌ وَتَحْشُرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ {آل عمران: ١٢}.



(١٣٩) الفوائد لابن القيم ص ٢٧١

(١٤٠) إغاثة اللهفان لابن القيم ج ٢ ص ١٦٣.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

وليس على الفئة المؤمنة إلا أن تطمئن إلى هذه الحقيقة، وتثق في ذلك الوعد، وتأخذ للأمر عدته التي في طوقها كاملة، وتصبر حتى يأذن الله، ولا تستعجل ولا تقنط إذا طال عليها الأمد المغيب في علم الله المدبر بحكمته، المؤجل لموعده الذي يحقق هذه الحكمة (١٤١).

ألا ما أتعس هؤلاء المجرمين الذين يزودون عن الباطل ويبذلون له، ويحاربون الحق ويقاثلون أهله ويبيتون لهم بليل، وما أشد ظلمهم لأنفسهم، ألا يعلم أولئك أنهم إلى زوال، وأن ملكهم لا يدوم، وأن أموالهم وأولادهم لا تغني عنهم شيئاً، بل هي سبب غيهم؟ ليتأمل هؤلاء مصارع من سار سيرتهم، ونهج نهجهم لعلمهم يعتبرون، وإلى رشدهم يثوبون، وعن غيهم يرجعون، ما كان يظن كثير من الناس أن يكون مصير فرعون الطاغية وجنوده الغرق، ولا أن يكون مصير أبي جهل ورفاقه إلى القليب، ولكنها سنة الله التي لا تتخلف.

يقول الأستاذ محمد العبدية حفظه الله :

لم يصدق بعض المسلمين الذي لم يشهدوا الغزوة أن قريشاً قد هزمت هذه الهزيمة النكراء، وأن زعماءها قد أسروا وربطوا بالحبال، وقد رأت أم المؤمنين سودة بنت زمعة - رضى الله عنها - سهيلاً بن عمرو ويداه مجموعتان إلى عنقه بالحبال وهو من أسياد مكة، فكان لفرط دهشتها أن أسرعت بالقول: " أبا يزيد أعطيتم أيديكم ألا متم كراماً"

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "أعلى الله وعلى رسول الله "

فقالت: " يا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والذي بعثك بالحق ما ملكت حين رأيت أبا يزيد مجموعة يده إلى عنقه بالحبال أن قلت ما قلت .



(١٤١) في ظلال القرآن لسيد قطب ج ١ ص ٣٧١ - ٣٧٢.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

لم يغضب رسول الله - صلى الله عليه وسلم لكلمة قالتها أم المؤمنين - رضى الله عنها - وإنما نبهها إلى خطورة كلامها، وهو يعلم أنها ما قالت ذلك إلا لوقع المفاجأة.

والعربى يفضل القتل على الأسر (١٤٢)

وقال - سبحانه - فى آخر قصة يوسف:

(لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)
{يوسف: ١١١}

فجمع بين الهدى والرحمة ليوسف عليه السلام، لما استعلى على الفتن شبهاتها وشهواتها سرائها وضرائها.

إن قصة يوسف - عليه السلام - والعبر التى فيها منبع ثر وينبوع فياض على المربين أن ينهلوا منه، وألا يغفلوا عنه، وألا يحرّموا الناشئة خيره، وثمة أهداف كثيرة ونتائج جليّة لهذه العبرة نترك الأستاذ عبد الرحمن النحلاوى يجمّلها كتابة فيقول حفظه الله :

كانت أولى نتائج هذه العبرة تحقيق الهدف الأول بتربية الإيمان بلطف الله وعلمه وحكمته والاستسلام لهذا الإيمان استسلاماً ينتج عنه فى سلوك الإنسان التصرف بثقة وبعد نظر وانتظار النتائج بصبر وثبات، واليقين بأن ما قدره الله هو عين الحكمة وفيه المصلحة العاجلة أو الآجلة لعبادة المؤمنين الثابتين على الحق المجاهدين الصابرين المحتسبين المخلصين .



(١٤٢) الطريق إلى المدينة: محمد العبدى ص ١٣٠-١٣١

أصول التربية القرآنية وأساليبها

وجاءت النتيجة لهذا الإيمان متصلة بالقصة اتصالاً مباشراً في دعاء يوسف عليه السلام: (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ) {يوسف: ١٠١}

لتربى نفوسنا على أن نعمة الملك والجاه والسلطان امتحان من الله يجب أن لا يشغلنا عن الهدف الأصلي من الحياة، وهو إسلام الوجه لله، واتباع سنن الصالحين في السلوك الفردي والاجتماعي، واستخدام النعمة فيما يحقق هذا الهدف شكراً لله عليها.

الهدف الثانى: من هذه العبرة: التدليل والبرهان على أن القرآن وحى من الله، وتربية الإيمان بهذا الوحي واتباعه، وقد ذكر هذا المغزى تعقيباً على القصة فى سياق تعقيبات جاءت؛ لترسخ أهداف هذه العبرة، والقصة بجملتها - على العموم - ناطقة بأنها وحى من عند الله، ولم تكن من قول البشر.

الهدف الثالث: تربية الإيمان بالله وهو من أهم أهداف هذه العبرة وغيرها، ولا يتحقق إلا بعد التأمل فى آيات الله فى الآفاق وفى قصص الأنبياء وأخبارهم مع أممهم، وهذا ما يلاحظ فى التعقيب على قصة يوسف بقوله تعالى (وَمَا أَكْثَرَ النَّاسَ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (١٠٣) وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (١٠٤) وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ) {يوسف: ١٠٣-١٠٥}

فتحقيق هدف تربية الإيمان بالله عن طريق هذا الأسلوب القرآن يقتضى تربية العقل على التفكير الصحيح، وتربية الفرد على السلوك السليم مما يستلزمه أسلوب التربية بالعبرة ليعطى آثاره ونتائجه التربوية...



الهدف الرابع: ألا يبالى المؤمن بالأكثرية الكافرة لأن الناس ليسوا دائماً فى جانب الحق والإيمان
(وما أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ) {يوسف: ١٠٣}

الهدف الخامس: تربية المؤمن على التميز عن مفاهيم الشرك وسلوك المشركين وهذا نتيجة لازمة للهدف الرابع "إخلاص الإيمان" قال تعالى (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) {يوسف: ١٠٨}

وأصحاب الدعوة إلى الله لابد لهم من التميز، وأن يعلنوا أنهم أمة وحدهم يفترون عن لا يعتقد عقيدتهم ولا يسلك مسلكتهم، ويتميزون عليهم ولا يختلطون، ولابد لهم منذ اليوم الأول أن يعلنوا أنهم شئ آخر غير الجاهلية...

الهدف السادس: تربية الصبر والإيمان بنصر الله عندما تستحكم الشدائد، وهو من أكثر الأهداف اتصالاً بالعبرة، وقد أكد السياق القرآنى فى آخر السورة هذا الهدف معقياً على القصة ليبين لنا أن ما حصل ليوسف وأبيه من النصر بعد الصبر هو من تدبير أحكم الحاكمين، وأن هذه سنة الله فى جميع رسله وأنبياءه وأتباعهم من المؤمنين الصادقين إلى يوم الدين، وذلك فى قوله تعالى (تَبَيَّنَ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنَجَّيْنَا مِنْ نَشَاءٍ وَلَا يَرُدُّ بِأُسْنَا عَنْ الْقَوْمِ الْمَجْرِمِينَ) {يوسف: ١١٠}

الهدف السابع: تربية العفة وعزة النفس وضبط الغرائز والشهوات والتمتره عن السوء والفحشاء، وهو من أشد مغازى العبرة تأثيراً فى النفوس، ومن أعظمها تربية للأخلاق، وخاصة فى سن المراهقة والشباب (١٤٣).

(١٤٣) التربية بالعبرة/ عبد الرحمن النحلاوى ص ٧٠-٧٨ باختصار.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

وثمة نماذج كثير فيها العبرة والعظة في القرآن الكريم منها قول الله عز وجل:

(وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥)
وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلُ عَلَيْهِ
يَلْهَثُ أَوْ تَتْرَكهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)
{الأعراف: ١٧٦}

وهي عبرة فيمن علم ولم ينفعه علمه، وما أكثر ذلك النموذج، وتلك عاقبته أنه أخلد إلى الأرض، أما مثله فمثل الكلب، وما أقبحه من مثل لرجل علم وله يعمل.

النوع الثاني : العبرة الكونية

وما أكثر العبر والآيات المبنوثة في كون الله سبحانه وانها لتهدى إلى الحق، وتأخذ بالألباب، وتوقف المسلم على قدرة الله المطلقة وعظمته سبحانه إنها دعوة إلى التأمل والسير والتفكير للاعتبار والتعرف على سنن الله التي لا تتبدل.

ومن النماذج:

١- قال تعالى: (اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (٢)
وهو الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رِوَاسٍ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣) وفي الأرض قطع متجاورات وجنات
من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض
في الأكل إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)
{الرعد: ٢-٤}



أصول التربية القرآنية وأساليبها

ما أكثر الآيات والعبر التى تملأ السماء، وهى عبر تملأ القلب إيماناً وتعظيماً لله - عز وجل - ورهبة منه وحباً له فى آن (والإنسان العاقل أمام بديع صنع الله يتوقف طويلاً أمام أصغر جسم فى السماء، وأعظم جسم فيها يتأمل فى بديع صنع الله - عز وجل - : فى سمواته فتبرز له أدلة الإيمان بعظمة الخالق، فى ملكوته فلا يملك ألا تخشع جوارحه، وتخضع وتذل، وتستجيب فتقدر الله حق قدره وتقدره بالعبادة وحده لا شريك له فسبحان من لا يقدر الخلق قدره، ومن هو فوق العرش فرد موحد(١٤٤)

إن تأمل ما فى السماء من آيات يدهش العقول، ويهذى إلى الحق، ولا يزال علماء الفلك يكتشفون من خلال تجاربهم ومراصدهم ومناظيرهم كل يوم ما يدهش العقول فى هذا الكون الفسيح، حتى قال مكتشف الجاذبية معبرا عن اكتشافه وضآلة ما اكتشفه بجانب الخالق العظيم:

لست أدرى كيف أبدو فى نظر العالم ولكنى فى نظر نفسى أبدو - وأنا ابحث فى هذا الكون - كما لو كنت غلاماً صغيراً يلعب على شاطئ البحر فليهو بين حين وآخر بالعثور على حجر أملس أو محارة بالغة الجمال فى الوقت الذى يمتد فيه محيط الحقيقة أمامى دون أن يسبر أحد غوره(١٤٥) إنه عجائب لا يقدر عليها إلا الله: فالسماء مرفوعة بلا عمد، والشمس فى فلكها، والقمر له منازلته التى يقطعها، والليل والنهار يتعاقبان لا يسبق أحدهما صاحبه لكل فلكه الذى يسبح فيه، ونباتات متجاورات فى أرض واحدة تشرب ماء واحداً، ولكن الثمار مختلفة، والطعوم متباينة، وذكر الليل والنهار بعد ذكر الثمرات إشارة إلى دورهما فى نمو النبات، ونضج ثماره، والناس يعرفون دور النهار لكن أكثرهم لا يعرف دور الليل، وفى الليل تنمو النباتات وتكبر حيث تحتاج إلى فترة من الظلام ليستقيم نموها، وبالليل تتعادل الحرارة فى الأرض،



(١٤٤) دعوه للتأمل/ للشيخ على الفرنى ص ٣٣.

(١٤٥) {السابق ص ٣٤-٣٥}.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

ولو استمر النهار لاحترق ما عليها من الأحياء بعد وقت يسير (وفي الأرض قطع متجاورات وجتات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) {الرعد: ٤}

وهذه إشارة إلى خصائص الماء والتربة ودورهما في الإنبات، وإلى خصائص النبات الوراثية ودورها في تنوع الثمار في ألوانها وطعومها وروائحها ومحتوياتها الغذائية.

وكما كانت بداية الإنسان خلية واحدة ثم اختلفت أنسجته وأعضاؤه، كذلك النبات منشؤه خلية واحدة، لكن الجينات الوراثية الكامنة فيها تجعل من هذه الخلية جزرا أو فجلا أو تفاحا أو ليمونا، وكل خلية من النبات تضم تصميم النبات كله، ويواجه

الباحثون في تنوع النبات نفس مسألة التخصص الغربية التي قابلناها في جسم الإنسان (١٤٦).

النموذج الثاني من العبر الكونية

قول الله عز وجل: (نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ) (٥٧) أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَمْنُونَ (٥٨) أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (٥٩) نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٦٠) عَلَى أَنْ نَبْدَلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦١) وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلَلْتُمْ تَتَفَكَّهُونَ (٦٥) إِنَّا لَمَغْرُمُونَ (٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٦٧) أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ (٦٩) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ (٧٠) أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (٧١) أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ (٧٢) نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَنَذِيرًا لِلْمُقِيمِينَ (٧٣) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ {الواقعة:

{٧٤/٥٧}

(١٤٦) دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث أ/ محمد عز الدين توفيق ص ١٨٤-١٨٥.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

وفى هذه الايات الجليلات مجموعة من الظواهر الكونية، ومن العبر تستوقف المسلم

فالظاهرة الأولى:

التي منها تنشأ السلالات البشرية هي ظاهرة المنى الذى منه لقاح الأحياء.

هي ظاهرة الماء الذى يشربه الناس، ولا حياة لهم بدونه.

والظاهرة الثانية:

هي ظاهرة الحرث الذى يخرج به الزرع

والظاهرة الثالثة:

هي ظاهرة الماء الذى يشربه الناس ولا حياة لهم بدونه.

والظاهرة الرابعة:

هي ظاهرة النار التى يستخدمها الناس فى منافعهم الكثيرة

هذه ظواهر أربع لا يدعى أحد خلقها، ولن وجد من يدعى ذلك فليجعل منيه العقيم صالحاً
سليماً، وليفلق الحب والنوى ويخرج منه الزرع، ولينزل الماء من السحاب، وليجعل الملح منه
عزياً، ولينشأ الشجر الذى منه النار.

ولأن أحداً لا يقدر على ذلك لم يعد إلا التسليم بأن مرد ذلك إلى الله القدير الذى أنعم على
الإنسان بهذه النعم، وما على الإنسان إلا أن يشكر (فلولا تشكرون)، وذلك الذى سلم الإنسان به
هو الهدف من تلك العبرة (فسبح باسم ربك العظيم) {الواقعة: ٩٦}.



أصول التربية القرآنية وأساليبها

إن الهدف الرئيسى من هذه العبرة هو تربية الإيمان بالألوهية والربوبية، بل إن جميع آيات الله الكونية تهدف إلى ذلك، فالاعتبار بهذه الآيات هدف الأول ترسيخ عقيدة الألوهية وخلصها الله وحده، وهى ثمرة الإيمان بربوبية الله وابداعه فيما صنع، وقدرته الطليقة التى لا منتهى لحدودها:

نظرت إلى كل ما فى الوجود	إذ كان ما فيه ساعٍ لغاية
له حكمة فى النظام الكبير	قد أحكمت فيه منذ البداية
ولم أر شيئاً به مهماً	ولم أر ما لم يحظ بالعناية
ولو أن شيئاً به قد بدا	مصادفة لم يصل للنهاية
ظواهر محكمة فى النظام	تقدم للناظرين الهداية
تدل على محكم قادرٍ	يحيط مقاديره بالحماية

تبصرت بالمظهر الباهر

فآمنت بالخلق القادر

وفى الكون للناظر المعتبر

روائع آيات رب البشر..... فآمنت به (١٤٧)



(١٤٧) براهين وأدلة إيمانية/ عبد الرحمن حسن حنبكة الميدانى ص ٤٧٨ والأبيات من نظمه.

الفصل الخامس

التربية بالأحداث

أولاً: المقصود بالتربية بالأحداث :

وسيلة تربوية قرآنية يستغل فيها المربي الحدث وهو ساخن للتوجيه والإرشاد والتربية والتقييم، وتصحيح التصور، وتربية الضمائر، وغرس القيم النبيلة.

والتربية بالأحداث وسيلة فعالة حيث تكون النفس مع الحدث مهياً للتربية وقبول التوجيه والإرشاد، ومن ثم فالمربي الناجح لا يترك الأحداث تمر عليه مرور الكرام دون استثمارها في التوجيه والتقويم، وإنما يستغلها لتربية نفوس المتربين، وصقلها وتهذيبها.

يقول الأستاذ محمد قطب حفظه الله:

ومزية الأحداث على غيرها من وسائل التربية أنها تحدث في النفس حالة خاصة، هي أقرب إلى الانصهار، إن الحادثة تثير النفس بكاملها، وترسل فيها قدراً من حرارة التفاعل والانفعال يكفي لصهرها أحياناً، أو الوصول بلها إلى قرب الانصهار، وتلك حالة لا تحدث كل يوم في النفس، وليس من اليسير الوصول إليها، والنفس في راحتها وأمنها وطمأنينتها مسترخية أو منطلقة في تأمل رخي، وصحيح أن بعض حالات الوجد والانفعال الروحي في العبادة لها من الحرارة ما يحدث هذا الانصهار في النفس،



أصول التربية القرآنية وأساليبها

ولكنها حالات نادرة لا يقدر عليها إلا الأقلون، أما الحادثة - بقوتها المفروضة على النفس من الخارج - فهي تحدث هذا الانصهار بلا إرادة ولا داع، ولا رغبة ذاتية في الوصول إلى هذه الدرجة العليا من الإحساس، ومن ثم فهي أقرب تأثيراً في جموع الناس الذين لا يصلون بذاتهم إلى درجة الانصهار.

والمثل يقول: اضرب والحديد ساخن، لأن الضرب حينئذ يسهل الطرق والتشكيل، أما إذا تركته يبرد فهيهات أن تشكل منه شيئاً ولو بذلت أكبر الجهود.

لذلك كان استغلال الحادثة والحديد ساخن، مهمة كبيرة من مهام التربية لينطبع على النفس في حالة انصهارها ما يريد المربي أن يطبعه من التوجيهات والتعذيبات فلا يزول أثرها أبداً، أو لا يزول من قريب، ولقد قام القرآن - وهو يربى الأمة الإسلامية في منشئها - باستغلال الأحداث في تربية النفوس استغلالاً عجيباً عميق الأثر، كان من نتيجته تلك الأمة العجيبة الفريدة في التاريخ كله (١٤٨)

ثانياً: نماذج قرآنية للتربية بالأحداث:

١ - يقول الله عز وجل: (وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تَحْبُونَ مِنْكُمْ مَنْ يَرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يَرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (١٥٢) إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تُلَوُّونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَاكُمْ فَأَتَابَكُمْ عَمَّا بَغِمَ لَكُمْ لِكَيْ لَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٥٣) ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نَاعَسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخَفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يَبْدُونَ لَكَ

(١٤٨) منهج التربية الإسلامية: محمد قطب ص ٢٠٧-٢٠٨.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٥٤) إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ {آل عمران ١٥٢-١٥٥}

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله :

"ولقد صدقكم الله وعده" أول النهار .

"إذ تحسونهم بإذنه" أى تقتلونهم بتسليطه إياكم عليهم .

"حتى إذا فشلتم" قال ابن جريح: قال ابن عباس: الفشل: الجبن .

"وتتازعتم فى الأمر وعصيتم" كما وقع للرماة .

"من بعد ما أراكم ما تحبون" وهو الظفر بهم

"منكم من يريد الدنيا" هم الذين رغبوا فى المغنم حين رأو الهزيمة .

"ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم" أى: أمالكهم عليهم ليختبركم ويمتحنكم .

"ولقد عفا عنكم" أى : غفر لكم ذلك الصنيع، وذلك والله أعلم لكثرة عدد العدو وعدتهم، وقلة

عدد المسلمين وعددهم، قال ابن جريح: قوله "ولقد عفا عنكم" وقال: لم نستأصلكم .



أصول التربية القرآنية وأساليبها

"إذ تصعدون ولا تولون على أحد" أى: صرفكم عنهم "إذ تصعدون" أى: فى الجبل هاربين من أعدائكم.

"والرسول يدعوكم فى أخراكم" أى: وهو قد خلفتموه وراء ظهوركم يدعوكم إلى ترك الفرار من الأعداء، وإلى الرجعة والعودة والكرة.

"فأثابكم غما بغم" أى: كربا بعد كرب، قتل من قتل من إخوانكم ، وعلو عدوكم عليكم، وما وقع فى أنفسكم من قول: قتل نبيكم فكان ذلك متتابعاً عليكم غما بغم.

وقال مجاهد وقتادة: الغم الأول: سماعهم قتل محمد، والثانى: ما أصابهم من القتل الجرح. "لكى لا تحزنوا على ما فاتكم" أى: على ما فاتكم من الغنيمة والظفر بعدوكم.

"ولا ما أصابكم" من الجراح والقتل" ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمانة نعاساً" أى: أنزل عليكم من السكينة والأمانة وهو النعاس الذى غشيهم وهم مشتملون السلاح فى حال همهم وغمهم، والنعاس فى مثل تلك الحال دليل على الأمان.

"يغشى طائفة منكم" يعنى: أهل الإيمان واليقين والثبات والتوكل الصادق، وهم الجازمون بأن الله - عز وجل - سينصر رسوله وينجز له مأموله.

"وطائفة قد أهتمهم أنفسهم" يعنى: لا يغشاهم النعاس من القلق والجزع والخوف.

"يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية" اعتقدوا أن المشركين لما ظهروا تلك الساعة أنها الفيصلة، وأن الإسلام قد باد وأهله، وهذا شأن أهل الريب والشك إذا حصل أمر من الأمور العظيمة تحصل لهم هذه الظنون الشنيعة.



أصول التربية القرآنية وأساليبها

"يقولون" فى تلك الحال "هل لنا من الأمر من شئ" فقال الله تعالى: "قل إن الأمر كله لله يخفون فى أنفسهم ما لا يبدون لك"، ثم فسر ما يخفوه فى أنفسهم قوله "يقولون لو كان لنا من الأمر شئ ما قتلنا هاهنا" أى: يسرون هذه المقالة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

"قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم" أى: هذا قدر قدره الله - عز وجل - وحكم حتى لا محيد عنه، ولا مناص منه.

"وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم" أى: يختبركم بما جرى عليكم ليميز الخبيث من الطيب، ويظهر أمر المؤمن من المنافق للناس فى الأقوال" والله عليم بذات الصدور

أى: ما يختلج فى الصدور من السرائر والضمائر.

"إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا" أى بعض ذنوبهم السالفة.

"إن الله غفور حلیم" أى يغفر الذنوب، ويحلم عن خلقه، ويتجاوز عنهم^(١٤٩)

إن معركة أحد حدث ملئ بالقيم التربوية الإيمانية، ولقد استغل القرآن الكريم ذلك الحدث ليربى المؤمنين تربية إيمانية، وليرشدهم إلى سنن الله تعالى فى النصر والهزيمة، حتى يقفوا عندها ويتعلموها.

ولعل القيم التربوية الكبرى التى يتعلمها المسلم من ذلك الحدث، هى تربية المؤمنين على التجرد الكامل لله - عز وجل - فى كل أمور حياتهم فى السفر والحضر، فى السلم والحرب، فى القوة والضعف أو قل: فى كل زمان ومكان فلا بد من حدث وابتلاء يخلص النفوس من أدرانها، ويقطع العلائق بين النفس المؤمنة وبين الدنيا ومطامعها؛ لتتجرد النفس خالصة لله - عز وجل

(^{١٤٩}) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٤١٢ - ص ٤١٨ باختصار

أصول التربية القرآنية وأساليبها

- معترزة به - سبحانه - و بالقيم التى ينشئها، تلك القيم التى تجعل النفوس مستعلية بالإيمان على الدنيا نعيمها ومطامحها، بل وتجعل النفوس وهو الأهم، مستعلية على ذواتها، وعلى شهواتها، وعلى أهوائها، وعلى كل ما يجذب إلى الأرض، ويعوق النفوس عن المضى قدماً مع ركب الإيمان فى طريق الله - عز وجل - وإنك لتلمح ذلك جلياً فى قوله - سبحانه - "منكم من يريد الدنيا" قبل قوله "ومنكم من يريد الآخرة" إن إرادة الدنيا وطلبها، والتعلق بها هو السبب الرئيس فى التردى إلى مهاوى الهزيمة، ووجود طائفة فى صف الدعاة والعاملين لدين الله تريد الدنيا وتتحرك لأجلها، هو سبب فى هزيمة الحركة الإسلامية، وتسلب أعدائها عليها وطمعهم فيها، بل وجود تلك الطائفة الدنيوية لهو السبب الرئيس فى تأخر التمكين والظفر إلى الآن، ولا بد لركب الإيمان الساعى إلى نصره الحق من التجرد من حب الدنيا، ولا بد من الهمة العالية والاستعلاء بالإيمان على كل قيمة أرضية ومأرب زائل وفتنة جهلاء، ومن القيم التربوية فى ذلك الحدث كذلك قوله تعالى "ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمانة نعاساً يغشى طائفة منكم" إن الله - عز وجل - مع المؤمنين لا يتركهم للشدائد تحطمهم، ولا يتركهم للمحن تصطلح عليهم، ولكن مع ابتلائه لهم يرحمهم رحمة المحب الرفيق الشفيق الذى يرشد إلى مواطن الداء، ويصف له الدواء وقد يكون الدواء شديداً مؤلماً لكن مع الشدة السلامة، ومع الألم النجاة.

ها هم المؤمنون يبيتون ليلة المعركة، والهواجس كثيرة فى تلك الليلة، والتخويف شديد عندها ينزل الله على أحبائه النعاس؛ ليقبهم القلق، ويجنبهم الخوف والجزع يقول صاحب الظلال: وهى ظاهرة عجيبة تشي برحمة الله التى تحف بعبادة المؤمنين فالنعاس حين يلم بالمجهدين المرهقين المفزعين ولو لحظة واحدة يفعل فى كيانهم فعل السحر، ويردهم خلقاً جديداً، ويسكب فى قلوبهم الطمأنينة كما يسكب فى كيانهم الراحة بطريقة مجهولة الكنة والكيف،



أصول التربية القرآنية وأساليبها

أقول هذا وقد جربته فى لحظة كرب وشدة فأحسست فيه رحمة الله الندية العميقة بصورة تعجز عن وصفها العبارة البشرية القاصرة (١٥٠).

ويقول فى موضع آخر:

أما قصة النعاس الذى غشى المسلمين قبل المعركة فهى قصة حالة نفسية عجيبة لا تكون إلا بأمر الله وقدره وتدبيره... لقد فزع الملمون وهم يرون أنفسهم قلة فى مواجهة خطر لم يحسبوا حسابه، ولم يتخذوا له عدته، فإذا النعاس يغشاهم ثم يصحون منه والسكينة تغمر نفوسهم والطمأنينة تفيض على قلوبهم، وهكذا كل يوم أحد تكرر الفزع وتكرر النعاس وتكررت الطمأنينة، ولقد كنت أمر على هذه الآيات وأقرأ أخبار هذا النعاس فأدركه كحادث وقع يعلم الله سره ويحكى لنا خبره، ثم إذا بى أقع فى شدة وتمر على لحظات من الضيق المكتوم والتوجس القلق ساعة غروب، ثم تدركنى سنة من النوم لا تتعدى بضع دقائق وأصحو إنساناً جديداً غير الذى كان... ساكن النفس مطمئن القلب مستغرقاً فى الطمأنينة الواثقة العميقة... كيف تم ذلك؟ كيف وقع هذا التحول المفاجئ؟ لست أدري! ولكنى بعدها أدرك قصة بدر واحد، أدركه هذه المرة بكيانى كله لا بعقلى واستشعرها حية فى حسى لا مجرد تصور، وأرى فيها يد الله وهى تعمل عملها الخفى المباشر ويطمئن قلبى.

لقد كانت هذه الغشية وهذه الطمأنينة مدداً من أمداد الله للعصية المسلمة يوم بدر {إذ يغشاكم النعاس أمنة منه} (١٥١)



(١٥٠) الظلال ج ١ ص ٤٩٥.

(١٥١) الظلال: سيد قطب ج ٣ ص ١٤٨٤.

٢ - ويقول الله عز وجل:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ (١٥) وَمَنْ يُولُوهُمْ يَوْمَئِذٍ دَبْرُهُ إِلَّا مَتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مَتَحِيزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦) فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتُ إِذْ رَمَيْتُ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٧) ذَلِكَ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدَ الْكَافِرِينَ)

{الأنفال: ١٥-١٨}.

يقول الطبري رحمه الله:

يعنى تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله إذا لقيتم الذين كفروا في القتال زحفاً يقول: متزاحفاً بعضهم على بعض، والتزاحف: التدانى والتقارب {فلا تولوهم الأدبار} يقول: فلا تولوهم ظهوركم فتنهزموا عنهم ولكن اثبتوا لهم فإن الله معكم عليهم {ومن يولهم يومئذ دبره} يقول: ومن يولهم منكم ظهره {إلا متحرفاً لقتال} يقول: إلا مستطرداً لقتال عدوه بطلب عودة له يمكنه إصابتها فيكر عليه {أو متحيزاً إلى فئة} أو إلا أن يوليهام ظهره متحيزاً إلى فئة يقول: صائراً إلى حيز المؤمنين الذين يفيئون به معهم إليهم لقتالهم ويرجعون به معهم إليهم (١٥٢).

قال السعدى رحمه الله:

(إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً) أى: صف القتال، وتزاحف الرجال، واقترب بعضهم من بعض (فلا تولوهم الأدبار) بل اثبتوا لقتالهم، واصبروا على جلادهم فإن فى ذلك نصره لدين الله، وقوة لقلوب المؤمنين، وإذهاباً للكافرين (ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء) أى رجع (بغضب من الله ومأواه) أى مقره (جهنم وبئس المصير)

(١٥٢) تفسير القرطبي ج ٩-١٠ ص ٢٣٦

أصول التربية القرآنية وأساليبها

وهذا يدل على أن الفرار من الزحف من غير عذر من أكبر الكبائر، كما ورد بذلك الأحاديث الصحيحة، وكما نص هنا على وعيده بهذا الوعيد الشديد (١٥٣).

يقول صاحب الظلال:

الآن وهذا المشهد حاضر في القلوب شاخص للأبصار، الآن وفي أنسب اللحظات لاستجابة القلوب للتوجيه، الآن يجيء الأمر للذين آمنوا - بصفتهم هذه - أن يثبتوا إذا لقوا الذين كفروا، وألا يولوهم الأدبار من الهزيمة والفرار، مادام أن النصر والهزيمة موكلان إلى إرادة فوق إرادة الناس، وإلى أسباب غير الأسباب الظاهرة التي يراها الناس، ومادام أن الله هو الذى يدبر أمر المعركة - كما يدبر الأمر كله - وهو الذى يقتل الكفار بأيدي المؤمنين، وهو الذى ينجح الرمية حيث ترمى، وهو الذى يلقي في قلوب الذين كفروا الرعب، ويوهن تدبيرهم، ويذيقهم العذاب في الدنيا والآخرة لأنهم شاقوا الله ورسوله {يا أيها الذين إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولهم الأدبار} (١٥٤).

هنا يستحضر القرآن الكريم المعركة وملابساتها ومواقفها، بل ويعيد الأحداث بمشاهدتها وانفعالاتها وخفقاتها؛ ليعيشها المسلمون مرة أخرى، ويلمسون تدبير الله - عز وجل - لهم ورحمته بهم وعونه إذ يغشيهم النعاس، ويذهب عنهم رجس الشيطان ويثبت قلوبهم، وعند ذلك وبينما هم يحسون ذلك ويلمسونه، الآن وقد انصهرت نفوسهم يأمرهم الله - عز وجل - بطاعته والتوكل عليه وتقواه فلا تملك نفوسهم إلا الاستجابة والطاعة لله - عز وجل - الذى يقول لهم {يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون} (٢٠) ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون {الأنفال: ٢٠-٢١}.

(١٥٣) تفسير السعدى ص ٢٧٩

(١٥٤) الظلال ج ٣ ص ١٤٨٧

أصول التربية القرآنية وأساليبها

أمر بطاعته - سبحانه - وطاعة رسوله - صلى الله عليه وسلم - وهى عن الأعراض عن منهجهما.

والذى يقول لهم سبحانه:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤) وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)
{الأنفال: ٢٤-٢٥}.

أمر من الله - سبحانه - بالاستجابة له ولرسوله الكريم، وترغيب منه - سبحانه -، فى ذلك يجعله ما يدعو إليه النبى - صلى الله عليه وسلم - فيه الحياة للقلوب والأوراح، وفيه النور الذى يمشى به المسلم ويهتدى (أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)

{الأنعام: ١٢٢}

فعلى المربى والمعلم المسلم أن يستثمر الأحداث فى التربية والتقويم لما لها من أثر فعال فى بناء المسلم، وإعادة تشكيله وتقويمه.

٣ - ومن الآيات التى ربى القرآن فيها المؤمنين بالأحداث حادثة الإفك، والتى اتهم المنافقون فيها أم المؤمنين عائشة حتى وقع الناس فى الكلام عليها وهى الطاهرة المطهرة، ولنقرأ الآيات أولاً، ثم ننظر كيف علق القرآن عليها، وما الدروس التى تعلمها المؤمنون من ذلك الحادث؟



يقول الله عز وجل:

(لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ (١٢) لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٣) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٤) إِذْ تَقَوُّنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسِبُونَهُ هينًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٥) وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (١٦) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧) وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٨) إِنَّ الَّذِينَ يَحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (١٩) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَعُوفٌ رَحِيمٌ (٢٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢١) وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٢) إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٣) يَوْمَ تُشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (٢٥) الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّعونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ {النور: ١١-٢٦}



أصول التربية القرآنية وأساليبها

هذا حادث خطير تولى المنافقون بقيادة عبد الله بن أبى كبره، واستثمره القرآن الكريم ليربى المؤمنين على: ١ - أن المؤمنين كالجسد الواحد وكالنفس الواحدة، آمالهم واحدة، وآلامهم واحدة، ولذلك قال الله سبحانه - "ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا" أى: بإخوانهم من المؤمنين والمؤمنات قال الحسن: يعنى بذلك المؤمنين والمؤمنات (١٥٥).

٢ - على التثبيت: وهو منهج إسلامى أصيل يجنب المسلمين الكثير من الأمور التى لا تحمد عقباها، فيجب على المسلم أن يتثبت من كل أمر قبل أن يتحرك، وعليه ألا يروج الإشاعات؛ حتى يسلم المجتمع من غوائل الفتن والفساد، ومن المؤسف أن ترويج الإشاعات، وعدم التثبت من الأخبار أصبح سمة من سمات كثير من الشباب المسلم الملتزم الذى ينتسب إلى الصحة الإسلامية، فترى الواحد منهم يقول: هذا الشيخ سمعت أنه يحلل كذا ويحرم كذا، وهو على خلاف مع فلان، وإذا سألته عن مصدره الذى استقى الخبر منه يقول لك: سمعت ذلك، ويقال فليتنق الله كل مسلم ولا يتحدث بالظن.

٣ - حسن الظن بالمؤمنين قال تعالى: (ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين).

فعلى المسلم أن يقدم حسن الظن بإخوانه على سوء الظن بهم قال تعالى (إن بعض الظن إثم) {الحجرات: ١٢}.

٤ - حماية الأعراض وعدم الخوض فيها

٥ - مساعدة الفقراء والمحتاجين حتى ولو أساءوا إليك.

٦ - التحذير من اتباع خطوات الشيطان.

(١٥٥) تفسير الطبرى ج ١٨ ص ١١٦.

أصول التربية القرآنية وأسااليبها

٧- التحذير من تزكية النفس، وإرجاع الفضل إلى الله.

٨- مدافعة الفواحش والحيلولة دون إشاعتها.

٩- التحذير من رمى المحصنات المؤمنات وإحسان الظن بهن.

١٠- التحذير من النفاق وأهله، فهو خطر يتهدد الأمة المسلمة دائماً.

ومن هنا نفهم أخى المربى (أن التربية من خلال الأحداث سنة شرعية، فحين يحصل زلزال أو كارثة نقول لطلابنا: إن هذا من سنن الله فى عقوبة أهل المعاصى، وإن سرنا فى طريقهم تحقق علينا نفس السنة، وحين يصلى الناس الاستسقاء يحسن أن نقول لأبنائنا: هذا القحط من شؤم المعصية، وحين تحصل مجاعة أو مصيبة للمسلمين، نحدثهم عن الولاء بين المؤمنين ونصرتهم، وحين يسرى لدى الناس إشاعة كاذبة فلنتحدث عن التثبت والتبين فى الأخبار، وهكذا ينبغى أن نستغل الأحداث القريبة والبعيدة لتقرير المعانى الشرعية، والحقائق التربوية" (١٥٦).



(١٥٦) ومهارات التوجيه: محمد عبد الله الدويش ص ٨١.

الفصل السادس

التربية بالقصة

معنى التربية بالقصة وأهمية ذلك :

القصة وسيلة من وسائل القرآن الكريم الكثيرة إلى أغراضه الدينية، والقرآن كتاب هداية دعوة قبل شئ، والقصة إحدى وسائله لإبلاغ هذه الدعوة وتثبيتها.

المعنى اللغوي للقصة يدور حول عدة معان منها:

١ - القراءة قال تعالى: (فَاقْصُصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) {الأعراف: ١٧٦}

٢- طلب الأثر 'فارتدا على آثارهما قصصا' {الكهف: ٦٤}

٢-الإخبار (فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) {القصص: ٢٥}

تنزل عليك، ويعنى بالأنباء الأخبار(١٥٧)

انطلاقاً من ذلك المعنى اللغوي للقصة فالتربية بالقصة تعنى: قراءة المربي للقصص القرآني واستلهاهم عبره، واستنباط دروسه بهدف للتوجيه والتقويم والإرشاد.

أهمية القصة في التربية والتوجيه.

(١٥٧) انظر الوجود والنظائر لأبي عبد الله الحسين بن محمد الدامغانى ج٢ ص ١٦٠

أصول التربية القرآنية وأساليبها

مما يدلّك على أهمية القصة كوسيلة من وسائل التربية تكرار القصة في مواضع متعددة والتكرار وسيلة من وسائل الإقناع، بل ويتجاوز الأمر التكرار إلى ما يلي:

١ - الامتتان على النبي - صلى الله عليه وسلم - بإنزال أحسن القصص قال عز وجل: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنَّ الْغَافِلِينَ) {يوسف: ٣} وقد كانت قصة يوسف - عليه السلام - مدرسة من مدارس التربية، ومعيناً ثراً لا ينضب تتدفق فيه عيون الحكمة وأسباب الهداية، وكانت بحق أحسن القصص كما أخبر الله عز وجل.

٢ - الأمر بقص القصص قال عز وجل: (فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) {الأعراف: ١٧٦}

أمر من الله - عز وجل - يوجب على نبيه - صلى الله عليه وسلم - أن يقص القصص لما فيه من الهداية والتفكير.

٣ - الإخبار بأن القصص سبب لتثبيت فؤاد النبي - صلى الله عليه وسلم - قال الله عز وجل: (وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ) {هود: ١٢٠}

ولذا كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يحتاج فؤاده إلى التثبيت ليبلغ دعوة الله - عز وجل - وكان القصص وسيلة لتثبيته فما أشد حاجة العلماء والدعاة والمربين والمتربين إلى القصص،



أصول التربية القرآنية وأساليبها

وغذا كانت الحاجة للقصص ملحة وشديدة فحاجتنا للقصص فى ذلك العصر أشد، وذلك لأن الحرب على الإسلام وأهله ودعائه اليوم حمى وطيسها، واشتد أوارها، وتنوعت أشكالها، وتشعبت دروبها، فالمسلم المعاصر محارب من الخارج ومن الداخل من أعداء الإسلام، وأهل الكتاب، ومن العلمانيين أعداء الدين، وهو إما يولى الأدبار ولا يلقى على شئ فيخسر الدنيا والآخرة، ولما أن يثبت فى مواجهة أعاصير الفتن وذلك المأمول، وفى قصص الأنبياء والصالحين عون له على الثبات.

٤ - الأمر بالاعتبار بما قص الله فى كتابه قال الله عز وجل: (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى.....)

{يوسف: ١١١}.

٥ - أن النفس الإنسانية مفطورة على حب القصص، واستخدام الوسائل المحببة إلى النفس فى تربيتها أدعى للاستجابة، وأقوى فى التأثير.

يقول الأستاذ محمد بن عبد الله الدويش:

وتبدو أهمية ذلك بشكل أكبر فى تربية الناشئة وخطابهم، إذ يعانى شباب المسلمين اليوم وفتيانهم من غياب القدوة الصالحة، ومن بروز النماذج والقدوات السيئة، والإعلاء من شأنها، وتبجيلها لدى الناس" (١٥٨).



(١٥٨) تأملات فى العمل الإسلامى/ محمد بن عبد الله الدويش ط ١ المنتدى الإسلامى ١٤٢١: ٢٠٠٠ ص

للقصة في القرآن الكريم أهداف كثيرة يصعب استقصاؤها، ولكن ننتقى منها ما تمس الحاجة إليه ومن ذلك:

١ - إثبات وحدانية الله - عز وجل - في اسمائه وصفاته وأفعاله وربوبيته وألوهيته، ولذلك لا نقرأ قصة من قصص الأنبياء إلا وجدته يخبر قومه بأن الله واحد لا شريك له ولأنه له، ولا مناوئ له في علو شأنه، ولا في سلطانه قال تعالى (لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) {هود: ٥٠}

وقال سبحانه: (وَالِى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ) {هود: ٦١}

وقال سبحانه (وَالِى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَتَّبِعُوا الْمَكِيلَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مَّحِيPT) {هود: ٨٤}

هذه دعوة كل الأنبياء، بل لأجلها بعثوا جميعاً، ومن هنا يتضح لنا أهمية التوحيد فهو المنطلق الذى تتطلق منه الدعوات، والهدف الأسمى الذى تتحرك لأجله فليست قضية التوحيد قضية فرعية ولا هامشية كما يريد لها أعداء الإسلام، بل هى القضية والعبء الكبير والحمل الثقيل الذى بعثت الأمة لتقوم به ليقول الأستاذ محمد قطب "قضية التوحيد فى ميزان الله - وهو الميزان الحق - هى قضية القضايا، وهى الارتكاز فى الوجود البشرى كله، من أجلها أرسل الله الرسل، وعليها وبها يتحدد مصير الإنسان فى الآخرة



أصول التربية القرآنية وأساليبها

فضلاً عن نوع معيشتة في الحياة الدنيا ومنهجه فيها، أهو المنهج اللائق بالإنسان كما خلقه الله في (أحسن تقويم) أم هو منهج الحيوان متطوراً كان أم غير متطور (١٥٩).

٢ - ومن أهداف القصة القرآنية إثبات الوحي والرسالة فما كان محمد - صلى الله عليه وسلم - قارئاً ولا كاتباً، وما جلس لبشر بعلمه فمن أين أتى بهذه القصص التي لا مثيل لها؟ إنه الوحي، ولانها الرسالة قال تعالى:

(وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذِ يَخْتَصِمُونَ) {آل عمران: ٤٤}

وقال سبحانه: (قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (٦٧) أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ (٦٨) مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٦٩) إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنْتَ أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ {ص: ٦٧-٧٠}

وفي سورة هود: (تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ) {هود: ٤٩}.

٣- تصديق أنباء القرآن

تأمل مثلاً سورة الحجر يقول الله عز وجل:

(نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ) {الحجر: ٤٩-٥٠}

والآيتان تتحدثان عن مغفرة الله ورحمته بعباده، وعن عذابه، ذلك النبأ هو النبأ الذي يجب على المسلم أن يؤمن به؛ ليحيا وقلبه معلق بين الخوف والرجاء.



(١٥٩) كيف نكتب التاريخ الإسلامي/ محمد قطب ص ٢٥.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

فلا يعتر، ولا ييأس، ثم يجي القصص القرآني بعدها ليصدق ذلك النبأ

ففي قصة لوط - عليه السلام - تتجلى رحمة الله - عز وجل - فيكتب النجاة للوط وأهله المؤمنين وأتباعه الصادقين، ويكتب على من كفر به وحارب دعوته العذاب الأليم. قال تعالى:

(قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٥٧) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ (٥٨) إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٩) إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَا إِنَّا لَمِنَ الْغَابِرِينَ {الحجر: ٥٧-٦٠})

هذه رحمة الله بعباده المؤمنين، وتنجيته لهم إلا امرأة لوط ثم يأتي عذابه الأليم فيأخذ الكفار أخذ عزيز مقتدر فيقول: (لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (٧٢) فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مَشْرِقِينَ (٧٣) فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِنْ سَجِيلٍ (٧٤) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ {الحجر ٧٢-٧٥})

٤ - بيان الأصل المشترك بين دين محمد ودين إبراهيم - عليهما السلام - بصفته خاصة، ثم أديان بنى إسرائيل بصفة خاصة، وإبراز أن هذا الاتصال أشد من الاتصال العام بين جميع الأديان، فتكررت الإشارة إلى هذا في قصص إبراهيم وموسى وعيسى (إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى) {الأعلى: ١٨-١٩})

(أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (٣٧) أَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى {النجم: ٣٦-٣٨})

(إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا) {آل عمران ٦٨}



أصول التربية القرآنية وأساليبها

{الحج ٧٨}

(مِلَّةُ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ)

(وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٤٦) وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أُنْزِلَ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)

{المائدة ٤٦-٤٧}

٥ - بيان أن الله ينصر أنبياءه في النهاية، ويهلك المكذبين، وذلك تثبيتاً لمحمد - صلى الله عليه وسلم - وتأثيراً في نفوس من يدعوهم إلى الإيمان (وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ {هود: ١٢٠})

وتبعاً لهذا الغرض كانت ترد قصص الأنبياء مجتمعة مختومة بمصارع من كذبهم، ويتكرر بهذا عرض القصص كما جاء في سورة العنكبوت (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (١٤) فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٥) وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٦) إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١٧) وَإِنْ تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ {العنكبوت: ١٤-١٨} .

إلى أن يقول سبحانه (فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ {العنكبوت: ٢٤} .



أصول التربية القرآنية وأساليبها

ويقول سبحانه وتعالى: (وَلَوْ طَآءَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنِّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ) {العنكبوت: ٢٨}.

إلى أن يقول: (إِنَّا مَنَزَلُونَا عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٣٤) وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) {العنكبوت: ٣٤/٣٥}.

قول سبحانه (وَالِى مَدِينٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٣٦) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ)

{العنكبوت: ٣٦-٣٧}

ويقول سبحانه:

(وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَّسَآكِنِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (٣٨) وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ (٣٩) فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) {العنكبوت: ٣٨-٤٠}

وتلك هى النهاية الواحدة للمكذبين (١٦٠)

والإيمان بأن الله - عز وجل - ينصر أوليائه، ويثبتهم، ويربط على قلوبهم ولا يسلمهم لعدوهم يسكب فى قلب المسلم الثقة والطمأنينة والثبات، فلا تزعزعه أعاصير المحن، ولا هوج الفتنة التى تعصف عصفاً حتى تدع الحليم فى حيرة

(١٦٠) التصوير الفنى فى القرآن الكريم لسيد قطب ص ١٥١-١٥٣.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

وانما يثبت لها ثبوت الجبال لا ينقلب، ولا يتزعزع، وكذلك تملأ قلب المؤمن أملا فلا يتطرق اليأس إلى قلبه عندما يعلم أن الله معه يؤيده، ويكلؤه، ويدافع عنه، ويواصل المسير، ويستعذب الألم في سبيل الله، ولا ينحرف عن الدرب القويم، وكيف ينحرف والله معه؟، وكيف ينقلب على عقبيه وهو يعلم يقينا أن عذاب البشر فإن لا يدوم، هين إلى جوار عذاب الله - عز وجل - قال سبحانه وتعالى: (مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) {العنكبوت: ٥}.

فضرب لمدة هذا الألم أجلا لا بد أن يأتي، وهو يوم لقائه فيلتذ العبد أعظم اللذة بما تحمل من الألم من أجله وفي مرضاته، وتكون لذته وسروره وابتهاجه بقدر ما تحمل من الألم في الله والله، وأكد هذا العزاء والتسلية برجاء لقائه ليحمل العبد اشتياقه إلى لقاء ربه ووليه على تحمل مشقة الألم العاجل، بل ربما غيبه الشوق إلى لقائه عن شهود الألم والإحساس به، وقد سأل النبي - صلى الله عليه وسلم - ربه الشوق إلى لقائه (١٦١).

٦ - تحذير المسلم من غواية الشيطان

يقول الله عز وجل (يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ) {الأعراف: ٢٧}

وقد ورد ذلك التحذير الرباني من غواية الشيطان عقب قصة آدام - عليه السلام - والهدف من إيراد القصة، ولبراز هذه العداوة عن طريق القصة أروع وأقوى وأدعى إلى الحذر الشديد من كل هاجسة في النفس تدعو إلى الشر،

(١٦١) زاد المعاد/ ابن القيم ج ٣ ص ١٦

ولما كان هذا موضعاً خالداً تكررت قصة آدم في مواضع شتى، كما يدعو المربي إلى الإلحاح على هذا الموضوع، وتوجيه الطلاب إلى الحذر من غواية الشيطان في كل مناسبة ملائمة (١٦٢).

٧ - بيان قدرة الله الطليقة

وذلك حين تقرأ القصص القرآني المتضمن للخوارق والمعجزات التي لا يقدر عليها إلا الله كقصة إبراهيم - عليه السلام - مع الطير وقد آب إليه بعد أن جعله أجزاء على الجبال، وقصة إبراهيم في النار لا يمس لهيبها، وإنما كانت برداً عليه وسلاماً، قصة الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها فأماتته الله مائة عام ثم بعثه وقصة يونس - عليه السلام - الذي التقمه الحوت وهو ملجم وقصة أصحاب الكهف، وقد ناموا ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا، وكذلك قصة خلق آدم وعيسى - عليهما السلام - وكلها قصص تدل على قدرة الله التي لا منتهى لحدودها، والإيمان بقدرة الله - عز وجل - المطلقة يجعل المسلم متعلق القلب بالله - وحده - يرجوه في الملمات، ولا يرجو البشر، ويخافه ويخشاه ولا يخشى أحدا سواه، بل يهزأ بقوة البشر المحدودة، وقدرتهم الضعيفة فيستمر في طريقة لا يتراجع.

قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: (قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ) {الأنبياء ٦٨-٦٩}

يقول صاحب الظلال: (قالوا حرقوه) ولكن كلمة أخرى قد قيلت فأبطلت كل قول، وأحببت كل كيد، ذلك بأنها الكلمة العليا التي لا ترد (كوني) هذه هي الكلمة التي تكون بها أكوان، وتنشأ بها عوالم، وتخلق بها نواميس (١٦٣).

(١٦٢) أصول التربية الإسلامية وأساليبها/ عبد الرحمن النحولوى ص ٢٤١.

(١٦٣) في ظلال القرآن لسيد قطب ج ٤ ص ٢٣٨٧

أصول التربية القرآنية وأساليبها

والقصة تدل على قدرة الله - عز وجل - الذى يقول للشئ: (كن فيكون) وكذلك نتعلم منها أن الله ناصر أوليائه، وأنه - سبحانه - معهم فى المحن فى ثنائها تكون المنح، وقد كان إبراهيم - عليه السلام - أهلاً لرحمة الله - عز وجل - فهو الذى قدم بدنه للنيراه عارياً مؤثراً حرها على الفرار والهرب وذلك فى سبيل الله - وهو صاحب سلامة القلب، وصحة العقيدة، وخلوص الضمير وصورة النقاء والطهارة والبراءة والاستقامة والإخلاص، وكلها مقومات السلامة، وطوق النجاة، قال عنه مولاه: (إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) {الصافات: ٨٤}

وقال: (وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَّهْدِينِ) {الصافات: ٩٩}

وقال: (وإبراهيم الذى وفى) {النجم: ٣٧}

وعن يونس - عليه السلام - يقول الله عز وجل: (وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٣٩) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلِّ الْمَشْحُونِ (١٤٠) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (١٤١) فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (١٤٢) فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبَثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ (١٤٤) فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ (١٤٥) وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ) {الصافات: ١٣٩-١٤٦}

نجاه الله - عز وجل - بحوله وقدرته وفضله ورحمته

عن ابن مسعود بسند صحيح فانطلق مغاضباً حتى ركب السفينة، فقال لهم يونس إن معهم عبداً ابقا من ربه، وأنها لا تسير حتى تلقوه.

فقالوا: لا نلقيك يا نبي الله ابداً.



أصول التربية القرآنية وأساليبها

قال: فافترعوا فخرج عليه ثلاث مرات، فألقوه، فالتقمه الحوت فبلغ به قرار الأرض.

أصحاب الدعوات لابد أن يحتملوا تكاليفها، وأن يصبروا على التكذيب بها والإيذاء من أجلها.

وتكذيب الصادق الواثق مرير على النفس حقاً، ولكنه بعض تكاليف الرسالة فلا بد لمن يكلفون حمل الدعوات أن يصبروا ويحتملوا، ولابد أن يثابروا ويثبتوا، ولابد أن يكرروا الدعوة، ويبدئوا فيها، ويعيدوا.

إن طريق الدعوات ليس هنياً ليناً، واستجابة النفوس للدعوات ليست قريبة إلى السيرة، فهناك ركام من الباطل والتقاليد والعادات يجثم على القلوب، ولابد من إزالة هذا الركام.

إن من السهل على صاحب الدعوة أن يغضب؛ لأن الناس لا يستجيبون لدعوته فيهجر الناس، إنه عمل مريح قد يفتأ الغضب ويهدئ الأعصاب... ولكن أين هي الدعوة؟

وما الذى عاد عليها من هجران المكذبين المعارضين؟

إن الدعوة هي الأصل لا شخص الداعية، فليكظم ويمضى، والله أرعى لدعوته وأحفظ، فليؤد هو واجبه في كل ظرف، وفي كل جو، والبقية على الهدى، والهدى هدى الله (١٦٤).

(فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)

{الصافات: ١٤٣-٤٤}



أصول التربية القرآنية وأساليبها

فيونس صاحب الصلاة والتسبيح قبل التقام الحوت له، ويونس المسبح المصلى فى الظلمات فى مسجد - بطن الحوت - ما اتخذه أحد قبله... فنجاه الله من شدته

والجزاء من جنس العمل (١٦٥) ٨- ومن أهداف القصص القرآنى إبراز نماذج عالية للقوة، ومما يدل على ذلك أن الله - عز وجل - ذكر ثمانية عشر نبياً ورسولاً فى سورة الأنعام، وأمر نبيه - صلى الله عليه وسلم - أن يقتدى بهم، وأمته داخلة فى الأمر قال تعالى: (وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٤) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٨٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ {الأنعام: ٨٣-٨٦}.

وبعد ذكر هؤلاء الأنبياء جعلهم القرآن نماذج يقتدى بها، وأمر النبى محمداً - صلى الله عليه وسلم - أن يقتدى بهم فقال سبحانه: (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ {الأنعام: ٩٠}.

٩ - ومن أهداف القصة القرآنية تقويم الأخلاق، وتركيز النفوس، وتهذيب الطباع من خلال ما يبيته على مسامع الناس من المواعظ والعبر والمواقف الدالة بمضمونها على نوازع الخير والشر فى الإنسان، والتنبيه على سبل اكتساب الخير، وسبل السلامة من دوافع الشر، فهو منهج تربوى حكيم ليس له نظير، لأنه تعبير عن واقع الإنسانية كلها، وتصوير صادق لغرائزها وملكاتنا ورغباتها ومقوماتها، وأحوالها المختلفة، وما يؤول إليه أمرها فى تقلباتها وقربها أو بعدها من فطرتها...



أصول التربية القرآنية وأساليبها

والخلاصة أن مقاصد القصص القرآنى وغايته هى الدعوة إلى الحق والهداية إلى مواقع الخير، وإقامة وجه الإنسانية على مسالك الحق والخير، والميل بها عن مسارب الضلال والبوار.

فليس فى القصص القرآنى ما فى غيره من القصص من تلك المواقف والصور التى يراد منها استثارة العواطف المريضة، واسترضاء الميول المنحرفة فى الإنسان، وتملقه بها، واقتياده منها وإنما القصص القرآنى حرب على هذه العواطف المريضة، وتلك الميول المنحرفة يلقاها فى حزم وحسم، وينزل أصحابها منازل البوار والهوان فى كل موقف يلقاها فيه، ذلك لأنه كما وصفه الله - سبحانه - بقوله: (إن هذا لهو القصص الحق) {آل عمران: ٦٢}

وما كان للحق أن يلبس الباطل، أو يسلك مسالكه (١٦٦).

نماذج من القصص القرآنى

كل قصص القرآن بلا استثناء فيها العبرة والعظة والهداية، فعلى المربى أن يقرأ ذلك بعين البصيرة والتدبر، وأن يمعن النظر فيه؛ ليستنبط منه الدروس والعظات والقيم التربوية السامية التى تأخذ بيد الأجيال المسلمة إلى طريق الحق والخير والهدى والصلاح أكتفى بذكر نموذج تأخذ منه بعض الدروس التى يحتاجها المسلم داعية ومدعوا ومتربياً:

قصة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام:

ليس من شأنى أن أسرد أحداث القصة فليس ذلك مكانه، وإنما أمر على أحداثها مرور الكرام لأستنبط دروساً يتربى عليها المسلم، ثم أذكر بعض صفات إبراهيم - عليه السلام - لنقتدى بها، ونتعلم منها،



(١٦٦) قصص القرآن/ محمد بكر إسماعيل ص ١٥-١٦.

وأبدأ بذكر الدروس والتي منها:

١ - تنمية روح الجماعية

عندما عرف الله - عز وجل - إبراهيم - عليه السلام - مكان البيت الحرام، وأمره ببنائه جاء إبراهيم يزور ولده، ويستطلع أحواله فوجده جالساً يبكي تحت تلك الدوحة التي تركه صغيراً تحتها، فسلم على ولده وعانقه، ثم قال إبراهيم عليه السلام: "يا إسماعيل، إن الله أمرني بأمر".

قال: فأصنع ما أمرك ربك.

قال: وتعينني؟

قال: وأعينك.

قال: فإن الله أمرني أن أبني بيتاً ها هنا، وأشار إلى أكمة (١٦٧) مرتفعة على ما حولها، فعند ذلك رفع القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة، وإبراهيم يبني، حتى إذا ارتفع البناء، جاء بهذا الحجر فوضعه له، فقام عليه، وهو يبني ولسماعيل يناوله الحجارة، وهما يقولان: (رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) {البقرة: ١٢٧} (١٦٨)

من هذه الحادثة يتضح لنا كيف سارع إبراهيم إلى طاعة ربه فلم يتكأ، ولم يتوانى؟ وكيف سارع إسماعيل إلى طاعة والده عليهما السلام؟



(١٦٧) الأكمة: التل أو المكان المرتفع.

(١٦٨) البخارى (كتاب) أحاديث الأنبياء (باب) يزفون النسلان فى المشى ح ٣١٨٥ ج ٣ ص ١٢٣٠.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

كذلك تلمح روح الجماعية فى العمل، وهكذا يعمل حملة هم الإسلام ودعاة الحق: التعاون والتكاتف والتبادل والتلاحم، ونبذ الفرقة والحزبية والفردية ومع هذا كله نتعلم العمل فلا مجال للكلام النظرى، ولا للنقد والتجريح، بل قلة الكلام، وكثرة العمل.

ومن هذه اللوحة الإبراهيمية التربوية يستشعر الداعية أهمية الشرط الكمى (الجماعية) للمشروع الحضارى المنشود لإنقاذ الأمة، أى ضرورة العمل الجماعى، وأهمية انتقاء الأفراد المشاركين، فالتنفيذ يستلزم جماعية، والجماعية لا يقوم عليها إلا من أعد لها.

وهذا الملمح يرسم تحذيراً يربا بالداعية عن خطر الفردية، ويذكره بمصير الشاة القاصية، كما حذر الصادق المصدوق - صلى الله عليه وسلم - حين قال: "إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ الشاة القاصية والناحية، ولياكم والشعاب، وعليكم بالجماعة والعامّة (١٦٩).

وهو أيضاً يرسم أملاً عظيماً وغاية منشودة، فالجماعة طريق الجنة (١٧٠).

٢ - نقطة التجميع والانطلاق.

لابد من مكان يتجمع العاملون للإسلام فيه، ويتعلمون، ويتربون، ومنه يبعثون وينطلقون، وهذا المرتكز الدعوى الهام نستشعره من قول الله عز وجل : (وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ) {الحج: ٢٦}.

ومن قوله (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ) {البقرة: ١٢٧}

(١٦٩) (ضعيف) رواه أحمد فى مسنده ح ٢٢٠٨٢ ج ٥ ص ٢٣٢ وعبد الرزاق فى مصنفه ح ١٩٩٧ ج ١ ص ٥٢١

الألبانى فى ضعيف الجامع برقم ١٤٧٧ ص ٢١٣.

(١٧٠) مجلة البيان العدد ١٤٠ ص ٣٥.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

هكذا شاء الله أن يحدد المكان الذي يجتمع فيه المؤمنون بالفكرة، وينطلقون منه واليه يثوبون، وبه يحتمون من الحر والقر، وهو كذلك مركز لانطلاق الفكرة فراية الخير تحتاج إلى مكان توضع عليه، ويعرف بها، ومن هنا نلمح السبب في حرص النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - على أن يكون أول عمل قام به بعد الهجرة هو بناء المسجد؛ ليكون مركز التجميع والانطلاق، ومركزاً للإشعاع الحضارى، وأرضا صالحة ثابتة توضع على قمتها علامة التجميع، ومنازة الهدى، وتثبت فوقها راية الخير.

وعلى المربين أن يركزوا على ذلك المعلم الهام الذي يعتبر من أخطر المنعطفات في طريق الدعوة لأهميته بالنسبة للفكرة وحاملها.

(٣) التربية الروحية

عديدة هي المواقف التي وردت في سياق قصة بناء إبراهيم - عليه السلام - للبيت تشير إلى أهمية تنمية الجانب الروحي، فما أكثر لجا إبراهيم إلى الله ودعائه له ومن ذلك: (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) {إبراهيم: ٣٧}.

(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) {البقرة: ١٢٦}.

(وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) {البقرة: ١٢٧-١٢٩}.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

إنه أدب النبوة، وإيمان النبوة، وشعور النبوة بقيمة العقيدة في هذا الوجود إنه الدعاء الذي يكشف عن اهتمامات القلب المؤمن فأمر العقيدة هو شغله الشاغل، وهمه الأول، ولذا يدعو الله - سبحانه - ألا يحرم ذريته نعمة الإيمان، وأن يريهم مناسكهم، ويبين لهم عباداتهم، وأن يتوب عليهم، وألا يتركهم بلا هداية في أجيالهم البعيدة.

إن الدعاء دعامة ثابتة أساسية يقوم عليها البنيان ولا قيام له بدونها، ولكنه الدعاء الخاشع، وحسن الظن بالله، والثقة فيما عنده، وإن المؤمن ليثق فيما عند الله أكثر من ثقته فيما بين يديه.

إن اتصال القلب بالله، واللجأ إليه، والتماس الأُنس في حماه ليسكب في القلب برد السكينة والطمأنينة، ويدفع المسلم في الطريق فلا تزد معارثه ولا معاطبه، بل يتجشما في ثبات وعزيمة، فعلى المربي الاهتمام بذلك الجانب لا بالدعاء وحده، بل يربي أولاده على الدعاء والعبادة: صلاة وصياماً وذكرًا وقرآنًا، وذلك هو الطريق لعلاج مرض التآكل الروحي الذي تعاني صفوف الدعاة والشباب المسلم، بل والمجتمع المسلم منه.

ومن هنا تلمح مغزى هذه التوجيهات الكريمة المبكرة في عمر الدعوة والداعية.

قال جل وعلا:

(يَا أَيُّهَا الْمَرْمُلُ (١) قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نَصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (٥) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا) {المزمل: ١-٦}.



لقد أمر الله - عز وجل - إبراهيم - عليه السلام - أن يؤذن في الناس فيبلغهم، ويدعوهم، ووعدته بالإجابة فقال سبحانه:

(وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ) {الحج: ٢٧}

فاستجاب إبراهيم - عليه السلام - لأمر ربه - عز وجل - وبلغ الله صوته للناس، وأقبلوا إليه يزفون من كل حذب وصوب.

قال ابن كثير: أى: ناد في الناس بالحج داعياً لهم إلى الحج إلى هذا البيت الذى أمرتك ببنائه فذكر أنه قال: يا رب، كيف أبلغ الناس صورتى ولا ينفذهم (١٧١).

فقال: ناد وعلينا البلاغ، فقام على مقامه، وقيل على الحجر، وقيل على الصفا، وقيل على أبى قيس (١٧٢) وقال: يا أيها الناس، إن ركم قد اتخذ بيتاً فحجوه، فيقال إن الجبال تواضعت حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض، وأسمع من فى الأرحام والأصلاب، وأجابه كل شئ سمعه من حجر ومدر وشجر، ومن كتب الله أنه يحج إلى يوم القيامة: لبيك اللهم لبيك (١٧٣).

فعلى المسلم حامل لواء الحق الداعى إلى الخير وظيفه، وله عليها الأجر العظيم، ووظيفته البلاغ والإرشاد والحث والنصح، وما هو على الناس بوكيل ولا حفيظ، ولا هو مسئول عن النتائج.



(١٧١) لا يصل إليهم

(١٧٢) جبل بمكة.

(١٧٣) تفسير ابن كثير/ ج ٣ ص ٢١٦.

{الشورى: ٤٨}

قال تعالى: (إن عليك إلا البلاغ)

{النحل: ٣٥}

وقال جل وعلا: (فهل على الرسل إلا البلاغ المبين)

تلك هي الوظيفة، وأما النتائج فعلى الله، فمنه الهداية، ومنه التوفيق، وأما أجر الوظيفة فشامل لخيري الدينا والآخرة، وسابغ وجزيل: إنه النجاة من الفتن والعذاب الدنيوي والآخروي، وهو كذلك بلوغ درجة الخيرية قال سبحانه: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)

{آل عمران: ١١٠}

وقال سبحانه: (وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ)

{هود: ٥٨}

وانما كانت نجاة هود والذين آمنوا معه بالدعوة والبلاغ (والداعية يخرج من هذا الملمح التربوي الفريد بسهام وافرة الغنائم حول فقه هذه الوظيفة من حيث ماهيتها، ومنهجية تنفيذها، والأجر المرتب عليها، وكيفية تلقى التكاليف، وحسن تنفيذها، وحسن عرض البضاعة الربانية العظيمة، وضرورة استشعار خطورة بلوغ درجة البلاغ المبين للفكرة، وفهم الدور المطلوب، واستشعار عظم الأجر.

ثم - وهذا الأهم - استشعار هذا التفاعل والتعاقد الفريد بين دور البشر ودور المدد الرباني في تنفيذ المشروع الحضاري المنشود، وهذه النقطة هي النبراس الذي يعطى الأمل للعاملين، وهي العلامة الفارقة التي تميزهم عن غيرهم من أصحاب المشاريع المغايرة (١٧٤).



إن التدرج والمرحلية فى الدعوة والتربية سنة كونية وسنة شرعية: سنة كونية، فقد خلق الله السماوات والأرض فى ستة أيام ولو شاء لقال: "كونى فتكون" وسنة شرعية، فما نزل القرآن جملة واحدة ولا التشريع دفعة واحدة بل بالتدريج، وفى هذا المعنى تقول عائشة - رضى الله عنها - "إنما أنزل أول ما أنزل من القرآن سور فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام، نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شئ: لا تشربوا الخمر، ولا تزنوا، لقالوا: لا ندع الخمر، ولا الزنا أبداً (١٧٥)"

وهذه المرحلية والتدرج فى الدعوة والبناء معلم من معالم دعوة إبراهيم - عليه السلام - ونستطيع أن نحدد مراحل دعوته فيما يلى:

الإعداد والتهيئة

لقد أمر الله إبراهيم الخليل أن يسكن زوجه وولده بواد غير ذى زرع، ثم تركهم الله، وهو أرحم بهم منهم بأنفسهم، ثم انطلق قافلاً، وكرر الزيارة؛ ليتفقد أحوالهم.

إعلان الفكرة العظيمة

حيث أمره الله - عز وجل - أن يقيم البيت مثابة للناس وأمناً ومركزاً للإشعاع الحضارى، ونقطة للتجميع والانطلاق على أن يقيمه على قاعدة التوحيد.



(١٧٥) البخارى (كتاب فضائل القرآن) (باب تأليف القرآن ح ٤٧٠٧ ج ٤ ص ١٩١٠)

حيث أمره الله - سبحانه - أن ينادى الناس للحج، ويدعوهم لزيارة بيت الله الحرام، ووعد أن يبلغ صوته للناس فجاءوا من كل فج عميق.

وهكذا شأن الأعمال العظيمة لابد من التدرج والمرحلية، مع الحذر من التعجل، مع فقه كل مرحلة، ومعرفة متطلباتها وظروفها يقول الأستاذ/ محمد قطب حفظه الله: إن بعض مجالات التربية قد قطعنا فيه شوطاً ولما نصل..، وإن بعضها الآخر لم نبدأ فيه بعد!، وكل تعجل في ميدان التربية بالذات لا يأتي بخير؛ لأنه يكون بمثابة إقامة بنيان على غير أساس، أو على غير أساس مكين، فكلما ارتفع كان عرضة للانهار، والذين يستطيّلون الطريق، ويحسبون أن هناك طرقاً أقصر وأخصر ينبغي أن يأخذوا عبرة التجربة... فإذا كنا لا نعتبر بالأحداث، فذلك في ذاته دليل على نقص في تربيتنا يحتاج إلى علاج (١٧٦).

٥ - أهمية التشجيع:

أثنى الله - عز وجل - على إبراهيم في مواضع كثيرة من القرآن الكريم منها قوله سبحانه:

{مريم: ٤١}

(وَإِذْ كَرَّمْنَا فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِتْمَمْنَا بِهِ صِدْقًا نَبِيًّا)

{النجم: ٣٧}

(وإبراهيم الذي وفى)

{البقرة: ١٢٤}

(وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ)

قوله: "صديقاً" أى: مبالغاً فى الصدق (١٧٧)

(١٧٦) الصّوة الإسلامية: محمد قطب ص ١٣٨.

(١٧٧) تفسير الجلالين ص ٣٢٩.

قوله: وفى أى: تمم ما أمر به (١٧٨)

وقوله: ابتلى أى: اختبر، كلمات أى: أوامر ونواه كلفه بها، قيل: هى مناسك الحج، وقيل: المضمضة والاستنشاق والسواك، وقص الشارب، وفرق الرأس، وقلم الأظفار، وتنف الإبط، وحلق العانة والختان ولا ستتجاء.

فاتمهن: أداهن تامات (١٧٩).

فتأمل ذلك التشريف والتقدير الإلهى لإبراهيم - عليه السلام - وفى بكل ما أمره الله به، ثم تأمل كيف أن إبراهيم - وما أدراك من هو - كان فى حاجة إلى تقدير الله له وتشجيعه وامتنانه - سبحانه - على الدور الذى قام به، وإذا كان سكان القمم يحتاجون إلى التشجيع والتقدير، فما بالك بأهل السفح وأهل الحضيض؟!

قال صلى الله عليه وسلم:

(أنزلوا الناس منازلهم) (١٨٠)

قال تعالى:

{هود: ٨٥}

(وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ)

وتجاهل أعمال الآخر، والخط من قدره، وتجريح سعيه، والطعن فيه داخل فى بخص الناس أشياءهم، ومن ثمرات ذلك النشيط والإحباط: الجرح النفسى الذى يعطل عن العمل

(١٧٨) تفسير الجلالين ص ٥٧٤.

(١٧٩) تفسير الجلالين: ص ٢٤

(١٨٠) (ضعيف) أبو داود (كتاب) الأدب (باب) فى تنزيل الناس منازلهم ح ٤٨٤٢ ج ٤ ص ٢٦١ وقد تفرد به أبو داود وفيه انقطاع بأن ميمون لم يدرك عائشة وضعفه الألبانى فى السلسلة الضعيفة برقم ١٨٤٩.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

فعلى المربي أن يقدر تلامذته، ويشجعهم، ويعترف لهم بالخير وحسن العمل، حتى يدفعهم إلى الخير دفعاً، ويعاونهم على مواصلة المسير، مع مراعاة أن يكون الثناء منضبطاً غير مبالغ فيه، وأن يكون في موضعه وفي وقته، ومراعاة حال من يثنى عليه؛ لئلا تكون الثمرة على خلاف المرجو، ولئلا ينقلب الثناء من لبنة بناء إلى معول هدم.

٦ - صفات للقدوة

ما أكثر الصفات الجميلة التي اتصف بها الخليل إبراهيم - عليه السلام - وما أخرى أن يتصف بها العاملون للإسلام وعلى عجلة نذكر بعضها: - (١-٤) أمة قانت حنيف شاکر

قال تعالى (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)
{النحل: ١٢٠-١٢١}

قال الشنقيطي - رحمه الله - :

أثنى الله - جل وعلا - في هاتين الآيتين الكريمتين على نبيه إبراهيم - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - بأنه أمة أى: إمام مقتدى به يعلم الناس الخير، كما قال الله تعالى:

{البقرة: ١٢٤}

(إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا)

وأنه قالت لله أى: مطيع له، وأنه لم يكن من المشركين، وأنه شاکر لأنعم الله، وأن الله اجتباها أى: اختاره واصطفاه، وأنه هداه إلى صراط مستقيم (١٨١)



(^{١٨١}) أضواء البيان: للشنقيطي ج ٢ ص ٢٠٥

أصول التربية القرآنية وأساليبها

وقال ابن كثير رحمه الله:

يمدح - تعالى - عبده ورسوله وخليفه إبراهيم إمام الحنفاء، ووالد الأنبياء وبيرئه من المشركين، ومن اليهودية والنصرانية فقال:

(إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا) فأما الأمة: فهو الإمام الذي يقتدى به، والقانت هو الخاشع المطيع، والحنيف: المنحرف قصدا عن الشرك إلى التوحيد ولهذا قال (ولم يك من المشركين)

(شاكرا لأنعمه) أى: قائماً بشكر نعم الله عليه، كما قال تعالى (ولبراهيم الذى وقى) أى: قام بجميع ما أمره الله تعالى به (١٨٢)

{هود: ٧٥}

الحلم قال تعالى: (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ)

والحلم ضبط النفس والطبع عند الهياج عند الاستشارة، والحليم الكثير الحلم ويتجلى حلم إبراهيم فى موقفه من أبيه لما قال له: (لأرجمنك) ومن العتاة قوم لوط حينما مرت به الملائكة، وأخبرته بما أمرت به قال: (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطِ) (٧٤) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ {هود: ٧٤-٧٥}

ولم يكن حلم إبراهيم عن جبن يتذرع به ليسكت عن المنكر، إنما كان حلماً يعلن معه الحق، وينكر الباطل.

{الأنبياء: ٥٧}

(وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ)



(١٨٢) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٥٩٠-٥٩١.

أصول التربية القرآنية وأسااليبها

ودرى بالداعية، وبحامل هم الإسلام العامل له أن يكون حليماً لاسيما والمثيرات الآن كثيرة، ودوافع الغضب متنوعة، وأعداء الإسلام يريدونه طائشا متهوراً لا يملك نفسه؛ ليشنعوا عليه، وليربطوا بين طيشه والتزامه، لينفروا الناس من طريق الالتزام، فالحذر الحذر أن تساعد عدوك على تحقيق غرضه، وتحصيل مراده.

أواه أى: كثير التأوه والخشية من الله والتضرع بين يديه.

قال القرطبي: اختلف العلماء فى الأواه على خمسة عشر قولاً:

الأول: أنه الدعاء الذى يكثر الدعاء.

الثانى: أنه الرحيم بعباد الله والثالث: أنه الموفق.

الرابع: أنه المؤمن بلغة الحبشة.

الخامس: أنه المسبح الذى يذكر الله فى الأرض الفقر الموحشة

السادس: أنه الكثير الذكر لله تعالى.

السابع: أنه الذى يكثر تلاوة القرآن، وهذه الأقوال متداخلة وتلاوة القرآن تجمعها.

الثامن: أنه المتأوه.

التاسع: أنه الفقيه.

العاشر: أنه المتضرع الخاشع.



الحادى عشر: أنه الذى إذا ذكر خطاياہ استغفر منها.

الثانى عشر: أنه الكثير التآوه من الذنوب.

الثالث عشر: أنه المعلم للخير.

الرابع عشر: أنه الشفيق

الخامس عشر: أنه الراجع عما يكره الله تعالى.

وأصله من التآوه وهو: أن يسمع للصدر صوت تنفيذ الصعداء.

قال كعب: كان إبراهيم - عليه السلام - إذا ذكر التار تآوه (١٨٣)

والناظر فى هذه الأقوال يرى هذه الصفة صفة جامعة لصفات الخير، وهى صفات لا غنى عنها للمسلم، فالمسلم يكثر قراءة القرآن بتآوه وتضرع وخشية، ويعلم الناس الخير ويتفقه فى دينه، ويخلو بنفسه ذاكرًا لربه، ويندم على خطيئته، ويبكى عليها، ويستغفر الله منها، وهو كذلك يبتعد عما يبغض الله، ويكثر اللجأ إليه والدعاء رفيقه فى زمن المحنة والرخاء.

٦ - السخاء:

قال تعالى: (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمَ مُنْكَرُونَ (٢٥) فَرَأَى إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ) {الذاريات: ٢٤-٢٧}

(١٨٣) الجامع لأحكام القرآن: القرطبى ج ٥ ص ٣١١٤ - ٣١١٥ باختصار

أصول التربية القرآنية وأساليبها

غاية الكرم، وقمة السخاء أن يستضيف قوماً لا يعرفهم من قبل، وأن يقدم لهم عجلاً سميئاً، وقد راح خفية لم يشعروا به، وخدمهم بنفسه وفي غاية اللطف والإكرام قال لهم: (ألا تأكلون)

قال ابن القيم رحمه الله: ففي هذا ثناء على إبراهيم من وجوه متعددة:

أحدها: أنه وصف ضيفه بأنهم مكرمون، وهذا على أحد القولين لهم أنه بإكرام إبراهيم لهم، والثاني: أنهم المكرمون عند الله.

الثاني: قوله تعالى (إذ دخلوا عليه) فلم يذكر استئذانهم، ففي هذا دليل على أنه - صلى الله عليه وسلم - كان قد عرف بإكرام الضيفان واعتياد قراهم فصار منزله مضيضة مطروقة لمن ورده، لا يحتاج إلى الاستئذان، بل استئذان الداخل إليه دخوله، وهذا غاية ما يكون من الكرم.

الثالث: قوله (سلام) بالرفع، وهم سلموا عليه بالنصب، والسلام بالرفع أكمل، فإنه يدل على الجملة الإسمية التي تدل على الثبوت والتجدد والمنسوب يدل على الفعلية الدالة على الحدث والتجدد، فأبراهيم حياهم بتحية أحسن من تحيتهم، فإن قولهم (سلاماً) يدل على سلمنا سلاماً وقوله: (سلام) أى سلام عليكم.

الرابع: أنه حذف المبتدأ من قوله (قوم منكرون) فإنه لما أنكرهم ولم يعرفهم احتشم من مواجهتهم بلفظ ينفر الضيف لو قال: أنتم منكرون فحذف المبتدأ هنا من أطف الكلام.

الخامس: أنه بنى الفعل للمجهول، وحذف فاعله فقال (منكرون) ولم يقل: إنى أنكركم، وهو أحسن في هذا المقام، وابتعد من التنفير والمواجهة بالخشونة.



أصول التربية القرآنية وأساليبها

السادس: أنه راغ إلى أهله ليحييهم بنزلهم، والروعان هو: الذهاب في اختفاء بحيث يكاد لا يشعر به، وهذا من كرم رب المنزل للضيف: أن يذهب في اختفاء بحيث لا يشعر به الضيف، فبشق عليه ويستحي، فلا يشعر به إلا وقد جاءه بالطعام، بخلاف من يسمع ضيفه وهو يقول له، أو لمن حضر: مكانكم حتى أتيكم بالطعام، ونحو ذلك مما يوجب حياء الضيف واحتشامه.

السابع: أنه ذهب إلى أهله فجاء بالضيافة، فدل على أن ذلك كان معداً عندهم مهياً للضيفان، ولم يحتج أن يذهب إلى غيرهم من جيرانه، أو غيرهم فيشتريه، أو يستقرضه.

الثامن: قوله (فجاء بعجل سمين) يدل على خدمته للضيف بنفسه، ولم يقل فأمر لهم، بل هو الذى ذهب، وجاء به بنفسه، ولم يبعثه من خادمه، وهذا أبلغ في إكرام الضيف.

التاسع: أنه جاء بعجل كامل ولم يأت ببضعة منه، وهذا من تمام كرمه صلى الله عليه وسلم.

العاشر: أنه سمين لا هزيل، فمعلوم أن ذلك من أفخر أموالهم، ومثله يتخذ للاقتناء والتربية، فأثر به ضيفانه.

الحادى عشر: إنه قربه إليهم بنفسه، ولم يأمر خادمه بذلك.

الثانى عشر: أنه قربه إليهم ولم يقربهم إليه، وهذا أبلغ في الكرامة: أن تجلس الضيف، ثم تقرب الطعام إليه، وتحمله إلى حضرته ولا تضع الطعام فى ناحية، ثم تأمر ضيفك بأن يتقرب إليه.

الثالث عشر: أنه قال (ألا تأكلون) وهذا عرض تلطف فى القول، وهو أحسن من قوله: كلوا أو مدوا أيديكم ونحوها، وهذا مما يعلم الناس بعقولهم حسنة ولطفه، ولهذا يقولون: بسم الله، أو ألا تتصدق؟ أو ألا تجبر؟ ونحو ذلك.



أصول التربية القرآنية وأساليبها

الرابع عشر: أنه إنما عرض عليهم الأكل لأنه رآهم لا يأكلون، ولم يكن ضيوفه يحتاجون معه إلى الإذن في الأكل، بل كان إذا قدم إليهم الطعام أكلوا، وهؤلاء الضيوف لما امتنعوا من الأكل قال لهم (ألا تأكلون) ولهذا أوجس منهم خيفة أى: أحسها وأضررها فى نفسه، ولم يبدها لهم.

الخامس عشر: أنهم لما امتنعوا من الأكل لطعامه خاف منهم، ولم يظهر لهم الخوف منهم، فلما علمت الملائكة منه ذلك قالوا (لا تخف) وبشروه بالسلام (١٨٤).

وهكذا المسلم جواد كريم سخي يعطى المحتاج ولا يمنعه، وينفق ولا يمسك ، ولا يأسر أفئدة الناس ويدفعهم إلى الطاعة والاستجابة كالإنفاق عليهم، وحسن إكرامهم وضيافتهم.

قال أبو العتاهية:

إذا المرء لم يعتق من المال نفسه تملكه المال الذى هو ماله
ألا إنما مالورى الذى أنا متفق وليس لى المال الذى أنا تاركه
إذا كنت ذا مال فبادر به الذى يحق ولا استهلكته مهالكه (١٨٥)

هذه بعض الصفات الطيبة التى اتصف بها خليل الرحمن إبراهيم - عليه السلام - ناهيك عن رعايته لأهله، ودعوتهم إلى الله، وعن شجاعته وتحقيقه الكامل لعقيدة الولاء والبراء، وكذلك سلامة قلبه، وكلها صفات حرى بالمربى أن يتصف بها، وأن يربى تلاميذه عليها وحسبه - عليه السلام - أن الله - عز وجل - سماه (أمة).

وبعد، فهذا نموذج واحد لقصة من قصص القرآن الكريم ينبغى للمربى أن يتملاه وأن يقف عنده، وألا يكتفى بما ذكرت، وليمعن النظر فيه فلعن الله أن يفتح بصيرته على دروس وعبر لا تنتهى

(١٨٤) التفسير القيم لابن القيم دار الفكر ص ٤٤٦-٤٤٨.

(١٨٥) نقلاً عن الشعر العباسى تطوره وقيمة الفنية د/ محمد أبو الأنوار ط ٢ دار المعارف ١٩٨٧ م ص ٢٣٣.

ومن القصص التي أقترح على المربين قراءتها واستخراج الدروس النافعة منها، قصة موسى - عليه السلام - مع الخضر، وقصة الذي آتاه الله آياته فانسلك منها فضل وغوى، بل في كل قصص القرآن هدايات وعبر.

وبالجملة فالتربية بالقصة من أهم أساليب التربية خاصة لأطفال مرحلة ما قبل المدرسة وما بعدها، والأسلوب القصصي يتميز بتأثيره في العواطف وجذب الانتباه، وتقمص شخصيات القصة، ولذلك يجب مراعاة القصص ذات المغزى الديني والأخلاقي والإنساني حتى تؤثر تأثيراً إيجابياً مرغوباً فيه في سلوك الطفل ونواذعه وعواطفه (١٨٦).



(١٨٦) تربية الآباء والأولاد في الإسلام د. المبروك عثمان أحمد ص ٢٥٦.

التربية بضرب الأمثال

أولاً: تعريف المثل القرآنى

المثل القرآنى نظم من التنزيل يعرض نمطاً واضحاً معروفاً فى الكائنات أو الحوادث الكونية أو التاريخية عرضاً لافتاً للأنظار ليشبه أو يقارن به سلوك بشرى، أو فكرة مجردة، أو أى معنى من المعنى بقصد التوضيح أو الإقناع، أو البرهان، أو التأثير، أو لمجرد الاقتداء به، أو التنفير منه والابتعاد عنه، أو بقصد بيان الفرق بين أمرين متناقضين للأخذ بأحدهما والابتعاد عن الآخر (١٨٧).

والتربية بضرب الأمثال طريقة قرآنية توظف العقل والوجدان وتربيهما حين تعمل على تحقق أهدافها الاعتقادية والسلوكية، وهى طريقة تثير فى المتربى كوامن الوجدان وتفسح المجال للتفكير، وتساعد على تكوين الخبرات، وإدراك العلاقات بين المقدمات بعضها ببعض، وبين المقدمات والنتائج إدراكاً يصحبه الاهتمام بالعواقب ليختار السلوك المؤدى إلى العواقب السليمة المحمودة، وتجنب العواقب السيئة المذمومة.

وهى طريقة تربوية ذات نتائج فعالة فى حياة الفرد والمجتمع، وذات أثر عميق فى النفس والسلوك، وبذلك على ذلك الأثر العفال للتربية بضرب الأمثال كثرة الأمثال القرآنية وتنوعها وسمو أهدافها.



(١٨٧) التربية بضرب الأمثال للنحلوى ص ١٩.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

قال تعالى: (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا) {الكهف: ٥٤}

وهي أمثال تربي الانفعالات عند المسلم، وتروى حاجة المسلم الملحة إلى البرهان والجدل ليس ذلك فحسب، بل توجه تلك الحاجة، وتربي الإنسان على أن يجادل في سبيل الوصول إلى الحق.

ثانياً: أنواع الأمثال القرآنية

تتنوع الأمثال في القرآن الكريم كما تتنوع أهدافها تبعاً لتنوعها، ويمكن أن نستنبط عدة أنواع منها:

١- أمثال تضرب للاعتبار والتحذير

ومنها قول الله عز وجل.

(وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (١٥) مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيَسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ (١٦) يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ (١٧) مَثَلٌ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ) {إبراهيم: ١٥-١٨}

ويقول ابن القيم - رحمه الله - : شبه الله تعالى أعمال الكفار في بطلانها، وعدم الانتفاع بها برماد مرت عليه ريح شديدة في يوم عاصف فشبه - سبحانه - أعمالهم في حبوطها وذهابها باطلاً كالهباء المنثور - لكونها على غير أساس من الإيمان والإحسان،



أصول التربية القرآنية وأسااليبها

وكونها لغير الله - عز وجل - وعلى غيره أمره - برماد مرت به الريح فلا يقدر صاحبه على شئ منه وقت شدة حاجته إليه فلذلك قال (لا يقدرון مما كسبوا على شئ) لا يقدرون يوم القيامة مما كسبوا من أعمالهم على شئ فلا يرون لها أثراً من ثواب، ولا فائدة نافعة، فإن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه موافقاً لشرعه.

وفى تشبيهها بالرماد سر بديع، وذلك للتشابه بين أعمالهم وبين الرماد فى إحراق النار وإذهابها لأصل هذا وهذا، فكانت الأعمال التى كانت لغير الله، وعلى غير مراده طعمة للنار، وبها تسعر النار على أصحابها، وينشئ الله - سبحانه - لهم من أعمالهم الباطلة ناراً وعذاباً كما ينشئ لأهل الأعمال الموافقة لأمره ونهيه التى هى خالصة لوجهه من أعمالهم نعيماً وروحاً فأثرت النار فى أعمال هؤلاء حتى جعلتها رماداً، فهم وأعمالهم وما يعبدون من دون الله وقود النار (١٨٨).

والمثل هنا يصور الأعمال التى لا تقوم على الإيمان والإخلاص ضائعة لا ثمرة لها ولا فائدة وراءها كرماد اشتدت به الريح كما يصور خيبة آمال أصحاب هذه الأعمال وهم يحاولون التثبت بها لتتفعهم يوم القيامة فلا يقدرون مما كسبوا على شئ ولا ينفعون بأعمالهم كما لا ينتفع أحد بالرماد المتطاير تذروه الرياح العاتية.

والذى يتعلمه المسلم من ذلك المثل وجوب الإخلاص لله فى الأقوال والأعمال وتأسيسها على الإيمان بالله والاستجابة لأمره.



(١٨٨) إعلام الموقعين لأبن القيم ط ١ دار الحديث بدون.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

وشبيه بهذا المثل قول الله تعالى:

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسِبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فُوقَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٣٩) أَوْ كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور)

{النور: ٣٩-٤٠}

وكذلك مثل سورة البقرة

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)

{البقرة: ٢٦٤}

قال ابن القيم - رحمه الله -:

وهذا من أبلغ الأمثال وأحسنها فإنه يتضمن تشبيه قلب المنافق المرائي الذي لم يصدر إنفاقه عن إيمان بالله واليوم الآخر بالحجر لشدته وصلابته وعدم الإنتفاع به، وتضمن تشبيه ما علق به من أثر الصدقة بالغبار الذي علق بذلك الحجر، والوابل الذي أنزل ذلك التراب عن الحجر فأذهب بالمانع الذي أبطل صدقته وأزالها، كما يذهب الوابل التراب الذي على الحجر فيتركه صلدا فلا يقدر المتفق على شيء من ثوابه لبطلانه وزواله.

وفيه معنى آخر وهو أن المنفق لغير الله هو في الظاهر عامل عملاً يترتب عليه الأجر يزكو له كما تزكو الحبة إذا بذرت في التراب الطيب أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة،



أصول التربية القرآنية وأساليبها

ولكن وراء هذا مانع يمنع من نموه وزكاته كما أن تحت التراب حجرا يمنع نبات ما يبذر من الحب فيه فلا تثبت ولا يخرج شيئاً (١٨٩).

٢ - أمثال تضرب للتوضيح والتقريب إلى الأفهام

ومنها قول الله عز وجل:

(مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ) {محمد: ١٥}

لما كان النعيم الذى أعده الله - سبحانه - للمؤمنين فى الجنة يفوق الوصف ولا يخطر على بال ضرب الله - عز وجل - ذلك المثل ليقرب الأمر ويوضحه ليسهل فهمه ففى الجنة أنهار كأنهار الدنيا التى نراها ونعرفها ولكنها أنهار من ماء نقى لا يتغير طعمه ولا لونه وأنهار من خمر لذیذة لا تذهب العقل، وأنهار من لبن طازج دائماً لا يتغير طعمه، وأنهار من عسل مصفى.

وهذا المثل الرائع يصور لنا البون الشاسع والفرق الكبير بين النعيم المقيم الخالد الذى أعده الله سبحانه - لمن عبد الله على بينة وآمن به وجاهد فى سبيله، وبين العذاب، المقيم الأليم الذى أعده - سبحانه - للمعاندين المتكبرين المحاربين لدعوة الحق.

وقد جاء المثل ليرغبنا فى الجنة ومتاعها الأبدى بهذه الصورة الحسنة، ثم قارن بين ذلك النعيم وبين مصير المجرمين الذين زين لهم سوء أعمالهم واتبعوا أهواءهم، وهذه الموازنة تدفع المسلم إلى السير فى سبيل النجاة وتجنب سبيل الهلاك.

(١٨٩) التفسير القيم لابن القيم ص ١٦٠ دار الفكر ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

ومنها قول الله عز وجل:

(لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّىِّ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) {النحل: ٦٠}

قال القرطبي:

أى لهؤلاء الواصفين لله البنات (مثل السوء) أى صفة السوء من الجهل والكفل، وقيل هو وصفهم لله بالصاحبة والولد، وقيل أى: العذاب والنار (ولله المثل الأعلى) أى الوصف الأعلى من الإخلاص والتوحيد قاله: قتادة، وقيل: أى الصفة العليا بأنه خالق رازق قادر ومجاز، وقال ابن عباس: مثل السوء النار، والمثل الأعلى شهادة ألا إله إلا الله، وقيل (ليس كمثله شئ).

وقيل: والله المثل الأعلى كقوله:

(الله نور السموات والأرض مثل نوره) فإن قيل: كيف أضاف المثل إلى نفسه وقد قال (فلا تضربوا لله الأمثال).

فالجواب أى: الأمثال التى توجب الأشباه والنقائص أى: لا تضربوا لله مثلاً يقتضى نقصاً وتشبيهاً بالخلق، والمثل الأعلى وصفه بما لا شبيه له ولا نظير، جل تعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً (١٩٠).

وقوله سبحانه: (ولله المثل الأعلى) بدون تحديد فى غاية البلاغة لكى تذهب النفس المؤمنة مع ذلك المثل كل مذهب فهو المثل الكامل الذى لا يشابهه مثل ولا يدانيه مثل .



يقول الأستاذ عبد الرحمن النحلاوي :

وقد جاء ذكر المثل الأعلى لله تعالى هنا بعد ضرب المثل بذكر موقف الكفار في الجاهلية من الأنثى حيي يرزق أحدهم بنتا مع أنهم نسبوا البنات لله - سبحانه - وهو قوله تعالى: (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ (٥٧) وَإِذَا بَشَّرَ أَحَدَهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨) يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ)

{النحل ٥٧-٥٩}

فهذا مثل لضعف تفكيرهم وسوء سلوكهم مع أولادهم البنات. ساقه الله تعالى لبيان تناقضهم ثم نزه نفسه عن المثل الذي ضربوه له حين نسبوا إليه البنات، وتمنوا لأنفسهم الأولاد الذكور فليس الأمر كما يزعمون ويشتهون، بل إن ما يؤيده واقعهم هو العكس وهو ما يفيدته قوله: (للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء) أي النقص إنما ينسب إليهم (ولله المثل الأعلى).

أي الكمال المطلق من كل وجه وهو منسوب إليه (وهو العزيز الحكيم) (١٩١).

٤- أمثال تضرب للبرهان على نفى قضية وإثبات نقيضها

وهي كثيرة في القرآن الكريم ومنها قوله عز وجل:

(مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٤٢) وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ) {العنكبوت ٤١-٤٣}



(١٩١) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٥٧٣.

قال السعدى رحمه الله:

هذا مثل ضربه الله لمن عبد معه غيره يقصد به التعزز والتقوى والنفع، وأن الأمر بخلاف مقصوده، فإن مثله كمثل العنكبوت اتخذت بيتا يقيها من الحر والبرد والآفات (وإن أوهن البيوت) أى: أضعفها وأوهاها (البيت العنكبوت) فالعنكبوت من الحيوانات الضعيفة، وبيتها من أضعف البيوت فما ازدادت باتخاذها إلا ضعفاً، كذلك هؤلاء الذين يتخذون من دون الله أولياء من دونه يتعززون بهم ويستتصرونهم ازدادوا ضعفاً على ضعفهم، ووهنا إلى وهنهم، فإن اتكلوا عليهم فى كثير من مصالحهم، وألقوها عليهم تخلوا هم عنها على أن أولئك سيقومون بها فخذلوهم فلم يحصلوا منهم على طائل، ولا أنالوهم من معونتهم أقل نائل، فلو كانوا يعلمون حقيقة العلم حالهم وحال من اتخذوهم؛ لم يتخذوهم ولتبرأوا منهم، ولتولوا الرب القادر الرحيم الذى إذا تولاه عبده وتوكل عليه كفاه مؤونة دينه ودنياه، وازداد قوة إلى قوته فى قلبه وبدنه وحالة وأعماله.

ولما بين نهاية ضعف آلهة المشركين ارتقى من هذا إلى ما هو أبلغ منه، وأنها ليست بشئ، بل هى مجرد أسماء سموها وظنون اعتقدها، وعند التحقيق يتبين للعاقل بطلانها وعدمها ولهذا قال (إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شئ) أى إن الله يعلم - وهو عالم الغيب والشهادة - أنهم ما يدعون من دون الله شيئاً موجوداً ولا إلهاً له حقيقة (١٩٢).

والمثل كما نرى ينفى عما دون الله - عز وجل - من الآلهة المفتراة والمعبودات الباطلة أية قدرة على النفع والضرر، والعاقل يستنبط أن الكمال والقدرة والنفع والضرر بيد الله، وأن من توسل إليه بما شرعه كفاه وأعطاه، ومن لاذ به حماه، ومن استهداه هداه،



أصول التربية القرآنية وأساليبها

وهو مثل يريد إرساء العقيدة الصحيحة في قلب المسلم فلا يتوجه إلى غير الله، ولا يلجأ إلى غيره لجلب نفع أو لدفع بلية.

٥ - أمثال تضرب لأخذ القدوة الحسنة

كهذه الأمثال التي تبرز قدوتين: إحداهما للخير والأخرى للشر مع ذكر العاقبة ليختار المسلم القدوة الحسنة، وليؤثر مثل الخير لينجو يفوز بحسن العافية.

ومن ذلك قوله تعالى في أول سورة محمد:

(الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (٢) ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ) {محمد: ١-٤}

فضرب هذا المثل للاقتداء بالذين آمنوا، وعملوا الصالحات، واتبعوا سبيل النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - وذكر ثمرة إيمانهم وهي:

تكفير السيئات وصلاح البال، ونفر - سبحانه - من طريق الكفار أتباع الباطل وصور أعمالهم ضالة لا تهتدى إلى قرار.



(ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطَ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاهِلِينَ (١٠) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١١) وَمَرْيَمَ ابْنَتِ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا الظَّالِمِينَ (١٢-١٠) {التحریم: ١٢-١٠}

فالمثل مضروب للاقتداء بالمؤمنين وسلوك سبيلهم، وهو سبيل الإيمان الذين ينجي الله أهله، ويكتب لهم سعادة الدارين، ومما يستفاد من المثل: أن الإنسان إنما ينفعه سعيه وعمله لا نسبه ولا جاهه ولا سلطانه.

وفيه تحذير من المعصية وتحريض على الطاعة

وأن المسلم لا يضره كلام الناس وقذفهم لهم، قال ابن القيم - رحمه الله -: فاشتملت هذه الآيات على ثلاث أمثال: مثل للكافرين ومثلين للمؤمنين.....

ثم في هذه الأمثال من الأسرار البديعة ما يناسب سياق السورة فإنها سيقّت في ذكر أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - وتحذيرهن من التظاهر عليه، وأنهن إن لم يطعن الله ورسوله، ويردن الدار الآخرة لم ينفعهن اتصالهن برسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما لم ينفع امرأة نوح وامرأة لوط اتصالهما بهما؛ ولهذا ضرب في هذه السورة مثل اتصال النكاح دون القرابة،



أصول التربية القرآنية وأساليبها

وفى ضرب المثل للمؤمنين بمريم أيضاً اعتبار آخر، وهو: أنها لم يضرها عند الله شيئاً قذف أعداء الله اليهود لها، ونسبتهم إياها وابنها إلى ما برأهما الله منه مع كونه الصديقة الكبرى المصطفاه على نساء العالمين، فلا يضر الرجل الصالح قدح الفجار والفساق فيه وفى هذا أيضاً تسلية لعائشة أم المؤمنين إن كانت السورة نزلة بعد قصة الإفك، وتوطين نفسها على ما قال فيها الكاذبون إن كانت قبله، كما فى ذكر التمثيل بامرأة نوح وامرأة لوط تحذير لها ولحفصة مما تعمدتاه فى حق النبی صلى الله عليه وسلم (١٩٣).

(٦) أمثال تضرب للموازنة بين المشرك والموحد

ومثاله قوله تعالى:

(ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)
{الزمر: ٢٩}

قال ابن عباس - رضى الله عنهما - ومجاهد وغير واحد:

هذه الآية ضربت مثلاً للمشرك والمخلص (١٩٤)

فلا يستوى رجل يعبد إلهاً واحداً إليه يتوجه وعليه يتوكل ورجل يعبد آلهة متعددة تتنازع فيما

بينها، وكذلك قال: (هل يستويان مثلاً) وهو استفهام للنفي فلا يستوى المؤمن المخلص

والمشرك وفى النحل مثل كهذا المثل فأرجع إليه واستنبطه.



(١٩٣) إعلام الموقعين لابن القيم ط ١ ص ١٦٢ - ١٦٣.

(١٩٤) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٥٢

أصول التربية القرآنية وأساليبها

ثالثاً: الأهداف التربوية للأمثال القرآنية

للأمثال القرآنية أهداف متعددة تربوية سلوكية وعقيدية وأخلاقية تعود على المسلم بالخير الجليل ومن هذه الأهداف:

الهدف الأول : غرس العقيدة الصحيحة

العقيدة الثابتة الناصعة التي لا لبس فيها ولا غموض (اعبدوا الله ما لكم من إله غيره).

العقيدة التي تنفي كل وساطة بين العبد وربّه، وتجعل الصلة بالله مباشرة، العقيدة التي يجب أن نبدأ بها فنعلمها للناس على مهل ودون استعجال فإن الاستعجال في ذلك الأمر لا يأتي بخير يقول الشيخ محمد قطب: ثم تقرر أن الاستعجال في هذا الأمر - يقصد بناء العقيدة - على أساس أنه أمر بدهى واضح لا يحتاج بذل الجهد فيه، أو على أساس أن ما بذل من الجهد فيه الكفاية، أو على أساس أن لدينا مهام كثيرة وليس لدينا وقت كثير ننفقه في التعريف بلا إله إلا الله - فضلاً عن التربية على مقتضايتها - هذا الاستعجال لا يأتي بخير، ولا يخدم الدعوة، ولا يجعل لها مردوداً مثمراً في نهاية المطاف (١٩٥).

ومن أمثلة الأمثال التي تهدف إلى غرس العقيدة الصحيحة.

قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُوْتِي أكلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمِثْلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ {إِبْرَاهِيمَ ٢٤-٢٦}



(١٩٥) كيف ندعو الناس/ محمد قطب ص ٣٣-٣٤.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

الكلمة الطيبة هي كلمة الإخلاص لا إله إلا الله، وهي التي تثمر الأعمال الصالحة الظاهرة والباطنة كما أن الشجرة الطيبة تثمر الثمار الطيبة النافعة، والكلمة الخبيثة هي كلمة الكفر والمعاصي لا ثبوت لها، ولا نفع لها، وثمرها خبيث.

الهدف الثانى : تربية المسلم على التفكير السليم

وقد أمرنا الله - سبحانه - بتعقل الأمثال والتأمل فيها فقال (وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ) {العنكبوت: ٤٣}

والتربية بضرب الأمثال تقوم على إدراك العلاقات بين المثل والممثل لها، والاهتمام بالنتائج، ورسم الأهداف الناتجة عن ذلك الإدراك لتسير على ضوئها فى سلوكنا وحياتنا، وهذا هو جوهر التفكير ومادته فى نظر التربية الحديثة مما يدل على تربية الأمثال القرآنية للتفكير السليم.

إن النتيجة التى يؤول إليها المثل تبنى على أحكام، وكل حكم يبنى ويقوم على إدراك علاقة بين المشبه به أو المشبه له وبين صفة اتصف بها، وبالجمع بين الأحكام وإدراك العلاقات كعلاقة التشابه أو التقابل يصل العقل إلى النتيجة.

الهدف الثالث : تربية المسلم على الأخلاق الكريمة

ومن هذه الأخلاق الكريمة الصدق والإخلاص والثبات على الحق، ومن الأمثال التى ضربها الله للمنافقين فى سورة البقرة المثل النارى: (مَثَلُ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظِلْمَاتٍ لَا يَبْصُرُونَ (١٧) صَمٌ بكم عَمي فهم لا يرجعون) {البقرة: ١٧-١٨}



والمثل المائى:

(أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (١٩) يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)
{البقرة: ١٩-٢٠}

وهذا حال من أبصر ثم عمى وعرف الحق ثم أنكر، ودخل فى الإسلام ثم ارتد على عقبيه، والهدف من المثل تحذير المسلم من النفاق وبين قبيح أثره، ودعوته إلى الصدق والإخلاص واتباع الوحي الذى هو كالماء الذى به حياة الإنسان، والنور الذى فيه هدايته واستنارته.

الهدف الرابع : تربية المسلم على الاعتزاز بالقيم الباقية

ومن الأمثال التى تهدف إلى تربية المسلم على التواضع، وشكر الله على نعمه ولرجاع الفضل إليه، واعتزازه بالله وحده لا بالمال ولا بقيم أهل الأرض الزائلة قوله تعالى: (وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا (٣٢) كَلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا (٣٣) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (٣٦) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (٣٧) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (٣٨) وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا (٣٩)



أصول التربية القرآنية وأساليبها

فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا (٤٠) أَوْ يَصْبِحَ مَأْوَاهَا غُورًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (٤١) وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢) وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا (٤٣) هَٰذَاكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا {الكهف: ٣٢-٤٤}

يقول صاحب الظلال:

قصة الرجلين والجنيتين تضرب مثلاً للقيم الزائلة، والقيم الباقية، وترسم نموذجين واضحين: للنفس المعتزة بزينة الحياة، والنفس المعتزة بالله، وكلاهما نموذج إنسانى لطائفة من الناس، صاحب الجنيتين نموذج للرجل الثرى تذهله الثروة وتبطره النعمة؛ فينسى القوة الكبرى التى تسيطر على أقدار الناس والحياة، وبحسب هذه النعمة خالدة لا تنفى فلن تخذله القوة ولا الجاه.

وصاحبه نموذج للرجل المؤمن المعتز بإيمانه، الذاكر لربه يرى النعمة دليلاً على المنعم موجبة لحمده وذكره لا لجوده وكفره (١٩٦).

والمثل كما ترى يحذر المسلم من البطر والأشر والكبر، وذلك بذكر النتيجة الحتمية لذلك، وهى الهلاك والخراب.



(١٩٦) فى ظلال القرآن ج ٤ ص ٢٢٧٠.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

الهدف الخامس : تربية المسلم على العمل بالعلم والحذر من الإخلاد إلى الأرض

قال تعالى: (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرَكْهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) {الأعراف ١٧٥-١٧٦}

إن آفة الآفات علم لا ينفع صاحبه، علم يؤثر صاحبه الدنيا على الآخرة، ويتبع هواه ويأدهن على حساب الحق (يجامل) وما أفسد الدين على الناس كعالم لم يعمل بعلمه فظهر أمام الناس يعمل خلاف قوله فيقتدى فئام من الناس به ويحتجون بعلمه، وإنك لتلمح عظم هذه الآفة وفداحة الخطب حينما ترى قبح المثل، فذلك العالم المؤثر الدنيا على الآخرة، المحل لما حرم الله تلمحه مرة كلباً يلهث ومرة حماراً يحمل أسفارا، وذلك دليل الحقارة والانحطاط.

قال ابن القيم رحمه الله : شبه - سبحانه - من آتاه الله كتابه وعلمه العلم الذى منعه غيره، فترك العمل به، واتبع هواه، وأثر سخط الله على رضاه، ودنياه على آخرته، والمخلوق على الخالق: بالكلب الذى هو أخس الحيوانات، وأوضعها قدراً، وأخسها نفساً، وهمته لا تتعدى بطنه، وأشدّها شرهاً وحرصاً، ومن حرصه: أنه لا يمشى إلا وخطمه فى الأرض يستروح حرصاً وشرهاً، ولا يزال يشم دبره دون سائر أجزاء جسمه، وإذا رميت إليه بحجر رجع إليه ليعضه من فرط نهمه وهو من أمهن الحيوانات وأحملها للهوان وأرضاها بالدنايا والجيف القذرة والمروحة أحب إليه من اللحم، والعذرة أحب إليه من الحلوى، وإذا ظفر بميتة تكفى مائة كلب لم يدع كلباً يتناول معه منها شيئاً إلا هر عليه وقهره لحرصه وبخله وشره (١٩٧).



(١٩٧) التفسير القيم لابن القيم ص ٢٨٠-٢٨١.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

ولانما كان العالم الذى لم يعمل بعلمه كالكلب للهفه الشديد على الدنيا وشرهه ونهمه فى طلبها وحرصه الشديد على ذلك.

قال مجاهد: ذلك مثل الذى أوتى الكتاب ولم يعمل به.

وقال ابن عباس: إن تحمل عليه الحكمة لم يحملها، وإن تتركه لم يهتد لخير، كالكلب إن كان رابضاً لهث، وإن طرد لهث.

وقال الحسن: هو المنافق لا يثبت على الحق دعى أو لم يدع، وعظ أم لم يوعظ كالطلب يلهث طرداً أو تركاً.

وقال عطاء: ينبح إن حملت عليه أو لم تحمل عليه (١٩٨)

قال ابن قدامة المقدسى رحمه الله:

ومن صفات علماء الآخرة أن يكونوا منفضين عن السلاطين محترزين من مخالطتهم

قال حذيفة رضى الله عنه: إياكم ومواقف الفتن قيل : وما هى ؟

قال: أبواب الأمراء، يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب، ويقول ما ليس فيه.

وقال سعيد بن المسيب: إذا رأيتم العالم يغشى الأمراء فاحذروا منه فإنه لص.

وقال بعض السلف: إنك لا تصيب من دنياهم شيئاً إلا أصابوا من دينك أفضل منه.



(١٩٨) السابق ص ٢٨٢.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

ومن صفات علماء الآخرة ألا يتسرعوا إلى الفتوى، وألا يفتوا إلا بما يتيقنون صحته وقد كان السلف يتدافعون الفتوى حتى ترجع إلى الأول (١٩٩).

فاحذر أيها المسلم اتباع الهوى ومواطن الفتن فإن السلامة في مجانية الفتن.

الهدف السادس: بيان أن الحق باقٍ والباطل إلى زوال

وهذا الهدف من شأنه أن يسكب في قلب المسلم المعاصر الأمل في أن المستقبل لهذا الدين، وأن انتعاش الباطل وتبجحه مؤقت لا يدوم، وأن العاقبة للتقوى، ومن الأمثلة القرآنية التي تقرأ فيها هذا الهدف قول الله تعالى: (أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ) {الرعد: ١٧}

قال ابن كثير رحمه الله: اشتملت هذه الآية الكريمة على مثلين مضروبين للحق في ثباته وبقائه والباطل في اضمحلاله وفنائه (٢٠٠).

الحق هو الماء القوى الجارى الذى لا يوقف شئ جريانه لقوته واندفاعه نحو هدفه، والباطل هو الزبد الذى يعلو ذلك التيار المائى المندفِع وما يضر الماء أن يعلوه الزبد لأن الزبد إلى زوال.

والحق هو الذهب الخالص النقى والباطل هو الخبث الذى تطهره النار وتذهبه وكما قيل دولة الباطل ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة.



(١٩٩) مختصر منهاج القاصدين ص ٢٧.

(٢٠٠) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٥٠٨.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

الهدف السابع : الاعتبار بالمحن التى امتحن بها أتباع الرسل

البلاء قرين الإيمان فإذا آمن العبد ابتلى، وعلى قدر إيمانه يكون بلاؤه، تلك سنة من سنن الله تعالى إلى لا تتخلف ابداً.

قال تعالى: (الم (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ) {العنكبوت: ١-٣}

ولما كانت هذه سنة الله فى أهل الإيمان ضرب - سبحانه - لهم الأمثال التى تثبت قلوبهم وتحملهم على الثبات حملاً فليسوا وحدهم فى الطريق، بل هو طريق معبد سار فيه قبلهم المؤمنون أتباع الرسل فلا وحشة عليهم.

قال تعالى:

(أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمِ الْبَاسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ)

{البقرة: ٢١٤}

إن طريق الحق شائك طويل، وتبعة أهل الحق تبعة ثقيلة فلا بد من قوة وصبر يساعدان على مواصلة المسير، ولابد من رياضة وقوة على الاحتمال، والابتلاء هو الذى يمنح صاحب الحق تلك القوة وذلك الصبر على المضى قدما فى الطريق بلا توان أو توقف، ولو علم الله - سبحانه - شيئاً أصلح للمؤمنين من البلاء ما ضن به عليهم وهو - سبحانه - أرحم بهم من أن يعذبهم



أصول التربية القرآنية وأساليبها

يقول الأستاذ/ محمد قطب: والنفوس التى تعد لعظائم الأمور لابد أن تعد لاحتمال الجهد دون أن يصيبها الجهد والطريق إلى ذلك هو التدريبات الشاقة التى تصل فى مشقتها أحياناً إلى حد أن يقول الرسول والذين معه - من شدة - الزلزلة "متى نصر الله"

ثم يمن الله على عباده، ويرفع عنهم الجهد، ويرفع عنهم الابتلاء، ولكن أرواحهم تكون قد أصبحت أخف وأنشط وأرشق، ونفوسهم أقدر على احتمال الجهد دون أن يصيبها الجهد.

ثم إن الابتلاء هو: انتزاع الإنسان من متاع الدنيا..... سواء كان هذا المتاع هو الطعام والشراب والمسكن والمال والعشيرة والأهل، أو كان هو المكانة المرموقة، أو كان هو الأمن والسلامة والاطمئنان على الحياة، والإنسان فى أمنه يحسب أن هذه الأمور هى مقومات الحياة، وأنه لو فقدها فقد مقومات حياته.

وهو بهذه الصورة لا يصلح لعظائم الأمور، ولا يصلح لحمل الأمانة الكبرى فضلاً عن الجهاد فى سبيل إعلاء كلمة الله.

ولو ترك الإنسان لنفسه فلن ينخلع من أمنه وراحته وماله وأهله وعشيرته، فيأتى الابتلاء فينزعه نزعاً من هذه الأمور كلها أو بعضها، ويشعر فى بادئ الأمر دون شك بالمشقة، ثم تمر فترة المحنة وقد حرم مما حرم منه، ومع ذلك فهو لم يفقد مقومات حياته، بل إنه على العكس قد استشعر لوجوده طعماً لم يكن يستشعره من قبل، وصار يتذوق قيماً ومشاعر وأعمالاً سلوكية لم يكن يتذوقها من قبل.



أصول التربية القرآنية وأسااليبها

ولقد صار إنساناً آخر أرفع وأعلى مما كان قبل، وزادت حياته ثراءً ورحابة وعمقاً، فإذا عاد للأمن من بعد انتهاء المحنة فلا يستغرقه متاع الأرض، لأنه جرب بالفعل أنه ليس أرفع ولا أحمل ما في حياة الإنسان.

ولن ذهب إلى لقاء ربه فلذلك الشهيد: وتلك أقصى مراتب الحياة.

ثم إن الإنسان عرضة وهو مستمتع بالمتاع الأرضي أن ينسى الآخرة أو يتضاءل حجمها في حسه (٢٠١).

هذه بعض الأهداف التي تهدف الأمثال القرآنية إليها وعلى المربي أن يكثر من استخدام الأمثال في التربية لما لها من أثر فعال في الإفهام والتوضيح، وتقريب المعقول المعنوي من الملموس المحسوس، ولما للأمثال من أهداف عقيدية وسلوكية لا غنى للمربي عنها.



الفصل الثامن

التربية بالثواب والعقاب

١- الترغيب أولاً

الأصل في التربية هو الترغيب الذي يلعب دوراً فعالاً ومؤثراً في تنشئة المسلم المستقيم السورى، وتزويده بالكثير من الخبرات والمهارات الاجتماعية والخلقية والعقلية مما يساعد على نضوج شخصيته واستنارتها.

"وتظهر قيمة الترغيب وفعاليتها في التوجيه والإرشاد من خلال قدرته على إثارة استعداد المتعلم وجعله أكثر قابلية لمواجهة المواقف؛ وذلك لأن الترغيب يشكل برعايته جميع جوانب المتعلم إذ لا ينصب اهتمامه على ناحية واحدة، أو جانب واحد فحسب بل إنه يشمل كل أطر الشخصية: الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية.

وهذا الأسلوب يتعامل مع هذه الأطراف في سبيل بلوغ الهدف الأسمى الذي يفضى إلى بناء الإنسان بناء غير متناقض وغير متضارب (٢٠٢) فاللين والرحمة أدعى لتكوين شخصيه سوية ونفسية منفتحة قال تعالى:

(ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) {النحل: ١٢٥}

وقال سبحانه: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ) {آل عمران: ١٥٩}.



أصول التربية القرآنية وأساليبها

فالرحمة والرفق يجمعان القلوب حول المربي ويجذبان النفوس قال صلى الله عليه وسلم: "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه" (٢٠٣)

وعن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه (٢٠٤).

وقد كان النبي القدوة - صلى الله عليه وسلم - رفقا ورحمة من الله مهداة فكان يعظ وينصح ويرشد ويوجه ويشير إلى الخطأ وما كان: يضرب أحد ممن يعلمهم.

فعن عائشة - رضى الله عنها - قالت: ما ضرب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خادماً قط، ولا ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله (٢٠٥).

(هذا الإخبار من السيدة عائشة - رضى الله عنها - وهى أم المؤمنين زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم - أكثر الناس علماً بأحول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من حيث كونها أهله ومستودع أسرار بيته التى لا وجه للناس أن يعلموها إلا عن طريقها، وهو إخبار بعدم استخدام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - العقاب الجسدى البتة ضد أحد ممن يرعاهم، وتخصيص الخادم ابتداء يشعر بأن ترك معاقبة الصبى الحر أولى وأكد؛

(٢٠٣) رواه مسلم (كتاب البر والصلة والآداب) (باب) فضل الرفق ح ٢٥٩٤ ج ٤ ص ٢٠٠٤.

(٢٠٤) متفق عليه: البخارى (كتاب) استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم (باب) إذا عرض الذمى بسبب النبى - صلى الله عليه وسلم - ح ٦٥٢٨ ج ٦ ص ٢٥٣٩ ومسلم (كتاب) البر والصلة والآداب (باب) فضل الرفق ح ٢٥٩٣ ج ٤ ص ٢٠٠٣.

(٢٠٥) مسلم (كتاب) الفضائل (باب) مباحثته - صلى الله عليه وسلم - للأثم واختياره من المباح أسهله وانتقامه لله ح ٢٣٢٨ ج ٤ ص ١٨١٤.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

لأن الخادم قد يكون بالغاً كما أن الخدم من عاداتهم كثرة الخطأ، وربما التمرد، لما هم فيه من العبودية، وربما تعمدوا إزعاج سيدهم، إلى غير ذلك من العوامل التي تجعل اللجوء إلى معاقبتهم واردة وربما ملحة، ومع كل هذا فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يعرف عنه أنه عاقب أحداً منهم، أو أمر أحداً بمعاقبتهم وعبرة "ولا ضرب بيده شيئاً" تتجه إلى النساء والأولاد ولا معنى لها غير ذلك، فيكون الحديث دليلاً صريحاً على عدم وجود العقاب البدني بالضرب ولا غيره في تربية رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأهله ومن هم في رعايته (٢٠٦).

وعلى المربي أن يتذكر أن الرفق مفتاح القلوب المغلقة، وأن ما تناله بالرفق ممن تربيههم أضعاف أضعاف ما تناله بالشدة والغلظة والعقاب، فما أسر القلوب كالرفق بها والرحمة والإحسان، ولا يقود القلوب كاللحم والأناة والصبر.

يقول أبو حامد الغزالي في معرض بيانه لكيفية معالجة الطفل إذا أخطأ: فإن خالف الأدب مرة فينبغي أن يتغافل عنه، ولا يهتك ستره، ولا يكشفه، ولا يظهر له أنه لا يتجاسر أحد على مثله، ولا سيما إذا ستره الصبي واجتهد في إخفائه فإن إظهار ذلك عليه ربما يفيد جسارة حتى لا يبالى بالمكاشفة، فإن عاد ثانية فينبغي أن يعاتب سراً، ويعظم الأمر فيه، ويقال له: إياك أن تعود ثانية لمثل هذا، وأن يطلع عليك فتفصح بين الناس، ولا تكثر عليه القول بالعتاب في كل حين، فإنه يهون عليه سماع الملام، وركوب القبائح (٢٠٧).

ويقول في موضع آخر: ومن اشتغل بالتعليم فقد تقلد أمراً عظيماً، وخطراً جسيماً فليحفظ آدابه ووظائفه، ومن ذلك الشفقة على المتعلمين، وأن يجريهم مجرى بنيه (٢٠٨) ولا شك في أن العقوبات الجسدية - لاسيما المتكررة - لها أضرار كثيرة كما يقول علماء التربية ومن ذلك.

(٢٠٦) أصول التربية الإسلامية/ د. أمين أبو لاوى ص ٢١٤.

(٢٠٧) إحياء علوم الدين للغزالي ج ٣ ص ٧٣.

(٢٠٨) السابق ج ١ ص ٥٥.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

عرقلة سير الدرس وتأخيرها على الطلاب جميعاً.

انفعال المعلم والطالب أثناء العقوبة وتأثير ذلك عليهما جميعاً.

احتمال وقوع الضرر للطلاب المضروب في وجهه أو عينه أو أذنه أو غير ذلك من الجوارح والأعضاء.

قطع فهم الدرس على الطالب المعاقب.

قطع سلسلة أفكار المعلم حين العقوبة.

ضياع الوقت على الطلاب، وتأثرهم بما يجرى في الدرس.

فقد التبجيل والاحترام المتبادل بين الطالب ومعلمه (٢٠٩)

وعلى المربي أن يقتدى برسول الله - صلى الله عليه وسلم - ففي طاعته والافتداء به الفلاح والهداية قال ربنا جل وعلا: (وإن تطيعوه تهتدوا) {النور: ٥٤}

وقال سبحانه: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) {الأحزاب: ٢١}

ومن الأحاديث التي تحذر من ضرب الصبية والصغار ممن نتولى تربيتهم ما رواه مسلم - رحمه الله - عن أبي مسعود الأنصاري - رضى الله عنه - قال: كنت أضرب غلاماً لى فسمعت من خلفي صوتاً: أعلم أبا مسعود: لله أقدر عليك منك عليه، فالتفت فإذا هو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقلت يا رسول الله، هو حر لوجه الله



(٢٠٩) نداء إلى المربيات لتوجيه البنين والبنات ص ٦٤.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

فقال: أما لو لم تفعل للفتحك النار، أو لمستك النار (٢١٠)، والحديث يرشد إلى استتكار النبي - صلى الله عليه وسلم - ضرب الغلام، وللى أن الرفق أولى، وليتأمل المربى قوله - صلى الله عليه وسلم " الله أقدر عليك منك عليه وعن أنس بن مالك قال: خدمت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عشر سنين والله ما قال لى أف قط، ولا قال لى لشيء لم فعلت كذا؟، وهلا فعلت كذا؟ (٢١١)

وفى رواية أحمد فما قال لى لشيء صنعت: أسأت، أو بئما صنعت (٢١٢)

وعند أبى داود: خدمت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عشر سنين بالمدينة وأنا غلام ليس كل أمرى كما يشتهى صاحبه أن أكون عليه، ما قال لى فيها: أف قط، وما قال لى: لم فعلت هذا؟، أو ألفت هذا؟ (٢١٣)

يمثل هذا الحديث الصورة الحقيقية للمنهج النبوى الكريم فى كيفية التعامل مع النشء، وهو منهج علمى غاية فى الدلالة والوضوح على أن التربية الإسلامية تقوم على الإمعان فى الرحمة والرفق بالناشئ، وأنه لا مكان للقسوة والعنف على النشء فيها.



(٢١٠) مسلم (كتاب) الإيمان (باب) صحبة المماليك وكفارة من لطم عبده ح رقم ١٦٥٩ ج ٣ ص ١٢٨١ والترمذى (كتاب البر والصلة

(باب) النهى عن ضرب الخدم ح ١٩٤٨ ج ٤ ص ٢٩٦.

(٢١١) مسلم (كتاب) الفضائل (باب) كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أحسن الناس خلقاً ح ٢٣٠٩ ج ٤ ص ١٨٠٤.

(٢١٢) (صحيح) مسند أحمد ح ١٣٠٤ ج ٣ ص ١٩٥.

(٢١٣) (صحيح) أبو داود (كتاب) الأدب (باب) فى الحلم وأخلاق النبى - صلى الله عليه وسلم - ح ٤٧٧٤ ج ٤ ص ٢٤٧.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

ومن الفوائد التربوية التي تؤخذ من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه:

١- أن مقتضى كمال الإيمان: ترك معاقبة الصبي لقوله - صلى الله عليه وسلم: فلو قضى الله أن يكون لكان.

٢- استحباب عدم مساءلة الصبي الصغير فيما انقضى وفات (فما قال لى لشيء فعلته: لم فعلته؟، أو فى شيء لم أفعله: ألا فعلته؟ ولا يفهم من ذلك أن يترك الصبي وشأنه مطلقاً، بل يكفى أن يلاحظ الصبي من مربيهِ بحركات الوجه ونحوه أن الذى قام به غير مقبول، ولا مانع من مناقشة الأمر من غير مساءلة ولا لوم إذا كان الأمر متعلقاً بالسلوك.

٣- استحباب عدم توجيه شيء من العقاب النفسى للصبي أثناء عملية التربية "فما قال لى: أف، فما قال لى لشيء قط صنعت: أسأت، أو بئسما صنعت".

٤- قيام التربية الإسلامية على الأناة والحلم والصبر على النشء، وأن ذلك من أخلاق الإسلام الأساسية وأن خلاف ذلك لا يكون من حسن المعاملة (٢١٤).

٥- هذه أخلاق النبوة وتلك مدرستها العليا فى التربية وصدق الله العظيم إذ يقول: (ولنك لعلى خلق عظيم) {القلم: ٤}

٦- وقد قال ابن خلدون رحمه الله عند حديثه عن تعليم الولد كلاماً طيباً يبين سوء عاقبة الضرب والشدة على النفس تحت عنوان "فصل فى أن الشدة على المتعلمين مضرة بهم" قال رحمه الله وذلك أن إرهاب الجسد فى التعليم مضر بالمتعلم سيما أصاغر الولد لأنه من سوء الملكة ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم سطا به القهر، وضيق على النفس فى انبساطها، وذهب بنشاطها، ودعاه إلى الكسل، وحمل على الكذب والخبث

(٢١٤) أصول التربية الإسلامية د. أمين ابو لاوى ص ٣٢٥-٣١٦ باختصار

أصول التربية القرآنية وأساليبها

وهو: التظاهر بغير ما فى ضميره خوفاً من انبساط الأيدى بالقهر عليه، وعلمه المكر والخديعة لذلك، وصارت هذه عادة وخلقا وفسدت معانى الإنسانية التى له من حيث الاجتماع والتمرن، وهى الحمية والمدافعة عن نفسه ومنزله، وصار عيالا على غيره فى ذلك، بل وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل، فانقبضت عن غايتها، وفقدت إنسانيتها فارتكس وعاد فى أسفل السافلين، وهكذا وقع لكل أمة حصلت فى قبضة القهر، ونال منها العسف.

٧- واعتبر فى كل من يملك أمره عليه، ولا تكون الملكة الكافلة له رفيقة، بل وتجد ذلك استقراءً، وانظره فى اليهود وما حصل بذلك فيهم من خلق السوء حتى إنهم يوصفون فى كل أفق ومصر بالحرَج، ومعناه فى الاصطلاح المشهور: التخابث والكيد وسببه ما قلماه، فينبغى للمعلم فى متعلمه، والوالد فى ولده ألا يستبد عليهم فى التأديب (٢١٥).

ثانياً : إجراءات وقائية قبل العقوبة

إن التربية الإسلامية لا تلجأ إلى العقوبة إلا بعد إجراءات وقائية تسبقها، وغالباً ما تحول دون وقوع العقوبة البدنية، وذلك مراعاة لفطرة الإنسان فالإسلام دين الفطرة ومن تلك الإجراءات التى ينبغى للمربى مراعاتها قبل العقوبة ما يلى:

١ - غرس الإيمان والعقيدة فى نفوس المتربين.

إن الإيمان بالله اليوم الآخر طريق قويم لترغيب المسلم فى الجنة، وترهيبه من النار ومن عذاب الله - عز وجل - فعلى المربى أن يحرص على غرس المعانى الإيمانية فى نفس التلميذ، وأن يعرض له آيات القرآن الكريم بثوابها وعقابها، وآيات القيامة بأهوالها العظام حتى يغرس فيه شجرة الخوف من الله ومن عذابه فإذا ذكره تذكر وإذا خوفه خاف.

(٢١٥) مقدمة ابن خلدون ص ٦٢٣.

٢ - إثارة الانفعالات والعواطف

ومن تلك العواطف عاطفة :

أ. الخوف من الله - عز وجل - وهى عاطفة ضرورة لا غنى عنها قال تعالى: (فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين) {آل عمران: ١٧٥}

وقال سبحانه: (ولمن خاف مقام ربه جنتان) {الرحمن: ٤٦}

وقال سبحانه: (وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ) {الأعراف: ٥٦}

وعاطفة الخوف هى العاطفة التى تحول بين المسلم وبين المعصية والخطأ، ومن ثم فإن إثارة هذه العاطفة فى التربية فى غاية الأهمية.

ب- عاطفة الحب :

هى من أهم العواطف التى تدفع المسلم إلى الطاعة، وتأخذ بيده إلى دربها القويم، وهى من أهم الدوافع التى تجعل المسلم حريصاً على تطبيق شريعة الله والالتزام بها فى سلوكه وحياته دون رقيب عليه من البشر قال تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ) {البقرة: ١٦٥}

ومما ينمى هذه العاطفة فى قلب المسلم النظر فى أسماء الله وصفاته، وتملى معانيها، والعمل بمقتضاها، وكذلك الشعور بفضل الله السابغ، والتعرف على نعمه التى لا تحصى، وكذلك الخلوة به سبحانه ومناجاته، وقراءة كتابه بتدبر وتأمل، وكذلك تأمل آثار رحمته.



ج. عاطفة الرجاء

ومعناها الطمع في ما عند الله من رحمة ونعيم وفضل، والأمل في ثوابه ومغفرته وعفوه قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) {البقرة: ٢١٨}

والرجاء يدفع المسلم للعمل والسعى والجهاد في سبيل الله، وكذلك فعاطفة الرجاء هي التي تقى النفس من التردى في هوة القنوط واليأس الذي يقعد بصاحبه حتى يهلكه.

د. الخشوع

ومعناه التذلل والخضوع، والشعور بالانقياد والعبودية لله والخضوع له، والخشوع ثمرة للخوف من الله - عز وجل - قال تعالى حاثاً عباده على الخشوع: (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ) {الحديد: ١٦}

٣ - تهذيب النفوس وتطهير الضمائر

إن العناية بغرس الأخلاق الحميدة التي تهذب النفوس إجراء وقائي يقلل من الأخطاء إن لم يمنعها، ومن ثم وجب على المربي أن يغرس في نفوس من يرعاهم ويربيهم على قيم الصدق والتواضع والكرم وحسن الأدب والتعاون والتتاصح والتألف وحب الخير للناس والحلم وعدم التدخل فيما لا يعنيه واحترام الآخرين، وكذلك عليه أن يبغض تلامذته في الكذب والحسد والكبر والأنانية وغيرها من الصفات القبيحة.



٤- ومن الإجراءات الوقائية الصبر والحلم

إن سرعة الانفعال والتهديد بالضرب والحرمان خلق لا يليق بالمربي فليس المربي مستبدًا، وكذلك عليه ألا يتعامل مع منطلق ردود الأفعال، بل عليه أن يضبط نفسه، وأن يحلم ولا يجهل، ويصبر ولا يندفع.

يقول الأستاذ/ محمد عبد الله الدويش

ومن لوازم حسن الخلق الترفع عن سرعة الانفعال وشدة الغضب، واستبعاد لغة التهديد، فبعض المدرسين يذكر كالعسكر والمستبدين، ومن أسوء الأساليب إلى لا يجنى منها المدرس إلا الكراهية من طلابه، بل استخفافهم وسخريتهم، من هذه الأساليب التهديد بما يعلم الطلاب أنه لن يفعله، وعناية المدرس بانضباط الفصل وهدوئه ينبغي ألا تكون على حساب التربية، وعلاقته مع الطلاب، والأغلب أن تكون هذه المواقف رده فعل لسلوكيات ومخالفات ترقى لحجم هذه العقوبة والقسوة، ويمكن تجاوزها بإشارة أو تنبيه لطيف يزيلها ويحفظ للمدرس وقاره وقدره (٢١٦).

وليتذكر المربي دائما قول الله تعالى:

{الشورى: ٤٣}.

(وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)

وقول الله تعالى:

{آل عمران: ١٣٤}

(وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)

(٢١٦) المدرس ومهارات التوجيه/ محمد بن عبد الله الدويش ص ٦٧.

أصول التربية القرآنية وأسااليبها

يقول صاحب الظلال رحمه الله:

الإسلام لا يقيم بناءه على العقوبة، بل على الوقاية من الأسباب الدافعة إلى الجريمة، وعلى تهذيب النفوس، وتطهير الضمائر، وعلى الحساسية التي يثيرها في القلوب، فتتخرج من الإقدام على جريمة تقطع ما بين فاعلها وبين الجماعة المسلمة من وشيجة، ولا يعاقب إلا المتبجحون بالجريمة، الذين يرتكبونها بطريقة فاضحة مستهترة فيراها الشهود، أو الذين يرغبون في التطهر بإقامة الحد عليهم كما وقع لماعز ولصاحبه الغامدية.

ثالثاً: آخر العلاج الكي

سبق القول بأن الأصل في التربية الرفق واللين والرحمة، وكذلك لابد من الإجراءات الوقائية التي تسبق العقوبة وتعطلها وربما تحول دون وقوعها، فإذا استنفذ المربي كل الوسائل اللينة الرفيعة، وكذا الإجراءات الوقائية، وأصر الطالب أو الولد على عناده ووقع في الخطأ فكذب أو قصر في الصلاة وهرب من المسجد، أو ضيع الجماعة، أو عصى ولي أمره، أو قصر في الدرس حفظاً وفهماً، فلا بد عندها من العقوبة كحل نهائي لا مفر منه، ولا بديل عنه، وقد أقر القرآن العقوبة كوسيلة تربية قال تعالى:

(وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ) {النساء: ٣٤}

فإِلا لم يجد الوعظ ولم يؤثر الهجر فالضرب بشروطه دواء، وقد أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بضرب الولد على الصلاة إذا بلغ عشرة



أصول التربية القرآنية وأساليبها

يقول الأستاذ/ محمد قطب حفظه الله:

إن التربية الرفيعة اللطيفة الحانية كثير ما تفلح في تربية الأطفال على استقامة ونظافة واستواء، ولكن التربية التي تزيد من الرقة واللفظ والحنو تضر ضرراً بالغاً لأنها تنشئ كياناً ليس له قوام والنفس في ذلك كالجسم، إن رفقت بجسمك رفقاً زائداً فلم تحمله جهداً خشية التعب، ولا مشقة خشية الإنهاك، فالنتيجة أنه لا يقوى أبداً، ولا يستقيم له عود، وغدا رفقت بنفسك رفقاً زائداً فلم تحملها أبداً على ما تكره؛ فالنتيجة أنها تتميع وتتحرف ولا تستقيم، وفضلاً عن ذلك فإنها تشقى صاحبها لأنها لا تدع له فرصة يتعود فيها على ضبط مشاعره وشهواته فيصطدم بالواقع الأرضي الذي لا يعطى الناس قط كل ما يشتهون، ومن هنا كان لابد من شئ من الحزم في تربية الأطفال وتربية الكبار، لصالحهم هم أنفسهم قبل صالح الآخرين.

ومن الحزم استخدام العقوبة أو التهديد باستخدامها في بعض الأحيان (٢١٧).

درجات العقوبة:

والعقوبة درجات متفاوتة، ولا تعنى العقوبة الضرب أو العقاب البدني مباشرة، بل يسبق العقاب البدني بعقاب معنوي، وبتهديد بالعقاب كما يأتي:

١ - الهجر

والهجر عقاب معنوي له أثر كبير على المهجور، وهو وسيلة للضبط والتقويم يقول الدكتور/ محمد كمال الشريف عن الهجر: وهو وسيلة للضبط الاجتماعي تلجأ إليه بعض المجتمعات وبه توقعها على فرد ارتكب مخالفة كبيرة لأعرافها وتقاليدها،



(٢١٧) منهج التربية الإسلامية/ محمد قطب ص ١٩٠-١٩١.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

حيث يسمح المجتمع لهذا الفرد أن يبقى في المجتمع يعيش ضمنه ويعمل فيه، ولكن لا يكلمه أحد أبداً^(٢١٨) وقد استخدم القرآن الكريم تلك الوسيلة مع كعب بن مالك وصاحبيه حين تخلفوا عن المسلمين في غزوة تبوك، فأنت تلك الوسيلة معهم أكلها ضعفين، وكان لها أبلغ الأثر عليهم، فعادوا إلى الصف، وتابوا، وتاب الله عليهم قال تعالى: (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) {التوبة: ١١٨}

ليعلم المربي أن الهجر ما شرع لإذلال المهجور وعزله عن الناس وتركه لنزغات الشياطين من الإنس والجن، وإنما شرع لغاية هي زجر المبتدع، ورجوع العامة عن مثل حاله، صيانة السنة من شائبة البدع، فإذا أدى الهجر إلى تحقيق هذه الغاية كان هجراً مشروعاً مندوباً إليه، وكان القيام به من جنس الجهاد في سبيل الله، أو الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر^(٢١٩).

٢ - التهديد بعدم رضا الله عز وجل:

قال تعالى: (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ)

{الحديد: ١٦}



^(٢١٨) تربية الطفل رؤية نفسية إسلامية د. محمد كمال الشريف ص ٤٤

^(٢١٩) الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي المعاصر د. صلاح الصاوي ص ٢٦

أصول التربية القرآنية وأساليبها

٤ - التهديد بغضب الله عز وجل صراحة

قال تعالى: (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٤) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسِبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٥) وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (١٦) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) {النور ١٤-١٧}

٥ - التهديد بعقاب الآخرة:

ومنه قول الله عز وجل:

(وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يَضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا) {الفرقان: ٦٨-٦٩}

٦ - التهديد بالعقاب الدنيوى

ومن ذلك تهديد الله - سبحانه - للمتقاعد عن الجهاد تعلقا بالحياة الدنيا ورضا بها قال سبحانه: (إِلَّا تَتَفَرَّوْا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ) {التوبة: ٣٩}

وقال جل وعلا:

(وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمْ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) {التوبة: ٧٤}



أصول التربية القرآنية وأساليبها

فإذا لم تفلح تلك الدرجات من العقوبة مع الولد أو الطالب فهده المربي، وخوفه عذاب الله في الدنيا والآخرة، وهجره، وأمر بهجره، عند ذلك فالعقاب الجسدى لا بديل عنه، ولا مناص من استخدامه يقول صلى الله عليه وسلم: مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم فى المضاجع(٢٢٠).

رابعاً : ضوابط يجب مراعاتها عند اتباع أسلوب الترغيب والترهيب

أولاً: بالنسبة للإثابة والترغيب.

١- المدح والثناء المنضبط البعيد عن الكذب والمبالغة والمجاملة: فالاعتدال أولى، والصدق خير.

قال تعالى: (جعلناكم أمة وسطاً) {البقرة: ١٤٣}

٢- (عدم الإكثار من الإثابة حتى لا تفقد قيمتها وأثرها فى نفوس الأبناء وكذلك فتور مشاعر الآباء).

٣- ألا تسبب الإثابة بين الأبناء مشاعر التنافس والغيرة والحسد والأنانية.

٤- إعطاء من يستحق الإثابة فقط، مع عدم التمييز بين الأبناء إذا كان السلوك المثنى عليه واحداً(٢٢١).



(٢٢٠) (صحيح) أبو داود (كتاب الصلاة (باب) متى يؤمر الغلام بالصلاة ح ٤٩٤ ج ١ ص ١٣٣ والترمذى (كتاب) أبواب الصلاة (باب) ما

جاء متى يأمر الصبى بالصلاة ح ٤٠٧ ج ٢ ص ٢٥٩ والدارمى (كتاب الصلاة (باب) متى يؤمر الصبى بالصلاة ح ١٤٣١ ج ١ ص ٣٩٧

وأحمد ح ٦٧٥٦ ج ٢ ص ١٨٧ والبيهقى فى السنن ح ٣٠٥١ ج ٢ ص ٢٢٩ وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم ٥٨٦٨.

(٢٢١) (تربية الأولاد والآباء فى الإسلام/ المبروك عثمان أحمد ص ٢٥٨).

أصول التربية القرآنية وأساليبها

ثانياً : ضوابط العقاب الجسدى

- ١- ألا يستعمل المعلم الضرب إلا لذنوب.
- ٢- أن يوقع المعلم الضرب بقدر الاستئصال الواجب فى الجرم، وإذا استأهل الضرب فأعلم أن الضرب من واحدة إلى ثلاث فليستعمل اجتهاده لئلا يزيد فى رتبة فوق استئصالها.
- ٣- أن يقوم المعلم بضرب الصبيان بنفسه، وليتول أدبهم بنفسه.
- ٤- أن يكون الضرب بحيث لا يتعدى الألم إلى التأثير المشنع أو الوهن المضر.
- ٥- أن تكون الدرة: (العصا) التى يضرب بها المعلم الصبى رطبة مأمونة لئلا تؤثر أثراً سيئاً.
- ٦- ألا يكون الضرب انتقاماً من الصبى، وإنما يكون لعلاج وتأديبه (٢٢٢).
- ٧- ألا يضرب الوجه أو الرأس لما فى ذلك من إهانة ولذلال.
- ٨- ألا يسب أو يشتم، فالمربى أهل للأدب وضبط النفس وحسن الخلق.
- ٩- ثم لا يضرب وهو فى حالة غضبية شديدة مخافة إلحاق الضرر بالولد أخذاً بوصية النبى - صلى الله عليه وسلم - التى رواها البخارى فى صحيحه (لا تغضب) (٢٢٣)، (٢٢٤).
- ١٠- عدم الإكثار من العقوبة حتى لا يألها الولد أو المتربى فتفقد فاعليتها وبعد فهذه مجموعة من الضوابط والقيود التى وضعها علماء التربية، وهى تدل على تقديم أسلوب الثواب والترغيب، وعلى التضييق على العقوبة، وعدم اللجوء إليها إلا بعد استنفاد كل الوسائل التربوية كالوعظ والإرشاد والقصة وضرب المثل والترغيب.

(٢٢٢) مجلة البيان العدد ١٣٧ المحرم ١٤٢٠هـ يوليو ١٩٩٩م.

(٢٢٣) البخارى (كتاب) الأدب (باب) الحذر من الغضب ح٥٧٦٥ ج٥ ص٢٢٦٧.

(٢٢٤) تربية الأولاد فى الإسلام ج٢ ص٧٢٧.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

يقول الأستاذ/ عمر محمد التومى الشيبانى

وهكذا يتبين لنا أن المربين المسلمين فى مجموعهم قد أجازوا العقوبة بنوعيتها المعنوى والبدنى، على أن يكون اللجوء إليها عند الضرورة، بعد فشل كل الوسائل التهذيبية والوقائية فى تهذيب المتعلم وردعه ولرجاعه إلى جادة الصواب، كما أنهم متفقون على أنها يجب أن تكون متدرجة فى قسوتها، متمشية مع ظروف المتعلم، وأحواله البدنية والنفسية، وبعيدة عن التأثير بروح الحقد والانتقام إلى غير ذلك من الخصائص والقيود التى تضمنتها أقوال المربين المسلمين (٢٢٥) ومما تجدر الإشارة إليه، والتذكير به أن:

- ١- اللوم للمخطئ بصورة قاسية لا يأتى بخير غالباً فتلطف فى اللوم.
- ٢- استخدام العبارات اللطيفة فى إصلاح الأخطاء، ولياك والسب والشتم، فالمسلم ليس فاحشاً ولا بذياً.
- ٣- إياك والجدال فتركه أولى وأكثر إقناعاً، والمسلم يخبر بالسنة وبالحق ولا يجادل.
- ٤- الخطأ وارد، ولا بد من وقوعه فضع نفسك مكان المخطئ وابحث عن الحل.
- ٥- النقد الشديد الصريح يقطع حبل المودة وينفر النفوس، فإذا انتقدت، فاذكر جوانب الصواب.
- ٦- التفتيش عن الأخطاء الخفية ليس خلقاً للمربى بل الستر أولى قال صلى الله عليه وسلم: لا تؤذوا عباد الله ولا تعيروهم، ولا تطلبوا عوراتهم، فإن من طلب عورة أخيه المسلم طلب الله عورته حتى يفضحه فى بيته (٢٢٦).
- ٧- استفسر عن الخطأ مع إحسان الظن والتثبت.

(٢٥) من أسس التربية الإسلامية د. عمر محمد التومى الشيبانى ص ٤٦٥.

(٢٦) (صحيح الترمذى) (كتاب البر والصلة) (باب) ما جاء فى تعظيم المؤمن ح ٢٠٣٢ ج ٤ ص ٣٧٨ مسند أحمد ح ٢٢٤٥٥ ج ٥ ص ٢٧٩ وصححة الألبانى فى صحيح الجامع برقم ٧٩٨٤.

أصول التربية القرآنية وأساليبها

- ٨- المدح على قليل الصواب سبب في تكثيره.
- ٩- الناس يتعاملون بعواطفهم أكثر مما يتعاملون بعقولهم وتلك غريزة بشرية فالإنسان ملئ بالعواطف الجياشة.
- ١٠- الكلمة القاسية لها أكثر من كلمة لينة مرادفة تؤدي معناها.
- ١١- إظهار الرحمة بالمخطئ أسلوب نبوي في معالجة الأخطاء.
- ١٢- الوقاية خير من العلاج، ولذا يجب الإرشاد إلى ما يمنع من وقوع الخطأ.
- ١٣- الصواب عدم مواجهة المخطئين بالخطأ والاكتفاء بالبيان العام عن أنس بن مالك قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء فلا صلاتهم فاشتد قوله في ذلك حتى قال: لينتهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم(٢٢٧)".
- والأدلة على ذلك كثيرة، ويجمعها عدم فضح صاحب الخطأ، وأسلوب التعريض بالمخطئ وعدم مواجهته، ولهذا الأسلوب فوائد كثيرة منها:
- أ - تجنب رد الفعل السلبي للمخطئ، وإبعاده عن تزيين الشيطان له للانتقام الشخصي والانتصار للنفس.
- ب- أنه أكثر قبولاً وتأثيراً في النفس.
- ج- ازدياد منزلة المربي، وزيادة المحبة للناصح(٢٢٨).

(٢٢٧) البخاري (كتاب) الأذان (باب) رفع البصر إلى السماء في الصلاة ح ٧١٧ ج ١ ص ٣٦١.

(٢٢٨) الأساليب النبوية في التعامل مع أخطاء الناس/ صالح محمد المنجد ص ٧١.

١٥- تصحيح الأخطاء واجب ومهم، وهو من النصيحة في الدين، ومن النهي عن المنكر، ولكنه ليس كل الواجب فإن الدين ليس نهياً عن المنكر فحسب، وإنما هو أمر بالمعروف أيضاً.

١٦- ليست التربية هي تصحيح الأخطاء فقط، وإنما هي تلقين وتعليم وعرض لمبادئ الدين وأحكام الشريعة أيضاً (٢٢٩).

وفى النهاية فإن من الخطأ البين التهرب من مواجهة الخطأ وإهمال علاجه، وذلك لأن التهرب من النقد ومن المراجعة، واتهام من ينتقد إنما يعنى الإصرار على الخطأ، ولا بد أن نتربى ونربى أجيالنا ومجتمعنا على أن لغة النقد البناء لغة سائدة بين الجميع، وعلى أن يكون الحديث عن الأخطاء حديثاً لا تقف دونه الحواجز؛ حتى نصل إلى التصحيح المطلوب.



أصول التربية القرآنية وأساليبها

فهرس المحتويات

م	الموضوع	رقم الصفحة
١	تمهيد	٢
٢	<u>الباب الأول : أصول التربية القرآنية</u>	١٢
	المبحث الأول : تلاوة القرآن	١٣
	المبحث الثاني : تعليم الكتاب	٢٢
	المبحث الثالث : تعليم الحكمة	٣٤
	المبحث الرابع : التزكية	٤٤
	المبحث الخامس : الريانية	٥٦
٣	<u>الباب الثاني : أساليب التربية القرآنية</u>	٧٤
	الفصل الأول : التربية بالعبادة	٧٦
	الفصل الثاني : التربية بالقُدوة	٩٧
	الفصل الثالث : التربية بالموعظة	١١٧
	الفصل الرابع : التربية بالعبرة	١٢٨
	الفصل الخامس : التربية بالأحداث	١٤٤
	الفصل السادس : التربية بالقصة	١٥٧
	الفصل السابع : التربية بضرب الأمثال	١٨٨
	الفصل الثامن : التربية بالثواب والعقاب	٢٠٩